St Clements International
University
For Higher Studies

Mat. No. AB0306

Moslems' Geographers & Explorers in Belad Al-Sham During the Two Centuries 12-13 G Corresponding to 6-7 Hijry

A Dissertation Submitted
to the Council of St Clements International University in partial fulfillment for the requirements of PhD degree in Geography

by

Batool Kamil Misher

Supervised by

Asist. Prof. Dr. Nazar Kareem Jawad Al-Rubayee

1435 A.H. **Baghdad** **2014 A.C.**

Abstract

The importance of the works of the Muslim geographers and travelers who were contemporary to these organized age of the region of the Near East in the middle ages. Their writings included information that can fill the gap because of containing valuable information on the social, economic, and religious levels.

In addition to that, those geographers and travelers, especially those who came from outside the Levant, have given to us a special perspective through foreign yes. Therefore, we find in their writing angles that were rarely tackled in the books of annals, the justification is that geographer and traveler, who is indulged in the local community, would be careful during big struggles between Islam and Christianity to record whatever he sees in the life aspects. To enrich their writing.

It is no wonder that that those geographers and travelers produced texts that are characterized by vitality. It is as if we are living in the society to which they went even though 8 centuries have passed.

What has deepened the previous angle is that those Muslim geographers and travelers, who came to the Levant at the time, were mostly encyclopedic of culture. They contributed to the field of writing in the scientific and literary realms. They were known for their strong observation and the living description. In addition, to the fluidity of the sentence itself. Undoubtedly, all that is they produced have guaranteed a place for them in the historical resources.

On the other side, it is necessary to observe that the works of those Muslim geographers and travelers introduces to us an important kind of sources in which the geographic and historical are coupled. Thus, it is not possible to accept the complete dependency on historical sources which tackle the leadership of states, and ignoring these writing of the Muslim geographers and travelers who have been to the Levant. In we notice history itself- in one of its aspects- i.e. struggle for geography, we notice the important of these works without neglecting the growing values of the traditional historical sources of the annals, biographies, deaths, *tabaqaat* and other kinds of history books that we received from this age, whether from the Islamic of Christian Crusade.

In addition to that, the works of these Muslim geographers and travelers have a vision that reflect the depiction of one party in confronting the other. It is very important to notice how Muslim looked at the Crusader in their sportive and negatives, and the aspects of this look, and the trace of the confrontation between the two warring parties to forma perspective of these Muslim geographers and travelers and its reflection on their works. In that field. We have a valuable descriptions of the Muslim travelers who joined that field. Some of them live deeply all through the period for a very long time. Some of them even co-lived with them for few days. Undoubtedly, tackling this aspect in its various depictions.

جامعة سانت كلمنتس العالمية

للدراسات العليا

الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

اطروحة قدمت

الى مجلس جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص (الجغرافية)

من قبل

بتول كامل مزهر الياسري

بأشراف الاستاذ المساعد الدكتور

نزار كريم جواد الربيعي

1435هـ   بغداد   2014م

إقرار المشرف

أشهد أن أعداد هذه الاطروحة الموسومة

الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنيين السادس والسابع الهجريين

التي تقدمت بها طالبة الدكتوراه (بتول كامل مزهر) قد جرت بأشرافي في جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في (الجغرافية)

لأجله وقعت

التوقيع:

الاسم: نزار كريم جواد الربيعي

التاريخ:

شكر وامتنان

في البدء أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى الله (عز وجل) الذي وفقني لإتمام هذا العمل.

وأجد لزاماُ علي إن أتقدم بوافر الشكر وخالص الثناء إلى أستاذي الجليل المشرف على الاطروحة الدكتور (نزار كريم جواد) لما بذله من جهود علمية قيمة تخص البحث ومفرداته... فقد وجدته مثالاً للتواضع العلمي والخلقي النبيل كما وأقدم شكري إلى أساتذتي الإجلاء الذين درسوني في السنة التحضيرية فلهم مني كل الاحترام والتقدير ولكل من أسدى نصحاً أو رأياً لأنجاز هذا البحث.

الباحثة

قـائـمـة المحتـــويـات

الموضـــوع	الصفحة
الاهداء	**أ**
الشكر والامتنان	**ب**
قائمة المحتويات	**ج**
قائمة الملاحق	**د**
المقدمة	**1–6**
الفصل الاول **الجغرافيون المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**	**7–67**
الادريسي (ت 560 هـ / 1164 م)	**7–49**
القزويني (ت 672 هـ / 1273 م)	**49–67**
الفصل الثاني	**67–106**
ابن شداد (ت 684 هـ , 1285 م)	**67–105**
الفصل الثالث **الرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**	**106–146**
المعاني (ت 526 هـ / 167 م)	**106– 126**
اسامة بن منقذ (ت 582هـ / 188 م)	**126– 146**
الفصل الرابع **الرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**	**146–187**
ابن جبير (ت 616, 617 هـ / 1219 , 1220 م)	
الخاتمة	**188–193**
المصادر والمراجع	**193–228**
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	**A-E**

قـــائـمـة المـلاحق

رقم الملحق	العنوان	رقم الصفحة
1	**خريطة المغرب رسمها الادريسي**	7
2	**خريطة الادريسي في قاعة روجر الثاني مع حشد من الوجهاء والامراء ويقوم الادريسي بشرح كروية الارض**	9
2	**خريطة العالم كما رسمها الادريسي**	10
3	**خريطة توضح الطرق التجارية الخارجية لبلاد الاندلس وبلاد الشام**	159
4	**خريطة توضح الاندلس في العصر الذهبي وعصر الخلافة**	162
5	**خريطة توضح فتح الاندلس من كتاب مؤنس**	187

المقدمة

تبدو أهمية مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين عاصرو تلك الرحالة المنظمة من تاريخ منطقة الشرق الأدنى في العصور الوسطى , إذ إن كتاباتهم تسد جانبا له شئنه من تلك الفجوة المصدرية لاحتوائها على إشارات قيمة على الأصعدة الاجتماعية, والاقتصادية, والدينية, وغيرها .

بالإضافة على ذلك, فان أولئك الجغرافيين والرحالة قدموا لنا , خاصة أولئك الذين قدموا من خارج بلاد الشام, رؤية مهمة من خلال عيون غريبة وافدة على المنطقة, ولذلك نجد في نصوص مؤلفاتهم زوايا ندر أن تتردد في كتب الحوليات, وتعليل ذلك إن الجغرافي والرحالة الذي تكون عقلة في مجتمع ما بأبعاده المحلية, عندما تطأ أقدامه ارض مجتمع آخر, وبخاصة خلال عصر الصراع العنيف بين عالمي الإسلام, والمسيحية, يحرص الحرص اجمعه على إيراد كل ما تقع عليه عيناه من مظاهر حياتية متعددة ومختلفة, ولا مراء في إن ذلك كله أدى إلى إثراء مؤلفاتهم, وتميزها بتصورات شخصية ثرية.

فلا عجب, والأمر كذلك, إن قدم أولئك الجغرافيون والرحالة نصوصا تمتاز بالحيوية المتدفقة بين ثناياها . وكأننا نعيش فعلا في ذلك المجتمع الذي وفدو عليه , على الرغم من انقضاء ثمانية قرون كاملة من الزمان على تلك الوقائع والمظاهر الحضارية التي أوردو أمرها .

ومما عمق تلك الزاوية السابقة, إن أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام في ذلك العصر, كانوا في الغالب موسوعتين الثقافة, وضرب عدد منهم يسهم وافر في العديد من مجلات التأليف العلمي, والأدبي, وتمتعوا – بصفة عامة بقوة الملاحظة والقدرة على الوصف الحي المتدفق , بالإضافة إلى سلاسة العبارة

ذاتها , ولا ريب إن كل ذلك قد ضمن لؤلئك الجغرافيين , والرحالة وما تركوه من مؤلفات مكانة متميزة من بين المصادر التاريخية لتلك المرحلة .

من جهة أخرى , من الضرورة بمكان ملاحظة إن مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين تقدم لنا نوعا هاما من المصادر التي تلتقي فيها الرؤيتان الجغرافية والتاريخية , وهكذا , فليس من الممكن قبول الاعتماد كليا على المصادر التاريخية الصرفة التي تتناول تاريخ القيادات والدول. ونغفل تلك المؤلفات الجغرافية وما كتبه الرحالة المسلمون الذين قدموا إلى بلاد الشام. فإذا ما لاحظنا إن الجغرافيا ذاتها توجه التاريخ . وان التاريخ ذاته – في احد جوانبه – ما هو إلا صراع على الجغرافية, أدركنا أهمية تلك المؤلفات, مع عدم إغفال القيم المتنامية للمصادر التاريخية التقليدية من كتب الحوليات, والتراجم, والوفيات, والطبقات, وغيرها من صنوف الكتابة التاريخية التي وصلت إلينا من ذلك العصر, سواء كانت لدى الجانب الإسلامي أو الصليبي .

وإضافة إلى ذلك, نقدم مؤلفات أولئك الجغرافيين, والرحالة المسلمين رؤية تعكس تصور احد أطراف المواجهة للطرف الآخر, فمن الأهمية بمكان ملاحظة كيف نظر المسلمون للصليبيين, بسلبياتهم وايجابياتهم, ومظاهر تلك النظرة, واثر المواجهة الشرسة بين الجانبيين المتصارعين على تكوين رؤية أولئك الجغرافيين والرحالة وانعكاسها بالتالي على مؤلفاتهم. وفي هذا المجال, لدينا أوصاف قيمة تفيض حيوية للكيان الصليبي لبلاد الشام , من خلال الرحالة المسلمين الذين دخلوا في ذلك الكيان, ومنهم من عايشهم بعمق على مدى مرحلة زمنية طويلة , ومنهم من احتك به على مدى عدة أيام قليلة مركزه, ولا ريب في إن تناول ذلك الكيان من جانب أولئك الرحالة ومهما تباينت نظرتهم إليه يكشف ضرورة عن طبيعة ذلك العصر بتصوراته المختلفة.

كما إن نصوص مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين, الذين جابوا ربوع بلاد الشام في ذلك العصر قدمت لنا تصوراتهم الإنسانية دونما تصنع أو موارية, بعيدا عن الذهاب وراء الأحداث السياسية والحربية, كما قدمت لنا الأبعاد النفسية العميقة مثل القلق والتوتر إلى غيرها من الجوانب الانفعالية, على نحو يقدم للمؤرخ الذي يبحث عن النصوص الفردية مادة هامة من انفعالات عصر بأكمله من خلال أولئك الجغرافيين والرحالة, ولا سيما عندما وصفوا المدن الإسلامية, وهي خاضعة للسيادة الصليبية, وكذلك القلاع الصليبية التي زرعت في المنطقة بعناية تأكيدا لبطش المحتل وقوته العصرية واستعماره – أي استغرابه – للأرض التي قدم من أوربا خصيصا للقيام بعمليات نهب منظم لثرواتها تحت شعار الصليب .

ومن جهة أخرى قدمت مؤلفاتهم نصوصا هامه عن المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في ذلك العصر, مع ملاحظة إن دراسة ذلك المجتمع تحل أهمية خاصة, على اعتبار انه المجتمع الذي صد الغزو الصليبي, وواجه تلك الحملات الصليبية الشرسة, وان تماسكه البنيوي على مدى قرنين من الزمان وانصهاره في بوتقة الجهاد مع وجود بعض الظروف الدولية الخاصة بالصليبيين أنفسهم وارتفاع الغارة الأوربية ذاتها, قد أدى إلى نجاحه في دحر الحركة الصليبية على أرضه, مصححا بذلك خطا الانقسام والتشرذم السياسي الذي كان عليه عشية مقدم الصليبيين إلى المنطقة في أخريات القرن الخامس هـ / الحادي عشر م.

وإضافة إلى ما سبق نجد أمامنا – ولحسن الحظ – امتداد مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين على مدى القرنين السادس والسابع هـ / الثاني عشر والثالث عشر م. على نحو أفاد تماما في تتبع التواصل التاريخي بالظواهر الحضارية التي وردت في كتاباتهم, مع الاستعانة بالمصادر التاريخية الأخرى بطبيعة الحال.

وتجدر الإشارة إلى إننا في هذه الاطروحة أقوم بدراسة عدد من الجغرافيين والرحالة المسلمين, ومنهم من ألف معاجم جغرافية تناولت أوضاع بلاد الشام في ذلك العصر موضوع

الدراسة, ومنهم من كتب مؤلفا خاصا ومستقلا تناول فيه أمر رحلته إلى أقاليم متعددة من دول الإسلام, ومنها بلاد الشام بينما نجد بعضهم الآخر لا يؤلف رحلة مستقلة. بل إن ترحاله إلى تلك البلاد تناثر في صفحات مؤلفات أخرى مثل الأنساب, أو المذكرات الشخصية إلى نحو ذلك وحيث إن أولئك المؤلفين ما ألفوا تلك المؤلفات إلا من خلال ترحالهم إلى بلاد الشام في ذلك العصر وهذا ما يتضح من خلال تناولهم لهذا في ثنايا مؤلفاتهم, فلذا تم اعتبارهم رحالة مسلمين وفدو إلى تلك البلاد .

ومعنى هذا, إننا لا نعتبر" الرحالة " هو كل من ألف كتابا احتوى عنوانه على تعبير " الرحالة" بل التي احتوت مؤلفاته على جوانب حضارية متعددة يعكس ارتحاله إلى تلك المنطقة مكان الدراسة، ثم تناوله بالملاحظة والعرض لجوانب هامه من تاريخ بلاد الشام على مدى القرنين 6, 7 هـ – 12, 13 م , ويدعم التصور السابق موسوعية فكر علماء ذلك العصر وشموليته, وان بعد الرحلة, والارتحال كانوا وضاحا في مؤلفاتهم التي كانت بطبيعتها إفراز عصر عايشوه وشاركوا فيه كل في مجاله.

ومع ذلك, فهناك نقد يمكن أن يوجه لمؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ويتمثل ذلك النقد في إن هناك من الجغرافيين والرحالة من امضوا فترات قصيرة في المدن الإسلامية وكذلك الصليبية التي مرو فيها, لا تتجاوز أيام معدودات, وكتبوا انطباعاتهم عما شاهدوه من خلال تلك المدة الزمنية القصيرة, وبالتالي فليس بالإمكان الأخذ تماما بكل ما ذكروه في مؤلفاتهم وبخاصة أولئك الذين لم يوردوا إشاراتهم عن المدن المختلفة من خلال معايشه طويلة .

على الرغم من الوضع السابق, إلا إن من الإنصاف أن نذكر إن الجغرافيين والرحالة المسلمين عندما امضوا فترات زمنية قصيرة, في المواضع التي زاروها كانوا يستشيرون أهلها والمقيمين بها من اجل أن يتثبتوا من انطباعاتهم التي كونوها .

ومن ناحية أخرى من الممكن معالجة الوضع المذكور من خلال المصادر التاريخية المعاصرة الأخرى سواء الإسلامية أو الصليبية , ومقارنة ما ورد في مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين بتلك المؤلفات التاريخية بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر الإمكان .

الفصل الأول

الجغرافيون المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية

1_ الإدريسي (ت560 هـ / 1164 م)

احد أشهر جغرافيي المسلمين في العصور الوسطى , ونعنى به الشريف الإدريسي (ت560 هـ /1164 م) الذي قدم إلى بلاد الشام خلال القرن السادس الهجري[1] / الثاني عشر ميلادي , وتناول في مؤلفاته الجغرافية , عدة جوانب , من أوضاع تلك البلاد في ذلك العصر

والإدريسي , هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس , وقد ولد في سبته بالمغرب الأقصى عام 499هـ / 1100م , وهو احد أبناء عائلة الحموديين النبيلة , ونظرا لانتسابه للنبي علية الصلاة والسلام , فقد حمل لقب الشريف (2) ونجد انه درس عدد من علوم عصره في قرطبة التي كانت حينذاك , أحدى حواضر الإسلام المزدهرة , وقد بدأ الإدريسي في الارتحال الذي ملك عليه فؤاده منذ إن كان في السادسة عشرة من عمره , وفي هذا المجال طاف ذلك الجغرافي بالأندلس وفرنسا , وانجلترا , وكذلك أنحاء الشمال الأفريقي واتجه نحو تأدية فريضة الحج , فذهب إلى الحجاز كما انه ارتحل إلى مصر , وبلاد الشام , واليونان التي يقال انه وصل إليها في عام 513هـ /1116م (3) ومع ذلك فيبدو إن التاريخ الذي يقرره البعض لذهابه إلى هناك, يعد مبكرا بعض الشئ , ومن المرجح إن ذهابه إلى اليونان تم بعد ذلك التاريخ .

---

[1] ابن أبي اصيبعه , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تحقيق نزار رضا , ط. بيروت ب , ت , ص501

[2] –فلورنس افرالاغ , (ابوعبدالله ابن محمد الادريسي) بحث ضمن كتاب عبقرية الحظارة العربية ,ن عبد الكريم محفوق, ط .دمشق , 1982 م,ص 419, , محمد السيد غلاب , الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي , المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول , جامعة الإمام محمد بن سعود, م (3) , الرياض , 1984 م , ص144 .

[3] – كراتشكوفسكي تغناطيوس، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1963، ص304, محمد رشيد الفيل ,اثر التجارة والرحلات في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب , المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية , م (3) , ط. الرياض . 1984م , ص445.

وقد عبر الإدريسي البحر في عام 533هـ / 1338م , إلى جزيرة صقلية sicily حيث بلاط ملكها روجر الثاني Roger II (1130- 1154م / 524-548هـ) [4] في بالرمو PALERMO , وقد اشتهر عن ذلك الملك عشقه الكبير للحضارة

---

4 -كراتشكوفسكي , المرجع السابق , ص305.



خريطة المغرب كما رسمها الادريسي



خارطة العالم كما رسمها الادريسي

الإسلامية, وقد احتضن الإدريسي , وصار وثيق الصلة به إلى وفاته عام 1154م /549هـ , وقد طلب روجر الثاني منه أن يقوم بتأليف كتاب يتناول فيه جغرافية العالم[5] ووصف بقاعه, وأقاليمه , وبلدانه , وجعل تحت تصرفه إمكانيات دولة النورمان في صقلية كافة , وكذلك مؤلفات الجغرافيين السابقين , وشهادات التجار الذين تاجروا في أنحاء نائية.

فعكف الإدريسي على تأليف كتابه هناك, بيد إن الأمور تبدلت في أعقاب وفاة روجر الثاني عام 1154م /549هـ , فلم يحظ ذلك الجغرافي بنفس الرعاية والاهتمام السابقين وعاد أدراجه في أيام شيخوخته إلى مسقط رأسه سبته , حيث توفي هناك.

أما تاريخ وفاة الإدريسي , فنعرف إن الحسن الوزان (ت944هـ/ 1537م) قد ذكر إن قد وقع عام 516 هـ / 1122م [6], يبدو إن البارون دي سلام ;De slane قد لاحظ مثل ذلك التاريخ يعد مصحفا , على اعتبار إننا نعرف إن ذلك الجغرافي قد ولد أصلا في عام 499هـ /1100م , ومن غير المنطقي تماما أن يكون قد قام بكافة تلك الأسفار خلال حياته الحافلة بالأحداث خلال تلك الرحلة الزمنية القصيرة , ويبدو إن صحة التاريخ في الغالب 560هـ / 1164م [7] مع ملاحظة إن الحسن

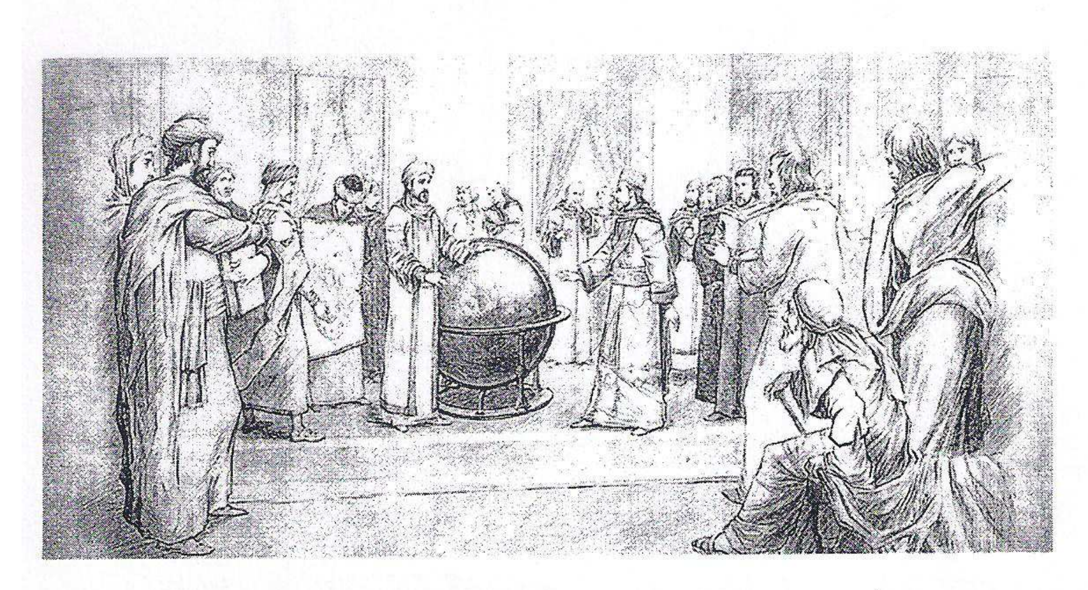
---

[5] – عن علاقة الإدريسي بروجر الثاني ملك صقلية ينظر:

الصفدي , الوافي بالوفيات , القسم المشور في المكتبة الصقلية , نشر أماری ,ص658, حسين فوزي , المعارف الملاحية العربية في القرون الوسطى وأثرها في عصر النهضة , ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الزوروبيه , ط. القاهرة , 1970م , ص349, علي عبد الله الدفاع , رواد علم الجغرافيا ,في الحضارة العربية والاسلامية 1989, ص152 , المرجع السابق , ص162,

[6] الحسن الوزان, وصف أفريقيا, ت. عبد الرحمن حميدة,ط.الرياض,1399هـ, مقدمة المترجم بالإضافة إلى ص17–26.

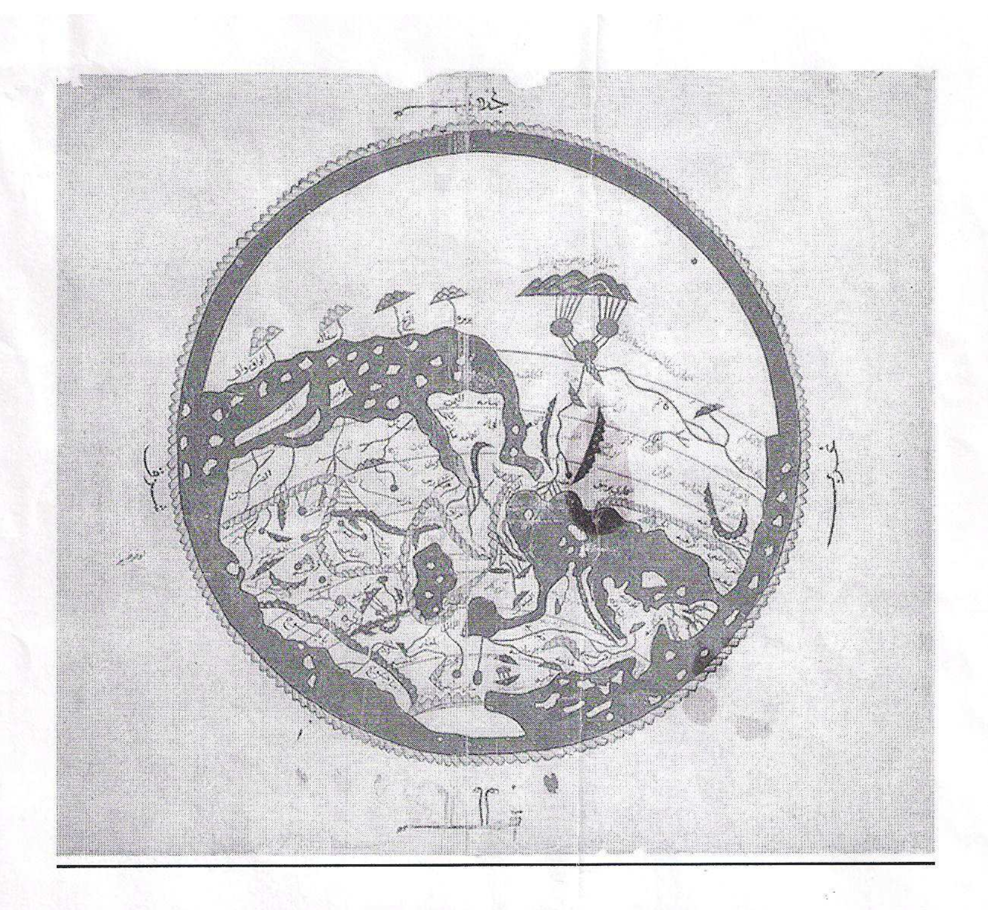
[7] حسين مؤنس , الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس ,القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر، ص169,



(ألإدريسي في قاعة روجر الثاني مع حشد من الوجهاء والأمراء ويقوم الإدريسي بشرح كروية الأرض)

الموقع الالكتروني

www.mo3aloa. com



خريطة للإدريسي التي رسمها للملك روجر الثاني، ويلاحظ أن الخريطة مقلوبة لأن الناس في تلك الأيام كانوا يعتبرون أن الجنوب يوجد في الأعلى.

www.marefa.org الموقع الالكتروني

الوزان قد ولد عام 893هـ / 1487-1488م , وبينه وبين الإدريسي مساحه زمنية طويلة, تقدر بأكثر من ثلاثة قرون [8] .

ويرى احد المستشرقين , إن الإدريسي على الرغم من خلفيته الكوزمو بوليتيه , وأهميته كجغرافي , كان محل تجاهل من جانب المؤرخين وكتاب التراجم المسلمين , وربما كان تفسير ذلك – في اعتقاد صاحب ذلك الرأي – قضاء الإدريسي معظم سنوات شبابه في خدمة الملك النورماني , روجر الثاني ملك صقلية في بالرمو , وان إخلاصه لذلك الملك المسيحي , وابتعاده عن عالم الإسلام, قد عاد عليه بعدم احترام , ولا مبالاة من جانب المعاصرين له [9] ومع ذلك , فيبدو إن ذلك الرأي , لا ينطبق على الحقيقة من شيء, على اعتبار إن ضياع سيرة الإدريسي; نجد نظيرا لها بالنسبة للعدد من الجغرافيين المسلمين من أولئك الذين لم يتصلوا بالعناصر المسيحية[10] .

---

[8] – حسين مؤنس , المرجع السابق , ص169, .

[9] – فلونس افرالاغ , المرجع السابق , ص419-420 .

[10] زكي حسن, الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ,ط. بيروت ,1981 ص67.

وتجدر الإشارة إلى إن الإدريسي ; قد ألف عددا من المؤلفات مثل كتابه نزهة المشتاق في ذكر الأقطار , والبلدان , والجزر والدائن والأفاق أو الكتابة الروجاري ويعد أهم مؤلفاته الجغرافية , وأوسعها شهره ثم كتاب روض الأنس,نزهة النفس وكتاب انس المهج وروض الفرج , وكتاب جني الأزهار من الروض المعطار في عجائب الأقطار [11] وهناك كتاب آخر له في مجال علم البنات , هو الجامع لصفات أشتات البنات [12] , ولا مراء في إن تلك المؤلفات التعدده تعكس عقلية الإدريسي

[11] محمد مرسي الحريري ,الشريف الادريسي ودور الرحلة في جغرافيته , ط . الاسكندرية 1985م,ص 8 .

[12]. علي عبد الله الدفاع , إسهام علماء العرب والملمين في علم النبات ,ط.بيروت , 1985,ص 191.وعن بيليو غرافيا مؤلفات الإدريسي يظر : homan, noticie bibliografiche sul geogrfo arabo aiidrisi(xii secole)e suiie sue opera.estratto degli,annall dell instituto universitato orientall di Napoli,roma1961.

وهي دراسة ببليوغرافية هامة – على الرغم من إيجازها وتجد عرضا لذلك العمل من جانب حسين مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد , م(11) , (12) , مدريد , 1963 – 1964 م , ص392– 394 .

وموهبته التأليفية بحيث ألف في العديد من العلوم والمعارف على نحو عكس بالضرورة موسوعية تكوينيه العقلي .

واهتمامنا الأول , في هذا الفصل ينصب على كتابين من مؤلفات الإدريسي , وهما نزهة المشتاق[13], وأنس المهج [14], والبحث عما أورده فيهما عن بلاد الشام , من زوايا متعددة , وجوانب مختلفة.

ومن الممكن أن تثار ناحية جديرة بالأهمية ألا وهي طبيعة ونوعية المصادر التي اعتمد عليها الإدريسي في تأليف كتابه نزهة المشتاق, والواقع إنها تعد ثلاثة مصادر, تتمثل في مشاهداته الشخصية من خلال ترحاله في البلاد المختلفة, وبالإضافة إلى التقارير التي وصلت من جانب أولئك الذين أوفدهم روجر الثاني إلى أنحاء مختلفة

---

[13] – عنوان الكتاب في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . ويلاحظ إن مخطوطات نزهة المشتاق في المخطوطة في المكتبة الأهلية .b.n في باريس تحت رقمين 2221 , 2222 ويصفهما حسين مؤنس على إنهما ليستا كاملتين , وان المتفق عليه بين الباحثين إن هاتين هما أحسن مخطوطات النزهة, وأكثرهما جدارة بالثقة ,كما أوضح إبراهيم شوكة الذي عمل تحقيق القسم الخاص بسوريا ولبنان , وفلسطين, والأردن , إن هناك نسخا أخرى في صورة مخطوط بولوك من اكس فورد ,oxford ومخطوطة مغربية , بالإضافة إلى مخطوطة موصلية . عن ذلك انظر: حسين مؤنس , الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس ,ط. مدريد 1967م , ص229– 230 , إبراهيم شوكة , تقديم تحقيق نزهة المشتاق , الجزء الخاص يوصف سوريا ولبنان وفلسطين والأردن , مجلة المجمع العلمي العراقي م(30) عام 1979, ص4.

[14]. انس المهج وروض الفرج, مخطوط مكتبة حكيم أدغلي تحت رقم 688, ومخطوط مكتبة حسن حسني تحت رقم 1289, وقام بتصوير الكتاب اعتمادا على المخطوطتين المذكورتين فؤاد سزكين, وصدر عمله من جانب معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية, جامعة فرانكفورت, ألمانيا الاتحادية عام 1984.

ومن المعروف إن المستشرق يوسف صورفيتش قد اكتشف المخطوطة المذكورة في مكتبة حكيم أدغلي, وعمل عدد من الدارسين على البحث فيها مثل سيبولد وكونراميلر.

ويلاحظ إن الإدريسي في هذا الكتاب يقرر انه يقتصر فيه " على الاختصار, وترك الهذر والإكثار" , مع ذلك مع اعتماده على المصادر التي ذكرها في مقدمة كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

وقد ذهب فؤاد سزكين إلى القول بأن هذا الكتاب من المحتمل إن الإدريسي قد ألف أواخر حياته للإمبراطور غليوم الأول (1154–166م) ولد روجر. عن ذلك انظر:

تقديم فؤاد سزكين لتصوير المخطوطة المذكورة, محمد المنوني, "الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها " , ومجلة المجمع العربي العلمي العراقي, م(29), عام 1987م, ص162.

من العالم, لجمع المعلومات اللازمة لذلك العمل الجغرافي الكبير, بالإضافة إلى المصادر الجغرافية المتعددة التي يمكن أن يعتد بها [15], مع ملاحظة إن ذلك كله من خلال إمكانية دولة النورمال في صقلية .

ولا نغفل في هذا المجال حقيقة محورية, تتمثل في إن قدرات الإدريسي, جعلته يحسن الإفادة من كافة تلك المصادر التي أتيحت له ومن الممكن أن نعلق على تلك الزاوية أهمية واضحة أدت بدورها إلى أن يؤلف كتاباته الجغرافية بتلك الصورة التي وصلت إلينا . وهي تعكس في واقعها, إمكانيات عنصر, وإمكانيات جغرافي قدير, أحسن استغلالها.

وقد اتسم كتاب نزهة المشتاق للإدريسي بالشمول, والعمق, على نحو جعل من صاحبه يحتل مكانه كبيرة في تاريخ جهود المسلمين الجغرافية في العصور الوسطى. وقد اعتبره البعض نقطة احتكاك بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية [16], ونظر إليه البعض الآخر عل انه اسطرابون العرب, واكبر جغرافييهم [17], وان كتابه يعد أفضل رسالة جغرافية في عالم العصور الوسطى [18], كما إن هناك من اعتبره مؤسس الدولة العربية النورمانية [19].

---

[15] جلال مظهر, حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي, ط.القاهرة, 1974م, ص402, زغلول النجار والدفاع, إسهام علماء المسلمين الأوائل, ص375, كراتشكوفسكي, مع المخطوطات العربية, ط.موسكو ب–ت, ص35.

[16] نفسه, نفس المرجع, ص374–375.

[17] بالنثيا, المرجع السابق, ص314, شوقي ضيف, المرجع السابق, ص19, حسين فهيم, أدب الرحلات, سلسلة عالم المعرفة, ط.الكويت, 1989م, ص96, عبد العال عبد المنعم الشامي, "جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الجغرافية", المؤتمر الإسلامي الجغرافي الأول, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, م(3), ط.الرياض, 1984م, ص281, عبد المنعم ماجد, الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى, ط. القاهرة, 1978م, ص235, شارفي, الفكر الإسلامي منابعه وآثاره, ت. احمد شلبي,ط.القاهرة, 1978م, ص123.

[18] عز الدين فراج, فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية, ط.القاهرة, 1978م, ص112, أنور عبد العليم, المرجع السابق, ص47.

ومع ذلك, يرى احد كبار المستشرقين المتخصصين في مجل الجغرافيا العربية في تلك العصور, إن الإدريسي "ابعد ما أن يكون اكبر الجغرافيين قاطبة داخل الإطار العام لتطور الأدب الجغرافي العربي, بل لا نستطيع أن نضعه في مصافي العلماء مبرزين الممتازين [20]", ويرى باحث آخر إن كتاب الإدريسي " ليس بأدق كتب الجغرافيا العربية , وإنما اشتهر بالدرجة الأولى بأنه من تأليف جغرافي عربي قضى معظم عمره في صقلية أي في بيئة أوربية تأثرت بالحضارة الإسلامية إلى حد بعيد"[21].

والواقع إن كلا من الرأيين السابقين يحويان تحاملا واضحا على الإدريسي, ومن الممكن تصور إن تلك الآراء المتحاملة علية قيلت في وقت لم تكن فيه الجهود التحقيقة لنزهة المشتاق قد اكتملت, ولم يكن النص العربي لذلك الكتاب قد ظهر بعد, ومن الممكن القول بان كتاب "نزهة المشتاق" جعل الإدريسي يحتل تلك المكانة

ومن المفيد في الواقع أن نتعرض بالرد على ماذهب إليه الباحث حسن علي حسن عندما ذكر ما نصه "إن كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار يعدل كتاب الإدريسي نزهة المشتاق في الأهمية, والواقع إن هذا التصور يحوي مبالغة جلية, لعدة اعتبارات, فمؤلفات الاستبصار المجهول, ويعتقد انه رحالة مغربي يعود إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي تطرق في وصفه لبلاد المغرب, ومصر, والحجاز في الأساس , ولم يتعرض لمناطق أخرى في آسيا وأوربا, وأفريقيا إلا نادرا, على عكس نزهة المشتاق الذي أوضح فيه الإدريسي جوانب هامة عبر القارة الأوربية ومناطق بها نائية وقل اهتمام الجغرافيين المسلمين السابقين بها, زد على ذلك إن الإدريسي أفاد من تصورات الجغرافيين والرحالة المسلمين السابقين عليه وهو أمر لا يتضح من خلال مطالعة الاستبصار, وأخيرة, فان نزهة المشتاق يعكس براعة عقلية الإدريسي من خلال توافر إمكانيات دولة النورمان بصقلية, وبالتالي توافرت له إمكانيات يمكن أن توصف بأنها استثنائية, أما كتاب الاستبصار فيعكس مجهودا فرديا –مع عدم إغفال دور ما يسمى بالناظر في الكتاب– وليس من اليسير مقارنة الكتاب الأخير بنزهة المشتاق للإدريسي أمام كافة الاعتبارات السابقة. عن الرأي السابق انظر:

حسن علي حسن, الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس, عصر الرابطين والموحدين, ط.القاهرة 1980, ص505.

[19] عبد الفتاح وهيبة, جغرافية العرب في العصور الوسطى, الجمعية الجغرافية المصرية, ط.القاهرة 1960م, ص17.

[20] كراتشكوفسكي, الأدب الجغرافي, ص303.

[21] فؤاد سزكين, تقديم تصوير مخطوط انس المهج وروض الفرج, ورقه (1).

الرقيقة, لأنه اعتمد فيه على الجغرافيين والرحالة المسلمين السابقين مثل الهمذاني (ت334هـ/946م) وابن حوقل (ق4هـ/10م) والمقدس (ت996/390م) وغيرهم [22], فكتابه "خلاصة الجغرافيا العربية في العصور الوسطى" حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي, ثم انه لا يعكس إمكانيات فردية– كشأن مؤلفات الجغرافيين المسلمين السابقين – بل انه يعكس إمكانيات وقدرات دولة هي دولة النورمان في صقلية, فإذا أضفنا إلى ذلك سياحات مؤلفة المتعددة نعرف إن الإدريسي توافرت له إمكانيات لم تأتي لغيره من الجغرافيين المسلمين السابقين.

---

[22] حسين مؤنس, الجغرافية والجغرافيون في الأندلس, ص217.

والهمذاني, هو أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمذاني المشهور بابن الحائك نشأ في أسرة متوسطة الحال, كانت تهتم بأمر الحجيج من المين, وأكثر الهمذاني من الأسفار خارج اليمن, مما أعطاه فرصة جيدة من اجل مجالسة العلماء في العديد من المدن والأقطار , وتعرض الهمذاني للسجن في عهد الإمام الزيدي احمد الناصر في عام 315هـ/937م, وألف العديد من المؤلفات منها كتاب الإكليل , وكتاب سرائر الحكمة, وكتاب القوى في الطب, وكتاب زيج الهمذاني , وكتاب صفة جزيرة العرب, وكتاب الجوهرتين العتيقتين الحائقتين الصفراء والبيضاء, وكتاب في الأنساب, وكتاب المسالك والممالك, وقد توفي الهمذاني في عام 334هـ/ 946م.

عن الهمذاني ومؤلفاته انظر:

الهمذاني, الإكليل , تحقيق محب الدين خطيب, ط.بيروت 1987م, ص18–24, القفطي, أخبار العلام بإخبار الحكماء, ط.بيروت ب–ت , ص113, زغلول النجار وعلي عبد الله الدفاع, المرجع السابق, ص296–304, احمد رمضان, المرجع السابق, ص95–100, أيمن فؤاد سيد, مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي, المعهد الفرنسي للآثار الشرقية, ط.القاهرة 1974م, ص68–67.

وابن حوقل , هو محمد ابن علي البغدادي الموصلي, يكنى بابي القاسم ولقب بابن حوقل, ولا نعرف الكثير عن حياته سواء انه غادر بغداد في عام 1331هـ/ 943م, من اجل دراسة البلاد والشعوب, ورغبة في الارتزاق من خلال التجارة, ولذا طاف أنحاء العالم الإسلامي.

وعن ابن حوقل انظر: ابن حوقل , صورة الأرض, تحقيق دي جوية, ط.ليدن 1967م, ص3–4 حسين مؤنس, مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافيا, ص247, احمد رمضان, المرجع السابق, ص117.

المقدسي, هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء وعرف باسم المقدسي, حيث ولد في مدينة بيت المقدس في عام 335هـ/945, وقد تلقى تعليما متميزا, وادي فريضة الحج, وهو في العشرين من عمرة, وكرس حياته من اجل دراسة الجغرافيا.

وعن المقدسي انظر: حاجي خليفة, كشف الظنون عن اسأمي الكتب والفنون , حـ1/ق1, ط.اسطنبول 1941م, ص16, شاكر الفحام, حياة المقدسي وعصره , ضن أعمال الندوة التي عقدت في دمشق في 1990/11/8م, في الاحتفال الذكرى الألفية لوفاته, صفي الدين أبو العز, الجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية عن المقدسي.

الأمر الذي جعل له تلك المكانة الرفيعة, ولذا يمكن القول– دون اعتساف في الأحكام– انه ابرز الجغرافيين المسلمين في عالم العصور الوسطى.

أما القول انه ابعد من أن يكون اكبر الجغرافيين قاطبة داخل الإطار العام لتطور الأدب الجغرافي العربي, فهو رأي متحامل, ولا يقف على قدميه في مواجهة النظرة العلمية الحديثة سواء لدى الباحثين المسلمين المحدثين أو الباحثين الاوربين . وفيما يتعلق بالرأي الآخر, وهو انه كتب مؤلفا في بيئة أوربية فحصل على تلك المكانة الرفيعة, فهو قول مردود, إذ إن البيئة الأوربية لا تضمن البتة للإدريسي تفوقه, ولا تضمن كذلك لكتابة الانتشار الواسع النطاق, في حالة كونه متواضع المستوى من الناحية العلمية, غير إن إمكانيات ذلك الجغرافي العقلية وكذلك الإمكانيات العلمية التي وضعت امامة ضمنت لذلك الكتاب تلك المكانة الرفيعة .

وإضافة إلى ما سبق, نجد إن الإدريسي قد زود كتابه بسبعين خريطة, وعدت خرائطه من أدق ما وصل إلينا من جغرافية المسلمين في العصور الوسطى, ووصفت بأنها خرائط حقيقية تعطي للناظر إليها تصورا واضحا من المواضع التي تصورها, وهي بالتأكيد كانت أدق من خرائط الجغرافيين اليونان القدامى لأنها من عمل "جغرافي خرائطي موهوب" , ومن هنا يكون التقدير للإدريسي, وعمله كله نصا وخرائط, ويزاد التقدير لمدرسة المسالكين المسلمين الذين يعد الإدريسي الذروة التي بلغتها أعمالهم [23].

---

[23] حسين مؤنس, الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس, ص217.

وعن دور الإدريسي في مجال علم الخرائط أو الكارتوجرافي, نعرف أن اكبر إضافة قدمها المسلمون , إلى ذلك العلم,تتمثل في خريطة الإدريسي للعالم, وقد تضمنت خريطته معلومات من كل من الجانبين, الغربي المسيحي, والشرقي الإسلامي, وتعود أهمية خريطته بالنسبة للمسيحيين إلى ثروة المعلومات الخاصة بالجزء الآسيوي, وكذلك منطقة الشرق الأوسط, وسط آسيا على نحو خاص, قد رسم الإدريسي خرائط أخرى, ونجد انه قد استخدم الألوان في رسمها وظهرت البحار باللون الأزرق, بينما نجده قد استخدم اللون الأخضر ليدل على الأنهار, واللون

أما الكتاب الثاني, من مؤلفات الإدريسي الجغرافيا فهو انس المهج, وروض الفرح, وهو لا يزال مخطوطا, ويفيد في تكملة صورة بلاد الشام عند ذلك الجغرافي في عصر الحروب الصليبية, ولا سيما خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

ومن الممكن أن تثار زاوية خلافية هامة, وهي تتصل بزيارة الإدريسي لبلاد الشام أو اعتماده على روايات الجغرافيين الآخرين الذين زاروا تلك البلاد, ويعزز كراتشكوفسكي إن الإدريسي زار لشبونا, وسواحل فرنسا, وانجلترا, [24], كما انه زار في عام 510هـ/1116م- كما ذكرت سلفا- آسيا الصغرى, ويقرر "الظاهر انه لم يرى بقية أفريقيا, واسيا" [25], والواقع إن هذا الرأي ممكن تفنيده على أساس عدة اعتبارات :

الأحمر والبني والأرجواني ليدل على الجبال, أما المدن فنجده قد جعلها مرسومة بدوائر مذهبة , عن دور الإدريسي في هذا المجال انظر:

محمد محمد سطيحة, الجغرافيا العملية وقراءة الخرائط, ط.بيروت 1974م, ص33-34, محمد صبحي عبد الحكيم وماهر الليثي, المرجع السابق, ص28-29, حسين مؤنس, مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافيا , ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية , ط.القاهرة 1970م, ص239, مونتجومري وات , فض الإسلام على الحضارة الغربية, ط.القاهرة 1986, ص35, علي عبد الله الدفاع, رواد علم الجغرافيا, ص153, احمد فؤاد باشا, المرجع السابق, ص111.

ويلاحظ إن المستشرق بلوشيا قد قام بنشر خريطتين من خرائط الإدريسي عن الشمال الأفريقي, وضمنها كتابه عن دراسة علم الخرائط عند المسلمين , الصادر في عام 1888م.

ومن بعد ذلك , قام المستشرق الألماني كونراد ميلر- وهو من كبار المهتمين بالدراسات الادريسية ولا سيما في مجال الخرائط- أو بعمل أطلس كامل خاص بالإدريسي, وقد احتوى على (73) خريطة وأضاف إليها قائمة تفصيلية التي وردت فيها وذلك في شتوجارت عام 1926.

[24] كراتشكوفسكي, الأدب الجغرافي, ص304.

[25] نفس المرجع والصفحة.

قد ردد ذات الفكرة محمد عبد الغني حسن, إذ أشار إلى انه قدم أوصافا لمدينة صيدا وبيروت, وبيت لحم في فلسطين, ويقول ما نصه "وان كان لم يتأكد زيارته لتلك البلاد, وهو هنا ناقل عن أوصاف غيره " انظر: الشريف الإدريسي, أشار الجغرافي العرب والإسلام, ص151.

أولا: إن وصف الإدريسي لبلاد الشام من خلال كتابيه" نزهة المشتاق" و"انس المهج" لا تدع مجال للشك في انه يعبر عن رؤية شاهد عيان معاصر للوجود الصليبي لعدد من المناطق في تلك البلاد خاصة خلال أوساط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي, ومن ثم تميزت نصوصه حول تلك المناطق عن نصوص الجغرافيين المسلمين السابقين وهو أمر لا يأتي, له إلا بالمشاهدة, والمعاينة, والمعايشة. وهو ما سيتضح لنا من خلال هذا الفصل .

ثانيا: في حالة كون الإدريسي لم يرى بلاد الشام, لاعتمد على مؤلفات الجغرافيين المسلمين السابقين,ولأشار بالتالي إلى مؤلفاتهم, الأمر الذي لا نجده في مؤلفاته, على نحو يفند المقولة السابقة, إذ إن ما كتبه عن بلاد الشام يعكس تصوراته الشخصية لا تصورات السابقين .

ثالثا: إن ارتباط الإدريسي بملك صقلية, روجر الثاني, يدعونا إلى التصور بان بلاد الشام كانت من المناطق الهامة التي من الضروري لذلك الجغرافي أن يذهب إليها, إذ إن ذلك الملك كان مسيحيا, ومن الطبيعي انه أراد معرفة الأماكن المقدسة المسيحية ف بفلسطين ومن المستبعد أن يعتمد الإدريسي في وصف تلك المناطق على مؤلفات السابقين ولا يراها رؤية عينيه , ويؤكد ذلك التصور وصفه لكنيسة القيامة على نحو يعكس انه كان يوما ما هناك .

رابعا:من المستبعد تماما إن يذهب الإدريسي إلى لشبونا, وسواحل فرنسا , وانكلترا, ويجد الدافعية لذلك , ولا يرتحل إلى بلاد الشام, وهي أصلا من ديار الإسلام وفي نطاق عالم البحر المتوسط, ولا توجد حواجز دينية أو لغوية تعوق اتصاله بتلك المنطقة الحيوية التي ذهب إليها كافة الجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى واحتلت مكانة رفيعة في مؤلفاتهم .

ونلخص من ذلك, إن مقولة كراتشكوفسكي لا تقف على قدميها, إذ انه رأى مناطق أخرى في آسيا ونعنى بذلك بلاد الشام, وهو ما يعنينا في هذه الدراسة.

مهما يكن من أمر , فمن الضروري تناول الجوانب التي تعرض لها الإدريسي كافة, واختصت ببلاد الشام, ومن أمثلتها تناول المدن الرئيسية في الساحل الشامي, وكذلك الجوانب الاقتصادية في المدن الشامية, ثم المزارات الدينية والعلاجية في ذلك العصر, ولا سيما المسيحيين, والمسلمين, ثم تعرضه للخريطة المذهبية لبلاد الشام في ذلك الحين, وأخيرا تناوله للقلاع والحصون هناك.

وتجدر الإشارة إلى إن ذلك الجغرافي يمتاز أسلوبه فيما نعرض له من جوانب خاصة ببلاد الشام, بالإيجاز, والاختصار بصفة عامة, ولذا نجد إن عبارته عبارة مركزة مباشرة الدلالة.

وقد اهتم الإدريسي بالساحل الشامي, وحرص على أن يوضح كل مدينة فيه من المدن التي خضعت للسيادة الصليبية, ومن المرجح إن كافة تلك المدن قد سيطر عليها الصليبيون, من قبل مقدم الإدريسي إلى بلاد الشام ونجده قد اهتم بإيراد الوضع السكاني لتلك المدن الشامية الساحلية, ودل ذلك جميعه على إدراكه للأهمية الكبيرة لتلك المنطقة الإستراتيجية والاقتصادية الهامة.

ونجد انه عندما تناول مدينة عكا(26), وهي من المدن الصليبية الرئيسية على الساحل, وصفها بأنها مدينة كبيرة ذات أرجاء متسعة, وضياعها كثيرة , ولها ميناء

---

[26] تكتب عكاء, أو عكا . وترد في المصادر التاريخية الصليبية, وهي من مدن الساحل الفلسطيني, وبعدت عن قيسارية بمسافة ستة وثلاثون ميلا, وقد استولى عليها الصليبيون وعلى رأسهم الملك الصليبي بلدوين الأول (1100-1117م) في عام 1104م -497هـ وغدت مركزا تجاريا بالغ الأهمية للكيان الصليبي, وازداد وجود التجار الأوربيين فيها من كافة الجنسيات من اجل القيام بعمليات الاستيراد والتصدير. وقد حرص العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس على مدى المرحلة من عام 1099-1187م, حرصوا على وصف مدينة عكا والازدهار التجاري بها , وتعدد السفن الموجودة في مينائها وكذلك الكثافة السكانية من أمم

مأمون من ناحية رسو السفن فيه[27], ونظرا لطبيعة تلك المدينة الساحلية التجارية, ووجود جنسيات متعددة فيها تعبيرا عن طبيعة الوجود الصليبي ذاته في بلاد الشام, حيث تكون من جنسيات مختلفة شملت الايطاليين, والفرنجة, ولانجلترا, والألمان, والدنماركيين, والروس, وغيرهم كثيرون, نجد إن ذلك الجغرافي قد أدرك طبيعة البنية السكانية غير المتجانسة لتلك المدينة الخاضعة للسيادة الصليبية. وفي ذلك قرر إن "أهلها أخلاط, وناس شتى" [28], وفي هذا تعبير صادق عن الديموغرافي , مع ملاحظة إن ذلك الوضع قد أدى إلى عدم تجانس المجتمع الصليبي, وتصارع عناصره على نحو ساعد على أن يسقط من الخارج على أيدي القوى السياسية الإسلامية المجاهدة .

وعند تناول الإدريسي مدينة حيفا [29], نجده قد أشار إلى أنها تحت طرف الكرمل, ولها مرسى جيد لإرساء الأساطيل[30], وقد أدرك الصلة بين المدن البرية الحبيسة

وأجناس مختلفة, وفيما بعد استردها المسلمون في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام 1187م/583هـ, وفيما بعد أخضعها الصليبيون في ظروف الحملة الصليبية الثالثة, وذلك عام 1191م/587هـ بعد حصار دام عامين وظلت بمثابة مركز الصليبيين السياسي- بالإضافة إلى مكانتها الاقتصادية وذلك بعد سقوط مدينة بيت المقدس في قبضة المسلمين, وفيما بعد استرد عكا المسلمون في عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاون عام 1291م/690هـ. عن عكا انظر:

المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ط.ليدن 1967, ص162-163, ناصر خسرو سفرنامة , ترجمة يحيى الخشاب, ط.القاهرة 1945م, ص15, الإدريسي انس المهج, ورقة (76).

[27] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص12.

[28] نفسه, نفس المصدر والصفحة.

ويلاحظ إن هناك من الرحالة الأوربيين, ممن زارو عكا خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري, من أشار إلى تزايد أعداد السكان في مدينة عكا مثل ثيودريس ويوحنا فوكاس

أيضا: محمد مؤنس احمد عوض, الرحالة الأوربيين في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1187) ط. القاهرة 1992م, ص184, ص218.

[29] وقعت حيفا على الجزء الجنوبي من اكبر خليج على شاطئ فلسطين, وتعد منفذا إلى البحر مرج ابن عامر وهو المرج الوحيد الذي يشق جبال فلسطين الغربية, وهذا المرج يمثل انحدارا تدريجيا إلى غور الأردن, وتعد حيفا , مركزا لشبكة من الطرق تتجه شمالا وشرقا وجنوبا , قد استولى الصليبيون عليها 1100م-494هـ, بمساعدة أسطول من البندقية, وقد دافع عنها سكانها ببسالة , وعندما دخلها الصليبيون ارتكبوا فيها مذبحة. وقد استردها

في بلاد الشام وتلك الساحلية, إذ إن الأخيرة عملت كمنافذ تصدير تجارة تلك المدن البرية الحبيسة, ومن ثم كان هناك الارتباط الوثيق الصلة بين تلك المدن, وقد أدرك الإدريسي, هذه العلاقة النفعية فنجده يقرر إن السويدية (سان سيمون) ميناء إنطاكية [31] وان انطرطوس مينا حمص [32], وحيفا ميناء طبرية [33], ويافا ميناء بيت المقدس[34].

ومن الجلي البين, إن ذلك الارتباط السابق قد تأكد مع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي, من خلال ادراكنا للنشاط التجاري المزدهر الذي شهدته مرحلة الحروب الصليبية, ومن المعروف إن مرحلة العصور الوسطى لم تشهد ثورة صناعية, بل شهدت ثورة تجارية, وينطبق ذلك بجلاء على النشاط التجاري الواسع النطاق الذي شهده عالم البحر المتوسط في ذلك الحين, ولا سيما القسم الشرقي منه, ومن ثم فان وصف الإدريسي لتلك المنطقة يعكس الحقيقة المؤكدة حينذاك إلا وهي ازدهار حركة التجارة هناك.

المسلمون في عام 1187م/ 583هـ. ثم من بعد ذلك سقطت في أيديهم بعد أن أخضعها الصليبيون ,وكان ذلك في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام 1265م/655هـ عن حيفا انظر:

ابن ألقلانسي, ذيل تاريخ دمشق, ص225, ابن عبد الظاهر, الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر,تحقيق الخويط, ط. الرياض 1976, ص234.

[30] الإدريسي, المصدر السابق, ص12.

[31] نفسه, انس المهج, ورقة (132).

[32] نفسه, نزهة المشتاق, ص19, انس المهج, ورقة (132).

[33] نفسه, نزهة المشتاق, ص19.

[34] نفسه, نفس المصدر ,ص7.

ويلاحظ إن مثل تلك الاشارت نجدها تتكرر في المصادر الجغرافية العربية التالية على عصر الإدريسي, من ذلك– على سبيل المثال– إن ابن شاهين , قد أورد إن صيدا – في عصره– تعد ميناء دمشق . عن ذلك انظر:

ابن شاهين, زبده كشف الممالك وبين الطرق والمسلك, تحقيق بول رافي, ط.باريس 1994م, ص47.

وأيضا: هايد , تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى, حـ1, ت. احمد محمد رضي , ط. القاهرة 1985م, ص185.

وهكذا, أوضح عرضة طبيعة الصلات التجارية بين المدن الاشمية, وكذلك مسألة الحج المسيحي, إذ إن الحجاج الأوربيين احتاجوا تلك الموانئ الساحلية من اجل الوصول عن طريقها إلى المدن الداخلية التي احتوت على المزارات الدينية المقدسة لدى المسيحيين على نحو خاص , وخير مثال على ذلك, ميناء يافا الذي كان الحجاج يصلون إليه, ومنه يسيرون في الطريق البري الصخري الوعر[35], من اجل الوصول إلى مدينة بيت المقدس.

ومن ناحية أخرى نجد ذلك الجغرافي, يحرص على الإشارة إلى الكثافة السكانية المرتفعة إذ ما وجدها في مدينة من مدن الساحل الشامي, ومن أمثلة ذلك إشارته إلى مدينة عرقة, وذكره لها على اعتبار أنها "عامرة بالخلق" [36], وهكذا نجد انه أدرك تلك الكثافة المتزايدة لا سيما لدى عكا وعرقة ومن المرجح إن الدور التجاري لكل منهما اكسبهما تلك الصفة,

---

[35] عن وصف الطري الممتد من يافا البيت المقدس, تعرف انه مر بمناطق ذات طبيعة جدلية, إلى أن يصل إلى السهل الساحلي, ويبلغ امتداده سبعه وستين ك.م , ويبدأ من غرب بيت المقدس من الباب الغربي لها, والمسمى باب يافا, ويستمر في هضبة القدس, ثم يعبر دير ياسين, وأبو غوش لم الرملة, وقد قام الصليبيون بتشييد ستة حصون على امتداد ذلك الطريق. وفي أوائل عهد الصليبيين في المنطقة, شن المسلمون حرب عصابات على أعدائهم عبر ذلك الطريق الذي وصفة الرحالة الروسي دانيال (1106-1107م) بأنه طريق صخري وخطر وأشار إلى هجمات المسلمين الفجائية ضد أعدائهم الصليبيين الذين سقطوا قتلى من جراء ذلك .

عن طريق يافا- بيت المقدس انظر Daniel, pilgrimage of the rusion abot Daniel in the holy land, trans. By Wilson, p.p.t.s, vol.iv, London, 1895, p.9.

سيد فرج, القدس عربية إسلامية, الدارة, السنة (8),العدد (2), يناير 1984م ص12, عبد الرحمن زكي, القلاع في الحروب الصليبية, المجلة التاريخية المصرية, م(15) عام 1969م, ص62,, فتحي عبد العزيز عبد الله, دور الكنيسة في مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام 1187, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب , جامعة الزقازيق عام 1988م, ص122, علي السيد علي, القدس في العصر المملوكي, ط. القاهرة 1986م, ص213.

[36] الإدريسي, المصدر السابق ص17.

أما عسقلان [37], فقد زارها الإدريسي بعد عام 548هـ/1153م, إذ يقرر إن الصليبيين أخضعوها في ذلك العام, ويفيد هذا القول في توضيح تاريخ زيارة الإدريسي لبلاد الشام وهي بالتالي وقعت بين عامي 548هـ/1153م, وعام 560هـ/1164م,, –والأخير عام وفاته– وقد أشار إلى ابرز ما فيها كما تصوره وهو أسواقها وأسوارها [38].

ومن ناحية أخرى, احتوى تناول الإدريسي لبلاد الشام من خلال كتابه نزهة المشتاق, جوانب اقتصادية هامة, وفي هذا المجال نجده يذكر أمر الثروة المعدنية, وكذلك المشتاق, جوانب اقتصادية هامة, وفي هذا المجال يذكر أمر الثروة المعدنية, وكذلك النشاطين الصناعي, والتجاري في العديد من المدن الشامية. على نحو يعكس إن ذلك الجغرافي كانت لديه رؤيته الاقتصادية الهامة.

---

[37] وقعت عسقلان على الساحل الفلسطيني على بعد اثنا عشر ك.م إلى الشمال من غزة, وعندما قدم الصليبيون إلى المنطقة بأخريات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كانت عسقلان تابعة للسيادة الفاطمية, ومثلت ميناء تجاريا هاما, وقاعدة بحرية متقدمة للفاطميين في فلسطين ووصفت بأنها عروس الشام, وقد استولى عليها الصليبيون في عام 1153م/548هـ, وذلك بعد حصار طويل في عهد الملك الصليبي بلدوين الثالث (1146–1163م) عن عسقلان انظر:

ابن حوقل , صورة الأرض , تحقيق دي جوية, ط.ليدن 1967م, ص174, اليعقوبي, كتاب البلدان, تحقيق دي جوية, ط. لندن, (س 229) ' إسحاق بن الحسين, آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان, باعتناء فهمي سعد , ط.بيروت 1988م, ص60, الإدريسي, انس المهج, ورقة (75).

William of tyre , vol. II, pp. 184–234, paldwin, the latin states under Baldwin III and amalric I, in setton, a, history of the crusades, vol.I,pennsylvania1958,pp.546–538.

عبد اللطيف عبد الهادي السيد, السياحة الخارجية لملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الثالث (1146–1163م) رسالة ماجستير غير منشورة_ كلية الآداب_ جاكعة عين شمس, عام 1990م, ص138–141, قسطنطين خمار, أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية الواردة في فلسطين حتى العام 1948م, ط.بيروت 1980م ص167, فهمي توفيق مقبل, الفاطميون والصليبيون, ط.بيروت ب–ت, ص117–122, احمد محمود الأحمد, السنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين, ط.دمشق 1399–1400هـ, ص29, بسام العسلي, نور الدين القائد, ط.بيروت 1988م. ص84–89, حسين مؤنس, نور الدين محمود, سيرة مجاهد صادق, ط.القاهرة 1959م, ص256–257.

[38] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص6.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة, إن الإدريسي حرص على إيراد تميز بيروت بالثروة المعدنية لا سيما الحديد, إذ أشار إلى انه بالقرب منها يوجد جبل فيه معدن الحديد الجيد ويقطع, ويتم استخراجه بكميات كبيرة [39], الأمر الذي انعكس بالضرورة على الصناعات التي يدخل فيها ذلك المعدن.

أما الزاوية الصناعية, فنجده قد أوضحها بالنسبة لمدينة دمشق , حاضرة الشام الكبرى, وكذلك بالنسبة لبيسان.

وقد أشار إلى أن دمشق تحتوي على ضروب من الصناعات[40], وأنواع من الملابس مثل الخز, والديباج النفيس الذي أعجب بصناعته أيما إعجاب حتى وصفه بأنه "عجيب الصنعة", وانه "عديم المثال" [41], وقد عقد مقارنة بين الديباج الدمشقي, والعديد من أنواع الثياب في مدن المشرق الاسلمي الكبرى فوجده يفوقها جميعا, ومن

---

39 نفسه, نفس المصدر, ص16. وانظر أيضا: ابن بطوطة, تحفة النظار في عجائب الأنصار, ط. بيروت 1964م, ص62.

40 الإدريسي, المصدر السابق, ص14, علي السيد علي, أضواء جديدة عل العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, بلاد المناصفات, الدارة, العدد (1), السنة (8), شوال–ذو القعدة– ذو الحجة 1412هـ, ص192.

41 الإدريسي, المصدر السابق, ص14.

ومن المفيد أن نذكر إن مدينة دمشق في العصر الذي زارها فيه الإدريسي عرفت واشتهرت بصناعة الثياب الحريرية التي عرفت باسم الدسمك لدى الأوربيين , والدمسك من الملابس الزخرفية, وخصص لها سداه واحدة ولحمة واحدة, كلاهما من للون واحد, أو من لونين مختلفين, وتحدث الزخرفة بهذا النوع من المنسوجين من خلال أطلس من السداة, وأطلس من الفضة, في أجزاء الزخرفة من اجل تغطية وإخفاء خيوط السداة تحت ذلك عن ثياب الدمسك انظر:

ألبدري, نزهة الأنام في محاسن الشام, ط.بيروت 1980م, ص214, نعمان قسطالي, الروضة الغناء في دمشق الفيحاء , ط.بيروت عام 1982م, ص121, صلاح ألعبيدي, الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية, ط.بغداد 1980م, ص69, روم لاندو, الإسلامي والعرب, ت. منير البعلبكي, ط.بيروت 1977م, ص337.

Serjeant, Islamic textiles, material for a history up to the mongul conquest, Beirut,1972, p.117.

أمثلة ذلك مقارنته بديباج البيزنطيين , وذكر انه يقارب ديباج تستر, وينافس ديباج اصبهان, ويشف على أعمال طرز نيسابور, وكذلك بديع ثياب تينس, وأنهى تعليقه على الثياب الدمشقية بأنها لا تنافسها ثياب [42].

وواقع الأمر, إن مقولة الإدريسي السابقة تعكس بجلاء مدى التفوق الذي حققته صناعة الثياب الدمشقية في عهد السلطان الملك العادل نور الدين محمود, الذي ازدهر الإنتاج الصناعي بصفة عامة في عهده, وشهادة الإدريسي, شهادة رجل قدم من سبته بالمغرب الأقصى, وطاف العديد من بقاع العالم المعمور في ذلك العصر, وشمل ترحاله قارات أفريقيا, واسيا, وأوربا, فهي فريدة من نوعها, وتعكس التفوق العالمي للثياب الدمشقية في ذلك العصر على غيرها من الثياب.

وكامتداد للجانب الصناعي, نجد إن ذلك الجغرافي, قد ذكر انه في مدينة بيسان توجد مدينة صناعة الحصر السامانية, ولا يوجد البتة إلا بها, ولا يتوافر في سائر أنحاء الشام [43], ويبدو إن صناعة تلك الحصر لم تكن بالإتقان والروعة التي وجدها ذلك الجغرافي الذواق في الثياب الدمشقية, ودليلنا على ذلك, انه على حين قال عبارات المديح والإعجاب الشديد بالديباج الدمشقي, وجدناه لا يمتدح الحصر السامانية. ولم يعقد مقارنة بينها, وبين أنواع الحصر في المدن الشرقية الأخرى. مما يدل على إنها كانت صناعات محلية, ولم تتطور بحيث تدخل مجال المنافسة العالمية, على عكس أمر الديباج الدمشقي.

وكامتداد لرؤية الاقتصادية, نجد إن الإدريسي قدم لنا رؤيته التجارية وقد حرص على تقديم صورة للأسواق التجارية, وكذلك أنواع السلع المتعددة, من ذلك أنها قرر بشأن

---

[42] الإدريسي, المصدر السابق, ص14.

[43] نفسه, نفس المصدر, ص5.

مدينة صيدا أنها زاخرة بالأسواق ولاحظ إن أسعار السلع فيها رخيصة [44]. كما وصف مدين دمشق بان تجارتها رابحة وانعكست عبارته مدى الثراء الكبير الذي حققت تلك المدينة, من عوائد النشاط التجاري, وقد ذكر إن ديباجها يحمل منها ليصدر إلى الأرجاء كافة القريبة والبعيدة.

ومن المعروف إن الصناعات الدمشقية المتقدمة في ذلك العصر, أمدت التجارة الدمشقية بزاد هام للتصدير, لقد دخل الديباج الدمشقي كسلعة عامة, في التجارة الدولية, في العصور الوسطى, ومن ثم أتت رواية الإدريسي في هذا الشأن دالة على ذلك.

إما عرقة فهي عنده كثيرة التجاريات, وطرابلس وصفها بأنها مقصود إليها بالأمتعة, وضروب الغلات, وصنوف التجارات [45] مما عكس انتعاشها الاقتصادي.

وتوجد ناحية لا تخلو من طراقة, وهي إن الإدريسي أشار في معرض حديثة عن صيدا إلى إن بها تجارة نوع معين من الأسماك, يصفه بأنه "طول الأصبع" وله علامات خاصة يعرف بها, يتم صيده ويجفف, ويسحق, ويسف بالماء,

---

[44] نفسه, نفس المصدر والصفحة.

ويلاحظ إن من العوامل الهامة التي أدت إلى ازدهار التجارة في المدن الشامية الخاضعة للسيادة الإسلامية في الوقت الذي زارها فيه الإدريسي, ما نلاحظ من اهتمام الدولة النورية بإنعاش النشاط التجاري في الحواضر الشامية الكبرى, مثل دمشق , وحلب, وقد أدركت تلك الدولة الأهمية الكبيرة للنشاط التجاري من اجل تدعيم ميزانيتها, حتى تستطيع مواصلة الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام, ولذلك سعت ما وسعها السعي نحو تنشيط حركة التبادل التجاري بين بلاد الشام والأقاليم المجاورة, ومن أمثلة ذلك, إن نقش باب شاغور الذي يعود إلى عام 551هـ/1156م, نجد فيه إعفاء وإزالة حق التسفير الذي كانت تحصل عليه الدولة على التجار المسافرين إلى العراق, والقادمين منها إلى دمشق حاضرة الشام المزدهرة تجاريا.

عن نقش باب شاغور انظر:

Comps, wiet, sauvaget, repertoiee chronologie d epigraphie arable, t.ix,p.16, wiet, notes d ebigraphie syromusulmane, Syria, t.vi, Paris, 1929,p. van berchem, inscription arabes de syrie, M.L.E.T III , caire 1922,p.453-454.

[45] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص17.

وهذا النوع يفيد من الناحية الجنسية بشكل كبير[46], ومن الطريف إن الإدريسي أشار إلى انه رأى ذلك النوع من الأسماك غير مره, وان لم يشر إلى تناوله أو تذوقه وربما منعه حيأوه من إن يذكر ذلك الأمر.

من ناحية أخرى, احتوت جغرافية الإدريسي عن بلاد الشام على إشارات هامة ولاسيما في ما يتصل بالمزارات الدينية المسيحية والإسلامية.

وجدير بالذكر إن الإدريسي يتميز من الجغرافيين المسلمين الآخرين الذين زاروا بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, على مدى القرنين 6 و7 هـ / 12 و13 م, بأنه أكثرهم تفصيلا بشأن المزارات المقدسة في فلسطين, فعلى حين نجدهم أوردوها بإيجاز بصفة عامة, ألا إن الإدريسي حرص الحرص أكبره على أن يفصل الحديث عنهم. ولعل تعليل ذلك إن الكتاب الذي ألفه ونعني به " نزهة المشتاق " قد ألف أصلا بناء على طلب روجر الثاني ملك صقلية, وبحكم مسيحيته على معرفة رؤية ذلك الجغرافي المسلم لتلك المواقع, ومن ثم حرص الأخير على إيرادها مفصلة في الغالب.

ومثل ذلك التفصيل, نجده يخالف الطابع العام بشأن الرواية الادريسية عن بلاد الشام في ذلك العصر, إذ إن الطابع العام الغالب عليها, هو طابع الإيجاز والاختصار,

---

46 نفسه, نفس المصدر, ص15–16.

وهناك نص مشابه لما أورده الإدريسي, قدمه لنا مؤرخ متأخر إلا وهو , العثماني (ق8هـ/14م) وقيمه نص الأخير, انه يوضح ما ذكره الإدريسي وقد التفاصيل الهامة بشأنه , وهو يقرر صراحة ضمن تناوله لتاريخ صفة, إن من توابعها بلاد الشقيف, ومرج عيون , وحدد قرية تسمى " ثول" ذكر إن بها يخرج سمك صغير اخذ في شهر فبراير (شباط) وتم استعمال الذكر منه, حيث توجد علامة مميزة له نفع في الباء نفعا كبيرا, ويقرر العناني, إن هذا النوع من السمك ذكره الأطباء في كتبهم وعبر عنهم بسمكة صيدا, وقيل انه بقرية من قراها, غير إن ذلك المؤرخ يستدرك ويذكر أنها في وقته من ضمن عمل الشقيف . عن ذلك انظر: العثمائي, تاريخ صفة, تحقيق رينورد لويس B.S.O.A.S.,VO.XV,1953 , ص481.

وهو أمر يدعونا إلى الاعتقاد بان ذلك الجغرافي فصل فيما رآه هاما وجديرا بالتفصيل, وأوجز عندما رأى إن الإيجاز ضروري. وخير مثال على ذلك دال على ذلك التفصيل موضوع المزارات المسيحية المقدسة في فلسطين.

وقد تعرض الإدريسي لعدد من الكنائس, مثل كنيسة القيامة, وقد أشار إلى مكانتها, وأوضح أنها يتم الحج إليها من جميع بلاد الروم من مشارق الأرض ومغاربها [(47)].

ومن المعروف إن الحج المسيحي لم يكن أصلا من أصول المسيحية المبكرة, وإنما بعد إن قامت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الكبير بالذهاب إلى بيت المقدس في

---

[47] الإدريسي, نفس المصدر, ص7.

وكنيسة القيامة بنتها هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين وذلك في عام 325م, فوق الجلجة , في الموضع الذي تم اكتشاف ما يزعم انه الخشبة التي قيل إن السيد المسيح صلب عليها كما يعتقد المسيحيون, وقد قام الفرس- خلال غزوهم للمدينة المقدسة- بإحراقها وذلك في عهد كسرى في عام 614م, كما أنهم احرقوا كافة الكنائس والأديرة التي وجدت فيها, وتمت إعادة بنائها وذلك على يد الراهب مورسطس في عام 617م , وفيما بعد عندما قام الخليفة عمر ابن الخطاب بفتح بيت المقدس عام 636م , لم يصب كنيسة القيامة بأذى, بل انه رفض أن يصلي فيها حتى لا يتم تحويلها إلى مسجد, وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله بتدميرها في مرحلة من المراحل عدائه إلى أهل الذمة , وعمل ابنه الظاهر من بعده إلى أعاده تعميرها, وعندما خضعت الكنيسة المذكورة لسيادة الصليبين عملوا إلى زيادة الاهتمام بها وصارت محل توافد الحجاج الأوربيين, ويلاحظ إن هناك من الرحالة المسلمين من وصف كنيسة القيامة من قبل الإدريسي, من ذلك إن الرحالة الفارسي ناصر خسرو أشار إلى ما فيها من الزخارف العظيمة من الرخام الملون , والنقوش , والصخور, وتحتوي على عدد من الصور الدينية.

عن كنيسة القيامة انظر:

ناصر خسرو, سفرنامة. ت. يحيى الخشاب, ط.بيروت 1983م, ص74-76, دانيال Danial.p.10 فاروق عز الدين, القدس تاريخا وجغرافيا ,ط. القاهرة 1981م, ص74-75, عبد العليم عبد الرحمن خضر, التطور العمراني لمدينة القدس, ط.الرياض 1981م, ص129-130, عماد الدين خليل, فلسطين في الأب الجغرافي العربي, ضمن كتاب دراسات جغرافية, ط.بيروت 1983م, ص139, مصطفى الدباغ, بلادنا فلسطين, حـ19, ق2, ط.بيروت 1975م, ص301, فيليب حتى , تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين, ط.ت جورج حداد وعبد المنعم رافق, ط. بيروت 1958م, ص405, شفيق جاسر, تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين حتى الحروب الصليبية , ط.عمان 1989م ص74-75, محمد عبد الله عنان, مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية, ط. القاهرة 1969م, ص11.

القرن الرابع الميلادي, صار ذلك تقريبا متبعا للمسيحيين [48], ولقبت بالقديسة هيلانة.

وتوافد الحجاج المسيحيون من بعد ذلك على بيت المقدس, ولدينا العديد من الأشخاص سواء من الرجال أو النساء قاموا برحلات الحج, وتركوا مدونات لرحلاتهم, حتى يطالعها المعاصرون واللاحقون, واستمرت رحلات الحج إلى هناك بصورة مكثفة خلال عصر الحروب الصليبية ومن بعده.

مهما يكن الأمر فان الإدريسي يصف بدقة تلك الكنيسة , ويقرر إن لها بابا في جهة الشمال , وينزل من خلاله إلى أسفل الكنيسة, ويسمى الباب " باب شنت مريه" أي القديسة مريم, وعند النزول إلى الداخل توجد المقبرة المقدسة العظمى, وهي ذات بابين, وتوجد عليها قبة قد أتقن بنيانها, وهي حصينة التشييد[49].

كذلك تناول كنيسة المهد في بيت لحم, وقد وصفها وصف المعجب بما فيها من مظاهر الثراء وبراعة البنيان حتى انه ذكر انه (ما أبصر في جميع الكنائس مثلها

---

48 عن القديسة هيلانة ودورها في هذا الصدد انظر:

Eusebius, extraits from eusebius life of Constantine, trans, by gohn Bernard, p.pp.t.s.vol.I,London 1896, p.11,attuuater,apenguin dictionary of saints, London 1978, p. 166, runciman, the pilgrimage to Palestine before 1095, in setton, a history of the crusades, vol.I,P, Pennsylvania 1952, p.96, a history of the crusades, penguin, books, vol.I,P, London 1978,p.39.

اسحق عبيد, قصة عثور القديسة هيلانة على خشب الصلب, أسطورة أم حقيقة, مجلة كلية الآداب –جامعة عين شمس, م(17), عام 1970م, ص5-21, شفيق جاسر, المرجع السابق, ص74, هنري كتن , القدس الشريف, ت. نور الدين كتانه, ط.عمان 1989م, ص58, حاشية عشرين .

49 الإدريسي, نزهة المشتاق, ص7.

بناء), وأشار إلى انه في ركن الهيكل من جهة الشمال توجد الغارة التي ولد فيها السيد المسيح [50].

ويلاحظ انه كنيستي القيامة والمهد و تعدان أهم الكنائس المسيحية في المنطقة ولقد حظيتا باهتمام الرحالة الأوربيين الذين ألفوا مؤلفات خاصة برحلات حجهم إلى هناك , كما اهتم بها الجغرافيون والرحالة المسلمين [51], وان لم يشيروا إليها – في الغالب – يمثل تلك التفاصيل التي نجدها لدى الإدريسي.

وبالإضافة إلى ذلك , هناك كنائس أخرى مثل كنيسة قدس الأقداس , وكنيسة السيدة مريم , تعرف باسم الجسمانية , وكنيسة باطرنصطرة [52], وقد أشار إلى وجود رجال ونساء مترهبنين , أو ينص ذلك الجغرافي " رجال ونساء محبوسون يبتغون بذلك , اجر الله سبحانه " [53].

زد على ذلك , إن هناك تناولا لأحد المزارات المسيحية الهامة في ذلك العصر, ونعني بها عين سلوان [54], وقد أشار عندها إن السيد المسيح, ابرأ فيها الضرير

---

[50] . المصدر نفسه، ص10.

[51] انظر الفصول التالية من هذا البحث.

[52] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص9.

[53] المصدر نفسه.

[54] وقعت عين سلوان في وادي قدرون , هو جزء من الوادي الممتد شرق بيت المقدس , وتعرف بالبركة الحمراء وتكتسب قداسة خاصة نظرا لما يقال إن السيد المسيح ليه السام قد أرسل رجلا كفيفا إليها, وأمره أن يغتسل من مائها فعاد إليه بصره بإذنه تبارك وتعالى . وقد قدم رايمونده جيل تناولا هاما لعين سلوان وذكر إنها عبارة عن نبع كبير يتدفق مرة كل ثلاثة أيام, ويقرر السكان المحليون أنها تتدفق يوم السبت فقط, أما باقي الأيام فهي عبارة عن مستنقع وقد ذكر إن التدافع الجنوني العنيف من اجل شرب الماء, جعل الكثيرين يلقون بأنفسهم في البركة , وقد تسبب ذلك في هلاك الكثير من الدواب , وكذلك نجد أن الرحالة الألماني يوحنا الوزير جي , قد ذكر إن عين سلوان ليس لها مصدر للمياه سوى جوف الأرض وعندما زار الرحالة اليهودي الاسباني بنيامين النطيلي المدينة , أشار إلى تلك العين , وذكر انه لا يوجد بها إلا اقل القليل من الماء وتجدر الإشارة إلى أن المنهاجي السيوطي قد ذكر العديد من الفضائل الخاصة بها, عن عين سلوان انظر: ابن حوقل , المصدر السابق, ص171, المقدسي, المصدر السابق, ص171, أبو العلا المعري, لزوم ما لا يلزم , ح2, ط.بيروت

الأعمى [55], كما تعرض لعدد من المزارات الدينية مثل ذكره لبيت لحم, وإشارته الى انه يوجد في الطريق الواقع بين بيت لحم, وبيت المقدس, قبر راحيل أم يوسف, وأم بنيامين, ولدى يعقوب عليه السلام, وقد وصف ذلك القبر بان عليه قبة معقودة بالصخر[56], كما تناول قبر اليعازر [57]. ويعبر عنه الإدريسي بأنه (قبر اليعازر الذي أحياه السيد المسيح).

ثم إن الإدريسي في موضع أخر, تجده يشير إلى وجود منازل كثيرة محفورة في الصخر إلى الجنوب من عين سلوان وهي على ما يبدو أديره (وفيها رجال قد حبسوا فيها أنفسهم عباده) [58] على حد قوله.

1961ك.ص468, ناصر خسرو , المصدر السابق, ص55, رايموند أجيل, تاريخ الفرنجة غزات بيت المقدس , ت.حسين عطية, ط. الإسكندرية 1990م, ص237, بنيامين التطيلي , الرحلة , ت. غزرا حداد, ط.بغداد 1945, ص102, حاشية (2), المنهاجي السيوطي, إتحاف الأقصى بفضائل المسجد الأقصى, ق1, تحقيق احمد رمضان, ط. القاهرة 1982م, ص211-224, Stewart, p.p.t.s, vol.v,london1896, p.51 gohn of wurzburg , description of the holy land, trins. By Aubrey

فاروق عز الدين, المرجع السابق, ص53, مرمرجي الدومنيكي, المرجع السابق, ص42-43, عبد الحميد زايد, القدس الخالدة, ط.القاهرة 1974م, ص17, كامل العسلي, من آثارنا في بيت المقدس, ط.عمان 1982م, ص103, مصطفى الدباغ, بلادنا فلسطين , حـ8-ق2, ط.بيروت 1974م, ص151-152, محمد عبد الجواد القاياتي, نفحة البشام في رحلة الشام, ط.بيروت 1981م, ص95.

[55] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص10.

[56] المصدر نفسه.

[57] القديس لازوروس, يظهره العهد الجديد على إن السيد المسيح قد أعاد إليه الحياة- وذلك بأذن الله تبارك وتعالى. بعد إن مات , وعاش لازوروس مع أختيه مريم , ومرتا في قرية بيتاني بالقرب من بيت المقدس , ويقال إن قبره في قرية العازرية (بيت عنا) على قارعة الطريق المؤدية إلى اريحة. اللازورس انظر:

يوحنا, الإصحاح (11), من 1 إلى 52, الإصحاح 12 من 1 إلى 11. pernard the wise, the tinerary of permard the wise, trans.by g.d.pernard, p. t.s., vol. III, London 1893, p.9,attwater, op.crt.,p.216,p.238

رمرجي الدومنيكي, المرجع السابق, ص219, كامل العسلي, تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص, ط. عمان 1987م, ص193-194.

[58] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص10.

ومعنى ذلك, إن أهم ملامح تناول الإدريسي لتلك الأماكن المقدسة المسيحية, انه أشار إلى الكنائس الهامة, وكذلك إلى القبور , بالإضافة إلى انه تعرض للأديرة, وهما من أماكن العبادة الدينية المسيحية .

ولدينا عدة ملاحظات على ذلك التناول:

أولا: إن الإدريسي عندما تعرض لتلك الأماكن, عبر عنها كأنها رحاله مسيحي.ولم يشأ أن يشير إلى اختلاف عقيدته الإسلامية عن معتقدات المسيحيين, بل انه عندما تعرض لأمر اليعازر, لم يشر إلى إن السيد المسيح أحياه بإذن الله تبارك وتعالى, كما انه عندما تناول أمر الاديره أشار إلى إن أولئك الرجال, والنساء, من الرهبان والراهبات حبسوا أنفسهم من اجل رضى الله تعالى . ويبدو إن التعليل المنطقي لكل ذلك انه ألف كتابه لروجر ملك صقلية.ومن ثم تناول الأماكن المقدسة المسيحية ,والرهبانية, بتلك العبارات المعتدلة, واللينة, والتي فيها قدرا لا يمكن إغفاله من المداراة .

ثانيا: من الممكن– بناءا على ما سبق أن تعتبر كتابه الإدريسي عن الزاوية السابقة نموذجا (للكتابة ذات التوجه الرسمي), على أساس انه عبر خلالها عن اتجاهات المسيحيين, دون أن يجعل لعقيدته دخلا في ذلك كله, ومن الأمور الملفتة للنظر هناك إن الإدريسي لم يشر أدنى إشارة عدائية حيال الصليبيين في بلاد الشام, على الرغم من انه مر بمناطق خاضعة لاحتلالهم ومن المتوقع والمنطقي إن الإدريسي في تجواله لمناطق الصليبيين قد شاهد المسلمين الخاضعين لسيادتهم السياسية واحتلالهم العسكري, يبدو إن كتابته لم تتناول أولئك المسلمين البتة. ومرة أخرى من الممكن القول إن الارتباط الرسمي لذلك الجغرافي ممكن أن نتلمس آثاره– أكثر من أي منطقة أخرى– في تعرضه لبلاد الشام خلال أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عر الميلادي.

ثالثا: إن أوصاف ذلك الجغرافي الدقيقة للاماكن المقدسة المسيحية في فلسطين تدل بجلاء على انه كان شاهد عيان لها وقدم وصفا من عنده, وهكذا فانه زار بلاد الشام وقدم ذلك الوصف, ولم يكن كما تصور بعض الباحثين قد اعتمد في وصفه على أوصاف الآخرين, الذين سبقوه إلى تلك البقاع.

أما إذا نحينا ذلك كله جانبا, وتوجهنا إلى تناول الإدريسي للمزارات الإسلامية, فإننا نجده يتعرض للمسجد الأقصى. وقد عمل على عقد مقارنه بينه وبين المسجد الجامع في قرطبة في الأندلس, وأشار إلى إن سقف جامع قرطبة اكبر من سقف الجامع الأقصى. كما إن صحن الأخير اكبر من صحن جامع قرطبة [59].

كما انه تعرض إلى قبة الصخرة, فعمل على وصفها وامتدح عمارتها التي هما من بناء الخلفاء المسلمين. وذكر إن طول هذه الصخرة مقارب لعرضها, وهي عشرة اذرع في مثلها [60]. ومن الملفت للانتباه إن الإدريسي لا يشير إلى ارتباط تلك الأماكن بالمعتقدات الإسلامية , وبخاصة ما اتصل بمعجزة الإسراء والمعراج كما انه لا يعبر عن مشاعره الدينية عن تلك المواضع المباركة على الرغم من إن الاحتلال الصليبي

---

[59] المصدر نفسه, ص8.

وعن المسجد الجامع في قرطبة انظر:

المقري, نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب,ح2, تحقيق إحسان عباس,ط.بيروت 1968م, ص561, محمد عبد الله عنان, الآثار الأندلسية الباقية في أسيا والبرتغال, ط.القاهرة 1961م, ص20–36, إبراهيم ناصر الدروي, عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية, ط.بغداد 1982م, ص276–287, السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس م الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ,ط. الإسكندرية 1961م, ص377–400, قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس,ط.بيروت 1971م, ص269, 355.

والجدير بالذكر إن مساحة المسجد الجامع في قرطبة تبلغ الأتي: الطول 180م * العرض 135, المساحة: 24300مترا مربعا. عن ذلك:

محمد عبد الله عنان , الآثار الأندلسية الباقية, ص22, إما المسجد الأموي بدمشق فمساحة تبلغ : الطول 131م * العرض 38م , المساحة 4978 مترا مربعا.

عن ذلك : محمد علي , الرحلة الشامية, ط.بيروت 1981م, ص 87.

[60] الإدريسي, نزهة المشتاق, ص8.

للقدس, كان قد ترك صدمة نفسية كبيرة للمسلمين, وكثيرا ما كان خضوع المسجد الأقصى, وقبة الصخرة للسيادة الصليبية في ذلك العصر يحرك مشاعر الجغرافيين , والرحالة المسلمين خاصة أولئك الذين قدموا من أنحاء جدا بعيدة سواء من المشرق أو المغرب الإسلاميين, غير انه في موقف الإدريسي , وجدناه يخفي مشاعره الدينية, ولا يقدم لنا انفعالا إسلاميا بالمواقع التي يزورها, ومرة أخرى نجد الارتباط الرسمي– على ما يبدو دافعا له نحو ذلك التوجه.

ومن جهة أخرى, تعرض الإدريسي للمسجد الأموي بدمشق, وقد أعجب به اشد الإعجاب[61], ويتضح ذلك من العبارات التي أطلقها عليه, وقد شدت عمارته انتباهه, وبصفة عامة, من الممكن القول بان كل ما هو دمشقي بهر ذلك الجغرافي, فجعل قلمه يقدم عبارات المديح والإطراء على ما رآه في تلك المدينة, وينطبق ذلك على المسجد الأموي هناك.

ومن المفيد أن نذكر, إن الإدريسي في أوصافه للمزارات الدينية كافة سواء المسيحية أو الإسلامية, يكتفي بتقديم الوصف الموجز, ولا يحرص على أن يمزج بين الوصف, والتاريخ, فلا يقدم لنا عرضا لتاريخ الأثر الذي يصفه, مما افقد عرضه جانبا مهما ومؤثرا من الحيوية المطلوبة في مثل ذلك التناول, وان لم يفقده قيمته الكبيرة بالطبع.

أضف إلى ذلك, انه تناول نوعا آخر من أنواع المزارات ونعني به المزارات العلاجية, التي يذهب إليها المرضى من اجل العلاج, وفي هذا المقام نجده يتعرض للعيون الساخنة في طبرية, وقد أوضح أنها حارة في الشتاء والصيف, وذكر اسم حمام الدمامز, كذلك حمام اللؤلؤ, وحمام المبخرة [62], مع ملاحظة انه لا يشير إلى دورهما العلاجي, وهو أمر سنجده يتردد فيما بعد عصر الإدريسي في كتاب

---

[61] . المصدر نفسه, ص63.

[62] المصدر نفسه, ص11.

الجغرافيين المسلمين, الذين قدموا إلى فلسطين, وعلى نحو خاص منطقة طبرية على امتداد عصر الحروب الصليبية, خلال القرنين 6و7 هـ/12و 13م.

وهناك زاوية هامة, تناولها ذلك الجغرافي, ألا وهي العمران في المدن الشامية الداخلية الخاضعة لسيطرة المسلمين وكذلك الكثافة السكانية بها, وفي هذا المقام من المفيد أن نذكر إن ذلك الجغرافي حرص على إيراد وفرة المصادر المائية في مناطق بلاد الشام الداخلية, فعلى سبيل المثال أشار إلى مياه غوطة دمشق, وذكر أنها تخرج من عين الفيجة, وهي عين في أعلى جبل , ويرى نزول الماء على قرية ابل حتى ينتهي إلى المدينة فتتفرغ منه الأنهار مثل نهر بردي, ونهر نورة, وقناة المزه, ونهر بانياس, ونهر يشكور وغيرها .

وفيما يتصل بوصفه للعمران البشري في تلك المدن الداخلية, نجد انه تعرض لمدينة دمشق, وأشار إلى الغوطة, وذكر إن بها ضياعا كالمدن, وقدم أمثلة على ذلك كالمزة, وداريا, وبردي, وهرشف, وكوكبا, وايلاس, وكفر سوسنه, وبيت الاهرار, وكتعبير عن الكثافة السكانية أشار إلى أن في كل واحدة من تلك الضياع نجد ألفي رجل , إلى ألف, أو اقل أو أكثر [63].

وتفيد عبارته الأخيرة في توضيح الكثافة السكانية لدمشق في ذلك العصر., ومن الواضح انه لا يقدم أرقاما إحصائية دقيقة عن الأعداد البشرية الموجودة في تلك الضياع, ومن المرجح أنها كانت أكثر من ذلك بكثير على اعتبار إن الغزو الصليبي لبلاد الشام ونجاح الصليبيين في زرع كيانهم الدخيل في المنطقة, أدى إلى حدوث عمليات طرد سكاني من المناطق المحتلة من جانب الغزاة إلى المدن الشامية الداخلية المسلمة, وبالطبع كانت دمشق إحدى تلك المدن التي نزح إليها المسلمون

---

[63] المصدر نفسه.

المنكوبون بالغزاة. ومع ذلك ليس من اليسير أن تدعم ذلك بأرقام إحصائية دقيقة نظرا لعدم دقة النصوص المصدرية في ذلك العصر فيما يتصل بتلك الناحية.

على أيه حال, أفادت إشارة الإدريسي في توضيح اتساع حجم العمران البشري لمدينة مثل دمشق, ولا سيما في منطقة الغوطة, التي كانت –على ما يبدو– قد شهدت ازدهارا واضحا عندما زارها ذلك الجغرافي.

من جهة أخرى. ألقت جغرافية الإدريسي الضوء على الخريطة العقيدية والمذهبية لبلاد الشام في أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي, وقد أشار إلى اليهود والمسيحيين, وكذلك عناصر الإسماعيلية النزارية.

وعلى سبيل المثال, نجده في نابلس يقرر إنها مدينة السامرية, وأشار إلى إن أهل بيت المقدس يذكرون إن السامرية لا يوجد احد منهم إلا في نابلس [64], ويبدو انه لم يكن مقتنعا بذلك على اعتبار انه ذكر ذلك القول من باب الزعم, مع ملاحظة إن نابلس في ذلك العصر– وكذلك في العصور التالية وحتى الآن– كانت بالفعل

---

[64] . المصدر نفسه, ص6.

والجدير بالذكر, إن السامرة ينسبون إلى سبط يوسف, ويجعلون سبب انشقاقهم عن باقي اليهود خلاف ديني نشأ بينهم وبين هذه الأسباط , ويلاحظ أنهم يصفون أنفسهم على أساس أنهم " المحافظون" , على اعتبار إنهم حافظوا ولا يزالون على أدق الشعائر سواء في مجال العبادات أو الشريعة, ولعل أوضح مجالات الخلاف بين السامرين واليهود, موضع القبلة , إذ إن السامرين, يرون ان جبل جرزيم بمثابة جبل مقدس , ويعتقدون إن عيد الفصح وقرابينه , لا يجوز إلا في هذا الجبل, الذي لا يتجاوز بحدوده الجغرافية مدينة نابلس في الضفة الغربية لنهر الأردن. عن وجود السامرة في نابلس وعقائدهم انظر:

ابن حوقل , المصدر السابق, ص172, اليعقوبي, كتاب البلدان, تحقيق دي جوية, ط.ليدن 1967م, ص328–329, الاصطخري, مسالك الممالك, تحقيق دي جوية, ط.ليدن 1967م, ص58, أبو الفداء, تقويم البلدان, تحقيق رينو ودي سلان, ط.باريس 1838, ص292–293, شيخ الربوة الدمشقي, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, تحقيق مهرا, ط. بطرسبرج 1835م ص201, كردعلي, خطوط الشام , حـ6, ط.دمشق 1983م, ص213–219, احمد رمضان, المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية , ط.القاهرة 1977م, ص61–62, فضل الله فارس ابن حلقة , مختصر في الجغرافيا, ط.بيروت 1890, ص151.

المركز الفعلي لعناصر السامرية, إذ لم يرد في المصادر الجغرافية العربية الأخرى أمر وجودهم في موضع أخر باستثنائها.

وبالنسبة لعناصر المسيحيين المحليين, نجد إن الإدريسي يقرر إن جونية أهلها مسيحيون يعاقبه [65], ولا يقدم إشارات أخرى خاصة بباقي العناصر المسيحية في بلاد الشام أو دعم بعضها للوجود الصليبي هناك ضد المسلمين[66].

وفيما يتعلق بالإسماعيلية النزارية, نجد إن الإدريسي قدم إشارة مقتضبة عنهم عندما ذكر قلعة الخوابي, وقد ذكر إن قلعة الخوابي أهلها حشيشية [67], وسفه عقائدهم, وهاجمهم لأنهم في نظره " خوارج عن الإسلام, لا يعتقدون شيئا من البعث, ولا القيامة من بعد الموت", ومن ثم لعنهم بمذهبهم [68].

ويعد الإدريسي من أوائل الجغرافيين المسلمين الذين وفدوا على بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, وأشاروا إلى عناصر الإسماعيلية النزارية, مع ملاحظة إن

---

65 الإدريسي, نزهة المشتاق, ص16.

66 من أمثله ذلك: دعم الموازنة في لبنان للوجود الصليبي , حيث عملوا كإدلاء ومرشدين, وكذلك كأطباء وتراجمه , واشتركوا في بعض المعارك الحربية لدعم الصليبيين ضد المسلمين. عن ذلك انظر

William of tyre, vol , II, p. 458, salibi, the maronites of Lebanon under the Frankish and manlula rule R.E.A.,T.IV, Annee 1957, p. 289, Mayer, the crusades, trans. By gillingham, oxford 1972, p.276, smail, the crusaders in Syria and the holy land, London 1974, p. 161, Churchill, the druzes and maronites , London 1862 , p.18.

هنري لامنس, تسؤيح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار, حـ2, ط.بيروت 1982م, ص55-56.

67 الإدريسي, المصدر السابق, ص19.

وقد وقعت قلعة الخوابي في شمال غرب صافيتا وجنوب شرق قلعة المرقب, وهي جزء من قلاع الدعوة الإسماعيلية عنها انظر:

ابن سعيد المغربي, بسط الأرض في الطول والعرض, تحقيق خوان خميس, نطوان 1958م, ص86, أسامة زكي زيد, , الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن 12م/ 6هـ), ط. الإسكندرية 1980م, ص95.

68 الإدريسي, نزهة المشتاق, ص19.

تناوله الموجز والمقتضب لهم, لا يقدم من خلاله جديدا, وإنما يفيد في انه يعكس الميول الإسلامية السنية لدى الإدريسي.

وتجدر الإشارة إلى إن الخوابي كانت كانت إحدى قلاع الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام, وقد تناثرت تلك القلاع بين الخوابي, ومصايف [69], -وهي المركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام في العصر الذي زارها خلال الإدريسي- والقدموس [70], والعليقة [71], والمينقة [72], والكهف [73], وجميعها, قد وقع ضمن نطاق كونتية طرابلس الصليبية.

---

69 تسمى مصايف, أو مصياب, أو مصيبات أو مصياء, وقد وقعت فوق تل متدرج الانحدار في الشعاب الواقعة إلى الشرق من جبال النصيرية, وهي بالتالي وقعت إلى الجنوب من قلعة الصرافة والى الشرق كذلك من قلعة القدموس, ووصف مصايف بأنها كانت محصنة تحصينا بالغا, على نحو يثير العجب فيها عملية استغلال المعالم الطبوغرافية , استغلالا كاملا, وهناك من يقرر أنها وجدت منذ العهد البيزنطي, وفي العصر الإسلامي سيطر عليها فرع من الأسرة المرداسية, وقد حاصرها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي, وذلك في عام 571هـ/ 11776م, بسبب محاولة عناصر الإسماعيلية النزارية اغتياله, ولكن تم عقد الصلح بين الجانبين فتم رفع الحصار, وفي عام 615هـ/1220م تمت عدة إصلاحات بالقلعة وتجديدات وهذا ما تكشف عنه النقوش الأثرية التي عثر عليها بداخلها , وقد تعرضت قلعة سولاف أل سيطرة المغول وذلك في عام 655هـ/1260م, حيث أخضعوها لنفوذهم مرحلة من الزمن وقاموا بتخريبها, وكان سقوطها النهائي في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس في عام 660هـ/1270م. عن قلعة مصياف انظر:

ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق, تحقيق زميدروز , ط.بيروت 1908م, ص272, أسامة بن منقذ, الاعتبار, تحقيق فيليب حتى , ط.برنستون 1930, ص148, حاشية (2), جوزيف نسيم يوسف, العدوان الصليبي لبلاد الشام, هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة, ط.بيروت 1981م, ص219, حاشية (1), مولر, القلاع أيام الحروب الصليبية , ت. محمد وليد الجلاء, ط.دمشق 1984م, ص88-89.

Van bercham, epigraphie des assassins, ja, T.LX,Annie1897, p.481. بسام العسلي, فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية , حـ4,ط. بيروت 1988م, ص547-556.

70. وقعت القدموس إلى الشرق من قلعة المرقب فيما بين قلعتي المصياف والكهف , وقد تمكن الإسماعيلية النزارية من الاستيلاء عليها, من صاحبها سيف الدين ابن عصرون,عام 1112-1113م/506هـ, واستفادوا من موقعها ضمن إقليم بانياس, من اجل مهاجمة المسلمين والصليبيين, على حد سواء , وذلك من اجل تحقيق مصالحهم العليا. انظر:

ابن العديم , زبده الحلب من تاريخ حلب, حـ2, تحقيق سامي الدهان, ط.دمشق 1947م, ص51, ص252, القلقشندى, صبحي الأعشى في صناعة الإنشاء,حـ4,ط.القاهرة 1912م, ص147, رنسيمان, تاريخ الحروب

ولا نغفل إن من دلائل قصور تناول الإدريسي للإسماعيلية النزارية انه لم يشر إلى عمليات الاغتيال التي قدموا بها في ذلك العصر, بيد أنها تفيد في توضيح نظرة الجغرافيين المغاربة لتباين الخريطة العقيدية لبلاد الشام في عصر الحروب الصليبية. وهو أمر سنجده يتردد- وباهتمام- على مدى صفحات مؤلفاتهم التي تركوها, و يستوي في ذلك الذين قدموا من المغرب أو من الأندلس.

وتبقى ناحية مهمة, أوردها الإدريسي في تناوله لأنحاء الشام, وهي تتعلق بالجانب الحربي, وما يتصل بالقلاع, والحصون الصليبية.

فمن الأمور الجديرة بالملاحظة, إن الإدريسي قدم إشارة لعلها الأقدم من بين الإشارات التي وصلت ألينا من ذلك العصر من جانب مؤلفات الجغرافيين المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام عن إحدى الهيئات الحربية الصليبية التي قامت بدور بارز في عصر الحروب الصليبية, ونعني بها هيئة الداوية, أي فرسان المعبد, ويلاحظ انه عندما تناول المسجد الأقصى تعرض للحديث عن الجزء المخصص لسكن فرسان الداوية هناك, ومن المعروف إن الصليبيين بعد احتلالهم لمدينة

الصليبية ,حـ3, ت.السيد ألباز ألعريني, ط.بيروت 19م, ص309, زكي نقاش, الحشاشون وإثرهم في السياسة والاجتماع, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب , جامعة القاهرة عام 1950م, ص133, برنارد لويس, الدعوة الإسماعيلية الجديدة , ت.سهيل زكار, ط.دمشق 1971م, ص125, عبد الكريم حناملة, صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوة المناوئة في بلاد الشام, الدارة, السنة (12), العدد (2), سبتمبر 1986, ص162.

[71] وقعت العليقة إلى الشام من قلعة المتيقة وجنوب شرق جبلة , عنها انظر:

القلقشندى, المصدر السابق,حـ2, ص147, الياس ديب, العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية, ط.بيروت 1874م, ص92, سالم , طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط.الإسكندرية 1966م, ص317

Le strange, Palestine, p. 352.

[72] وقعت المتيقة شمال قلعة الكهف إلى القرب من قلعة القدوس عندها انظر:

ابن بطوطة الرحلة, ط.بيروت 1964م, ص76, شيخ الربوة , المصدر السابق, ص208, عارف تامر, سنان وصلاح الدين, ط.بيروت 1956م, ص71.

[73] وقعت قلعة الكهف جنوب قلعة المتيقة والى الشمال من قلعة الخوابي, عنها انظر:

القلقشندى, المصدر السابق,حـ4, ص147.

المقدس حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة لاتينية أسموها معبد السيد, كما أنهم استخدموا المسجد الأقصى لصالحهم, وأطلقوا عليه اسم معبد سليمان وتم تقسيمه إلى ثلاث أقسام, فحولوا القسم الأول إلى كنيسة, والقسم الثاني جعلوه لفرسان الداولة, والقسم الثالث تم تحويله لكي يكون مستودعا لذخائرهم, وجعلوا تلك السراديب التي تحت المسجد لتكون إسطبلا لحيواناتهم [74].

ويلاحظ إن مؤلفات الرحالة الاوربين الذين زاروا بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري , تناولت هيئات الحربية الصليبية مثل الاسبتارية والداوية, وندر إن نجد إشارات عنهم في مؤلفات الجغرافيين المسلمين في ذلك العصر. وقد أشار الإدريسي إليهم على أنهم خدام بيت الله [75], وهذا الوصف بالطبع من خلال نظرة الصليبيين أنفسهم لتلك الهيئة الحربية.

ومن المعروف إن هيئة الداوية تأسست عام 1118م/512هـ, عندما أسسها فارسان صليبي بأنهما هيو دي باين, وجود فري دي سانت أومير [76], وقد وافق البابا على الهيئة وتم تكريسها في مجمع تروي في عام 1128م/522هـ [77], وانهالت الهبات, والمنح, والعطايا على الداوية, حتى حققت ثراء عظيما, وشاركت في العديد من المعارك الحربية, التي خاضها الصليبيون ضد المسلمين في بلاد الشام, كما امتلكت

---

74 الإدريسي, نزهة المشتاق, ص9, عارف العارف, تاريخ القدس, ط. القاهرة 1951م, ص71-72, جوزيف نسيم يوسف, الوحدة وحركات اليقظة العربية أيان العدوان الصليبي, ط الإسكندرية 1966م, ص16, العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى, ط.الإسكندرية 1983م, 263.

75 الإدريسي, المصدر السابق, ص9. William of tyre, vol.II,p.81

76 إبراهيم خميس, العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام (1193-1291م/ 589-690هـ) , رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الإسكندرية عام 1987م, ص 47
runciman, a history of the crusades, vol.II,157.

77 محمد مؤنس احمد عوض, التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة عين شمس, عام 1984م, ص379.

الهيئة المذكورة العديد من القلاع الحربية, التي تناثرت على طول امتداد الوجود الصليبي وعرضه هناك.

ومن جهة أخرى, نجد إن ذلك الجغرافي, قد تناول أمر القلاع الصليبية, ومن ذلك تعرضه لتلك القلاع التي أقامها الأمير الصليبي رايموند دي سانت جيل –ويسميه ابن سهيل– في مواجهة طرابلس [78] بشمال لبنان.

وجدير بالذكر, أن رايموند دي سانت جيل بعد أن تمكن من إخضاع جبيل عام 1104م/500هـ, ازداد إصراره, وقويت عزيمته من اجل إخضاع طرابلس حيث كان يحكمها بنو عمار, من اجل أن يجعلها قاعدة لإمارة صليبية له ولأسرته من بعده.

وفي ظروف صراعه مع طرابلس, عمل على اختيار أكمة صخرية على الضفة اليسرى من نهر أبي علي (فاديشا) عرفت باسم تله الحجاج [79], وقد سماها المسلمون باسم قلعة صنجيل نسبة إلى ذلك الأمير الصليبي.

وتجدر الإشارة إلى إن اختيار الموقع الذي أقيمت فيه القلعة, كان موفقا لعدة اعتبارات, إذ إن القلعة أقيمت في مكان يشرف على مدينة طرابلس والأراضي المحيطة بها, حيث يسهل على الجند المرابطين فيه رصد كل النجدات البرية التي

---

[78] الإدريسي, المصدر السابق, ص17.

وعن تلك القلعة التي لا تزال بقاياها قائمة في طرابلس بشمال لبنان انظر:

Filcher of charters, p.194 William of tyre, vol, I,p.454, feden, crusader castles, beirut1957, p.24 عمر عبد السلام تدمري, تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور, عصر الصراع العربي, البيزنطي والحروب الصليبية , ط.بيروت 1984م, ص408, مولر, القلاع أيام الحروب الصليبية , ت.محمد وليد الجلاد, دمشق 1984م, ص15, السيد عبد العزيز سالم, طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط.الإسكندرية 1966م, ص95, محمد محمد الشيخ, الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي, ط. الإسكندرية 1980م, ص239, سعيد برجاو , الحروب الصليبية في المشرق, ط.بيروت 1984م., ص203.

[79] William of tyre, vol.I,P,. 454.

تصل إلى طرابلس من خارجها, بالإضافة إلى تحركات قوات طرابلس ذاتها, ومن جهة أخرى, كان من الممكن للصليبيين من خلال قلعتهم أن يسيطروا على مجرى النهر الذي يقوم بتزويد المدينة, وارباضها باحتياجاتها من المياه, وكان بالإمكان إن يحصل الصليبيون على المياه عن طريق أبواب القلعة الشرقية الواقعة أسفل سفح التلة, ولا ترتفع عن مجرى النهر إلا بضعة أمتار, فضلا عن موقع تلك القلعة المرتفع من شانه إن يكتسب مناعة وتفوقا عسكريا على المدينة الساحلية [80].

ويلاحظ إن رايموند دي سانت جيل قد حصل على دعم من جانب الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين (1080-1118م), الذي أرسل له الميرة, والأخشاب, والمعدات التي كان في احتياج إليها, وذلك من جزيرة قبرص [81] المقابلة للساحل اللبناني.

ويبدو إن الأمير الصليبي قد عمل على تدعيم أبنية تلك القلعة, وشحنها بالأموال, والرجال, والسلاح[82], وفي عام 1104م/500هـ, صارت القلعة مكتملة البناء, وصارت حقيقة واقعة , ومثلت تهديدا قائما, وحقيقيا لبني عمار, حكام طرابلس [83].

وتجدر الإشارة كذلك إلى إن تلك القلعة التي أقامها ريموند دي سانت جيل كانت بمثابة القلعة الأولى التي أقامها الصليبيون في المنطقة, ومن بعدها تعددت قلاعهم بإعداد كبيرة في العديد من أنحاء بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية على مدى القرنين 12, 13م/ 6, 7هـ.

---

80 عمر عبد السلام تدمري, المرجع السابق, ص408.

81 ونسيمان, المرجع السابق, حـ2, ص99, محمد محمد الشيخ, المرجع السابق, ص240, عاشور, الحركة الصليبية , حـ1, ص360, عمر عبد السلام تدمري, المرجع السابق, ص408.

82 عمر عبد السلام تدمري, المرجع السابق, ص411.

83 الإدريسي, المرجع السابق, ص3.

زد على ذلك, انه عندما أشار إلى مدينة عرقه ذكر إن لها حصنا كبيرا [(84)], ولم يضف إلى عبارته الموجزة مزيدا من التناول لتلك القلعة الهامة التي عدت من قلاع عمارة طرابلس الصليبية .

وقد قامت قلعة عرقة على المنحدرات الشمالية من لبنان أسفل الوادي المؤدي إلى حمص وحمى, وبعدت عن بعلبك بمسافة 96 ميلا وعن جزيرة أرواء بمسافة 45ميل[(85)], أما اسمها فانه يرد في كتابات الصليبيين على انه Arqa أو Archas[(86)], وكانت قلعة عرقة على درجة كبيرة من الحصانة على نحو اعترف به المؤرخ المجهول صاحب الجستا[(87)], في وقت مبكر من مقدم الصليبيين إلى المنطقة, وقد استولى عليها الصليبيون بقيادة الأمير الصليبي وليم جوردن (1105-1108م/ 498-501هـ) وذلك في عام 1108م/ 502هـ [(88)].

من أهم المراحل التي نجدها في تاريخ قلعة عرقة, عندما عهد الملك الصليبي عموري الأول (1164-1176م/ 559-571هـ) بأمرها إلى هيئة الاسبتارية, وكان ذلك خلال مدة وصايته على إمارة طرابلي , عندما كان ريموند الثالث(1152-

---

[84] عن موقع قلعة عرفة انظر:

أبو الفداء, تحقيق رينو ودي سلان, ط.باريس 1848م, ص254-255, ابن شداد الحلبي الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة, حـ2, تحقيق سامي الدهان, حـ1, دمشق 1954م, ص93, ابن شاهين, المصدر السابق, ص48, شيخ الربوة , المصدر السابق, ص208, الياس ديب, المرجع السابق, ص94, فيليب دي طرازي , اصدق ما كان من تاريخ لبنان, حـ1, ط.بيروت ب-ت, ص25 ,nantet histoire de leban Paris 1963, p.61, Stevenson, the crusaders, 31

[85] Anonymous, the deeds of the franks and other pilgrims, trans.by hill, new York, 1962, p.83. سعيد عاشور , الحركة الصليبية, حـ2, ط. القاهرة , 1966م, ص1286.

[86] Anonymous, the deeds of the franks, p.83.

[87] ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص162, ابن ظافر الاسدي, أخبار الدولة المنقطعة, تحقيق اندريه, ط. القاهرة 19م, ص87, الذهبي, دول الإسلام حـ2,تحقيق فهيم شلتوت, محمد مصطفى , ط.القاهرة 1970, ص20, العبر في خبر من غير,حـ4, تحقيق صلاح الدين منجد, ط. الكويت 1963م, ص10.

[88] Runciman, the crusades, vol.II.p.389.

1187م/ 547-583هـ) في الأسر, وعندما عاد من أسره ثبت تلك المنحة للهيئة المذكورة, وأضاف إليها بعض الامتيازات الجديدة, ويحدد البعض ذلك بأنه تم في عام 1170م/ 566هـ [89].

وقد أصاب قلعة عرقه الهزات الزلزالية المدمرة التي حلت ببلاد الشام في ذلك العصر, مثلما حدث عام 1170م/565هـ[90],

وكذلك عام 1202م/597هـ [91], وقد اتجه فرسان الاستبارية إلى إصلاح ما قد تهدم من أبنيتها من جراء ذلك, لتدعيم حصانتها في مواجهة الصراع مع المسلمين.

---

89 عاشور, الحركة الصليبية , حـ2, ص714.

90 عن زلزال عام 1170م/565 انظر:

الأصفهاني, البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان, تحقيق كلور كاهن -1957 vII-VIII, annee, 1958,p.e.o., t. ص138, الفتح البنداري, سنا البرق الشامي, تحقيق فتحية النبراوي, ط. القاهرة 1979م, ص47, ابن الأثير , الكامل, حـ11, ط.بيروت ب-ت , ص143, التاريخ الباهر في الدول الاتابكية في الموصل , تحقيق عبد القادر طليمات, ط. القاهرة 1963, ص154, ابن العديم, المصدر السابق, حـ2, ص330, ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الملوك والأمم , حـ9, ط. حيدر أباد الدكن 1359هـ, حـ230, أبو الفداء المختصر في أخبار البشر, حـ5, ط.بيروت 1960م, ص66 المقريزي, اتعاض الحنفا بإخبار الأمم الفاطمية الخلفاء, حـ1, تحقيق محمد حلمي محمد احمد, ط. القاهرة 1973, ص318, الذهبي, دول الإسلام, حـ2 تحقيق شلتوت وزميلة , ط. القاهرة 1970م, ص78, ابن الفرات , تاريخ الدول والملوك, م (4), حـ (1), تحقيق الشماع , ط.البرة 1976م ص94-95, ابن قاضي شهبه, المصدر السابق, ص189.

شاكر أبو بدر, الحروب الصليبية والأسرة الزنكية, ط.بيروت, ب-ت, ص18, سالم , دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي,ط.بيروت 1970, ص112, عماد الدين خليل , نور الدين محمود وتجربته الإسلامية, ط.دمشق 1987م, ص18, اشتور,التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى, ت. عبد الهادي أبو عبلة , ط. دمشق 1985م, ص281, كردعلي, غوطة دمشق, ط. القاهرة 1950م, ص215عبد الله يوسف الغنيم, أسباب الزلزال وأحداثها في التراث العربي , مجلة المجمع العلمي العراقي, م(32), حـ2, ط. بغداد 1984, ص235-236.

91 عن زلزال عام 1201م-597هـ انظر : ابن الأثير , الكامل , حـ9, ط.بيروت ب-ت, ص255, ابن كثير, البداية والنهاية , حـ13, ط. القاهرة ب-ت, ص27-28, ابن نظيف الحموي, التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان, تحقيق أبو العيد دودر, ط. دمشق 1989م, ص25.

وقد ظلت القلعة المذكورة في قبضة القوى الصليبية, إلى أن خضعت لسيطرة المسلمين وذلك في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس وذلك في عام 1271م/ 669 [92].

كما إن الإدريسي أشار إلى قلعة بغراس [93], وهي من قلاع إمارة أنطاكية الصليبية, وان لم يذكر شيئا عن تاريخها ودورها في الصراع الإسلامي/ الصليبي.

وجدير بالذكر, إن قلعة بغراس, قد وقعت في مكان فيما بين أنطاكية, وقيليقية الارمنية, خلف جبل اللكام الهائل, المعروف باسم امانوس, وبعدت عن أنطاكية بمسافة اثني عشر ميلا, وبالقرب منها وجد حصن دربساك , إلا إن قلعة بغراس كانت اقرب إلى أنطاكية من دربساك [94].

وقد حصلت هيئة الداوية على قلعة بغراس, وذلك في عهد الملك الصليبي عموري الأول, وهي سياسة اتبعها منذ عام 1167م/563هـ, وشاركه نفس التوجه أمراء الإمارات الصليبية الأخرى, وقد اتجه الأمير بوهيمند الثالث (1163–1201م/

---

92 ابن عبد الظاهر, المصدر السابق, ص251, ابن شداد الحلبي, المصدر السابق, حـ2, ص95, ابن بهادر, فتوح النصر, حـ1, ورقة (109).

93 الإدريسي, انس المهج, ورقة (134).

94 الموقع بغراس انظر:

أبو الفداء, المصدر السابق, ص258–259, ابن عبد الحق البغدادي, مراض الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع,حـ1, تحقيق البجاوي, ط. القاهرة 1954م, ص209, العمري, التعريف بالمصطلح الشريف, ط. القاهرة ب–ت, ص195, ألخالدي, المقصد الرفيع المنشأ, ورقة (92), مرمنجي الدونميكي, المرجع السابق, ص172.

558–597هـ) إلى إعطاء الداوية العديد من المواقع حول بغراس [95], من اجل تدعيم دفاعات إمارة أنطاكية.

وفي عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي, استولى المسلمون على قلعة بغراس وذلك في عام 584هـ/1188م [96], واظهر الداوية مقاومة عنيفة في مواجهة الجيش الأيوبي [97], واتجه صلاح الدين الأيوبي من بعد ذلك إلى تخريب بغراس.

وفيما بعد عادت القلعة المذكورة لسيطرة الصليبيين, ولذا حرص الأيوبيين على مهاجمتها, ونجد إن الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب شن هجوما واسع النطاق عليها وذلك عام 621هـ/1226م [98] وعلى مدى سبعة أشهر كاملة, وان لم يتوصل إلى نتائج حاسمة حيالها بسبب حصانتها ومناعتها, وقد ظلت قلعة بغراس في قبضة الصليبيين إلى أن سقطت في قبضة المسلمين, وذلك في عهد السلطان

---

[95] . عاشور, الحركة الصليبية, حـ2, ط. القاهرة 1966م, ص693, حامد غنيم, الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية, حـ2, ط. القاهرة 1972م, ص61.

[96] . ابن شداد, النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية , تحقيق جمال الدين الشيال,ط. القاهرة 1964م, ص93, ابن خلكان, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, حـ3, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, ط. القاهرة 1948م, ص192, ابن العديم, بغية الطلب, حـ2, ورقة (229), الحريري, الأعلام والتبيين, ورقة (15), الذهبي, دول الإسلام, حـ2, ص96, محي الدين الحنبلي, الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل, حـ1, تحقيق محمد بحر العلوم, ط. النجف, ص354.

[97] . ابن شداد, المصدر السابق, ص93.

[98] . ابن عبد الظاهر, المصدر السابق, ص326, عاشور, المرجع السابق, حـ2, ص1026.

ويلاحظ إن بهادر اعتقد إن ذلك تم في عهد الظاهر غازي صاحب حلب, انظر المخطوط السابق, حـ1, ورقة 113,

والواقع إن قوله ينطوي على مغالطة واضحة, ذلك إن الظهر غازي قد توفي عام 613هـ/1216م(انظر, ابن واصل, مفرج الكروب, ص241), والخليفة إن ابنه الملك العزيز قام بذلك الدور.

الظاهر بيبرس وذلك في عام 661هـ/105261م [99], على نحو فقدت معه إمارة أنطاكية الصليبية جانبا حيويا من قدراتها الدفاعية.

ومن المفيد أن نلاحظ إن كافة القلاع الصليبية السابقة التي أشار إليها الإدريسي قد بناها الصليبيون من اجل تحقيق أهداف إستراتيجية هامة, ولسد الثغرات وعلاج مشكلات ملحة واجهوها بعد مقدمهم إلى بلاد الشام, ولعل أوضح تلك المشكلات, مشكلة نقص العنصر البشري, ويلاحظ إن تلك المشكلة طالما أرقت الصليبيين , نظرا لوجودهم ككيان قليل السكان إذا ما قورن بالمحيط الإسلامي العام الذي اتسم بالكثافة السكانية المرتفعة.

وفي هذا المقام نذكر إن الجيش الصليبي الذي خرج من نيقية عام 1097م/490هـ, كان ضمنا إذا ما قورن بالجيوش المعاصرة, لكن خسائر التي منى بها الصليبيون عند ضورلبوم كانت مرتفعة أيضا, ويرجع إن الجيش الصليبي الذي فرض الحصار على مدينة أنطاكية تراوح بين الخمسين, والمائة ألف, وعندما اقترب الصليبيون من تحقيق هدفهم انسلخ القادة الصليبيون الواحد تلو الآخر بالقوة العسكرية المرافقة له من اجل أن يؤسسوا ممتلكات إقطاعية لهم, وهكذا, يرى البعض إن الجيش الذي وصل إلى بيت المقدس محاصرا لهم لم يتجاوز 1500 فارسا وعشرة أمثالهم من الجنود المشاة [100], وقد يرى البعض إن هناك الدعم البشري القادم من الغرب

---

99 . ابن عبد الظاهر, المصدر السابق, ص325, الذهبي, دول الإسلام, حـ2, ص170, المقريزي, السلوك لمعرفة دول الملوك, حـ1, ق2, تحقيق مصطفى زيادة, ط.القاهرة , ص571, ابن بهادر, المصدر السابق, حـ1, ورقة 113, عاشور, المرجع السابق, حـ2, ص1150, الظاهر بيبرس, سلسلة أعلام العرب , ط.القاهرة 1963م, ص73, المماليك داوية الإسلام, مجلة العربي, العدد (277) لعام 1981, ص57.

100 . محمود الحويري, الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين 12, 13, ط. القاهرة 1977م, ص185-186ز وعن مشكلة نقص العنصر البشري بصفة عامة انظر:

Prawer, the settlement of the altins in gerusalem, speculum, vol xxvll,pp.449-503, Russell, the population of the crusader states in setton a history of the crusades, vol

الأوربي, بيد إن ذلك المدد لم يكن مستمرا, وكان عرضة للتقلبات, وهكذا لم يكن إمام الصليبيين إلا أن يشيدوا القلاع والحصون من اجل تعويض النقص البشري لديهم, وحتى يدعموا كيانهم على حساب أراضي المسلمين في المنطقة.

ولا نغفل إن تلك القلاع التي أقامها الصليبيون على امتداد وجودهم في بلاد الشام, مثلت احد أشكال تغيير هوية المنطقة على المستوى الطوبوغرافي, وكرست الاحتلال الصليبي لأراضي المسلمين, واستمر الوجود الصليبي قائما طالما استمرت تلك القلاع والحصون, وعندما سقطت, كان ذلك إشارة إلى سقوط الكيان الصليبي برمته.

وهناك حقيقة مهمة , ألا وهي, إن حرص الجغرافيين المسلمين الذين وفدوا إلى بلاد الشام في ذلك العصر على إيراد أمر تلك القلاع الصليبية يدل على إدراكهم لخطورة أمرها ودورها في دعم الكيان الغازي لأراضي المسلمين. ويعد الإدريسي في أشارته السالفة الذكر من أوائل الجغرافيين المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام خلال القرنين 6,7 هـ/ 12,13م وأدركوا أهمية دور تلك القلاع ومن ثم تناولها في كتاباته الجغرافية.

3- القزويني

(ت672هـ/1273م)

التعريف بالجغرافي القزويني [101] (ت 672هـ / 1273 م) , واهم ما تناوله في مؤلفاته عن بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية , ومن الواضح إن ذلك العلم

---

v, Madison, 1985 pp 295-314, fedden, crusader castales p.13 سعيد عاشور, الحركة الصليبية, حـ1, ط. القاهرة م, ص322.

[101] . عن القزويني ينظر:

ابن القوطي, الحوادث الجامعة, التجارب النافعة في المائة السابعة, تحقيق مصطفى جواد, ط.بغداد 1351هـ, ص128-130, تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب, حـ4/ق2, تحقيق مصطفى جودة, ط.دمشق 1967م,

الجغرافي قد أفاد في إلقاء الضوء على أوضاع تلك البلاد من كافة الجوانب , الأمر الذي سيعنى هذا الفصل بتوضيحه .

والقزويني هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني , ولد في عام 600 هـ / 1203 م في بلدة قزوين الواقعة في شمال إيران , وهو ينتمي إلى إحدى الاسراة العربية التي استقرت في العراق العجمي منذ أمد بعيد[102] , ويقال نسبه إلى الإمام مالك[103] , وقد تنقل القزويني بين أنحاء متعددة من أقاليم المشرق الإسلامي , ونعلم انه رحل إلى العراق من اجل أن يتتلمذ على أيدي كبار العلماء هناك , وتولى منصب القضاء في مدينتي واسط , والحلة , في العراق ووصف بأنه كان حجة في المجال القضائي , وقد ضل يشغل ذلك المنصب حتى مقدم المغول إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد, عام 656 هـ / 1258 م , ومن بعد ذلك ارتحل إلى بلاد الشام , حيث توفي في مدينة دمشق عام 682 هـ / 1287م [104] .

ص725–726, علي عبد الله الدفاع, علوم الكون في الإسلام: القزويني, الدارة, العدد (3), السنة (7), ربيع الثاني 1402هـ/فبراير 1982م, ص227, محمد محمود محمدين, شمولية الفكر الجغرافي في كتب التراث, الدارة, العدد (4), السنة (9), رجب 1404هـ/ابريل 1984م, ص173, احمد عيسى, تاريخ النباتات عند العرب, ط. القاهرة 1944م, ص115, محمد مفيد أل ياسين , الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري, ط.بغداد , 1979م, ص316–317, عبد الرحمن حميدة , إعلام الجغرافيين العرب, ص404–405, زغلول النجار والدفاع, إسهام علماء المسلمين الأوائل في علم الأرض, ص407, شوقي ضيف, الرحلات, ص21, محمد احمد العقيلي, جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط, الدارة, العدد(2), السنة (5), المحرم 1400هـ/ديسمبر 1979, ص169, عمر فروخ, تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون,ط.بيروت, 1972م, ص559, احمد رمضان, الرحلة والرحالة المسلمون, ص297, صلاح الشامي, الإسلام والفكر الجغرافي العربي, ص130, محمد أمين فرشوخ, موسوعة عباقرة الإسلام, في العلم والفكر والأدب والقيادة, ط.بيروت 1992م, ص55, الفاضل العبيد عمر, الطب الإسلامي عبر القرون, ط.الرياض 1989م ص392.

[102]. عبد الرحمن حميدة , المرجع السابق, ص404.

[103]. عبد الحليم منتصر, تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمهم, ط.القاهرة 1973م, ص247. محمد محمود محمدين, الجغرافيا والجغرافيين بين الزمان والمكان ص166.

[104] . علي عبد الله الدفاع, رواد علم الجغرافيا, ص115, محمد محمود محمدين, المرجع السابق, ص166.

ومن المنطق تصور إن حياة القزويني وتنقله بين العديد من أقاليم المشرق الإسلامي, ثم معاصرته لمرحلة تاريخية خطيرة متمثلة في الغزو المغولي للمشرق الإسلامي, وعمله في الجانب القضائي, كل ذلك أثقل تجربته الإنساني, وعمق خبرته, على نحو انعكس بالضرورة على معالجته, ووصفه, لما كتب عنه من أقاليم, ومناطق جغرافية متعددة ومنها بلاد الشام بطبيعة الحال .

وقد ألف القزويني كتابين مهمين في المجال الجغرافي, حققا له ذيوعا في السيط, ومكانته علمية رفيعة , وهما : آثار البلاد وأخبار العباد[105], وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات[106], والكتاب الأول, وهو الأكثر فائدة لنا في دراستنا. نجد

---

[105]. حقق المستشرق وستنفيلد كتاب آثار البلاد وأخبار العباد, وصدر عمله في توبنجن عام 1848م.
وهناك طبعة أخرى من آثار البلاد وأخبار العباد , صدرت في بيروت بدون تاريخ, وهي التي اعتمدت عليها في إعداد هذا الفصل .

[106] . حقق المستشرق وستنفيلد كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات, وصدر عمله في توبنجن عام 1849م. والجدير بالذكر هنا إن الطبعة الثانية للكتاب المذكور قد صدر في القاهرة في عام 1892م ثم صدر عدة طبعات تجارية أخرى بهامش كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري, كما نشر ترجمه له إلى الفارسية في لكناو في عام 1805 ثم صدرت له ترجمة تركية, كما يلاحظ إن للكتاب المذكور ملخصا قام به الباتوني (ت806هـ/1404م) تحت عنوان الآثار من عجائب المخلوقات . عن ذلك انظر: مصطفى النجار والدفاع, المصدر السابق ص411.

ومن المهم أن نلاحظ إن تأليف في مجال العجائب خاصة في الزوايا الجغرافية , يمثل توجها وجد من قبل القزويني واستمر من بعده, من ذلك أننا نعرف إن محمد علي بن حسين المسعودي (ت346هـ/991م) قد ألف كتابا بعنوان عجائب الدنيا, كما إن أبا جعفر احمد بن إبراهيم (ت400هـ/1045م) قد ألف كتاب عجائب البلدان, أضف إلى ذلك وجود كتاب بعنوان عجائب المخلوقات وهو فارسي , لمحمد بن محمود احمد الطوسي السلماني , وقد ألفه عام 555هـ/11160م ثم كتاب عجائب المخلوقات, وهو تركي , مؤلف اسمه احمد المعروف ببيجان, وقد ألفه في بلدة كليبولي في عام 857هـ/1458م وأخيرا , هناك كتاب عجائب البحر للمولي علمشاه عبد الرحمن بن صاجلي أمير (ت987هـ/1588م) من قبل ألف في ذات العنوان علي بن عيسى الحراني كتاب للخليفة المقتدر عن ذلك انظر:

حاجي خليفة , كشف الظنون, حـ2-ق1, ص1126,-1127,

وعلى الرغم من استشهار القزويني بتأليف كتابه آثار البلاد وأخبار العباد , وكذلك عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات, إلى إن حاجي خليفة يشير في كتابه إلى إن القزويني قد ألف كتاب عجائب البلدان, وقد أشار إلى

القزويني فيه لا يعطي اهتمامه للمسالك فقط , بل انه يهتم كذلك بأوضاع المناطق يتناولها, وكذلك عناصر السكان[(107)], أما كتابه الثاني, فيندرج تحت الجغرافيا الفلكية, والرياضية, أو ما يطلق عليه في الوقت الحالي تعبير الكوزموجرافي, أي وصف الكون[(108)].

ومن الضرورة بمكان معرفة المصادر التي استقى منه القزويني مادته الجغرافية عن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, والواقع انه أفاد من ترحاله ومشاهداته الشخصية في ربوع بلاد الشام, كما انه أفاد من كتابات بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين مثل السائح الهروي[(109)]، ت611هـ/1215م) وكذلك ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م), ولا نزاع في إن مؤلفاتهما, كانت متوافرة لدى القزويني عندما تصدى بتأليف كتابيه السابقين, على النحو دعم رؤيته الجغرافية في تلك البلاد ولا نزاع, في إن الوضع السابق يعكس حقيقة جلية إلا وهي إن الجغرافيين المسلمين بنيت معارفهم من خلال جهود زملائهم السابقين وأضافوا من بعد ذلك إليها تصوراتهم الشخصية وهي ظاهرة ندركها بوضوح طوال مرحلة العصور الوسطى,

---

انه جعل أوله "العز لك , والجلال لكبريائك" بالبحث اتضح إن هذه هي بداية كتاب آثار البلدان وأخبار العباد , مما يدعوني إلى الاعتقاد بان حاجي خليفة تصور إن كتاب القزويني عجائب البلدان كتاب ثالث ,بينما في الواقع إن القزويني لم يؤلف كتابا– على الأرجح– بذلك العنوان في تطابق بدايته مع ما أورده في مقدمة آثار البلاد . عن إشارة حاجي خليفة انظر :كشف الظنون, حـ2/ص1126. قد أشار صالح ذياب الهندي, إلى إن من مؤلفات القزويني كتاب صفة الأرض , بيد إن ذلك لم يرد في المؤلفات المتخصصة في مجال الرحالة والجغرافيين المسلمين في العصور الوسطى انظر ما ذكره: صالح ذياب هندي , دراسات في الثقافة الإسلامية, ط.عمان 1982م ص230.

[107] . شوقي ضيف, المصدر السابق, ص21.

[108]. حسين مؤنس, مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافيا, ص234.

[109]. القزويني, وآثار البلاد وأخبار العباد , ط.بيروت ب–ت, ص141, وهذا نجده من خلال وصفة لطبرية.

على نحو أفاد الباحثين المحدثين في تتبع تطور الفكر الجغرافي لدى المسلمين في تلك المرحلة ذات الثراء العلمي الواضح. [110]

والجدير بالذكر إن القزويني تعرض للعديد من الجوانب ضمن تناوله لبلاد الشام.

فمن ذلك ذكره للساحل الشامي بمدنه المتعددة ومظاهر أوضاعها الحضارية, كذلك تعرض للخريطة العقائدية لبلاد الشام, سواء بالنسبة للمسلمين أو أهل الذمة مثل اليهود. ثم إن متصدي للحديث عن المزارات الدينية هناك لإتباع الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية, المسيحية, الإسلام, ثم انه تعرض لمناطق الاستشفاء, أو السياحة العلاجية. وبالإضافة إلى ذلك تناول الجانب الاقتصادي, من ذلك تعرضه مصادر الثروة المائية المتعددة في بلاد الشام, وكذلك النشاط الاقتصادي لا سيما التجارة, وأوضاع الأسواق والعملة النقدية, وزيادة على كافة الجوانب السابقة, نجده يتعرض للحياة الاجتماعية في بعض المدن الشامية .

ويلاحظ إن القزويني في رؤيته لبلاد الشام , يعطي اهتماما خاصا لمدن الساحل الشامي, ذات الأهمية الاقتصادية التجارية الفائقة وهو في ذلك يشترك في نفس التوجه لدى غيرة من الجغرافيين المسلمين ورحالتهم, وكذلك الأوربيين الذين وفدوا على المنطقة في عصر الحروب الصليبية, ونجده على سبيل المثال يذكر مدينة عكا ويقرر أنها مدينه تقع على ساحل بحر الشام[111], ويصفها بأنها في أيامه أحسن بلاد الساحل وأعمارها [112] ومن الواضح إن تلك المدينة البالغة الأهمية, والتي تصارع من اجل السيطرة عليها المسلمون, ونجد ذلك بصورة جلية خلال إحداث الحملة الصليبية الثالثة ومن الواضح إن مدينة عكا ازدادت في نشاطها التجاري ومن

---

110. المصدر نفسه, ص408, وهو ما نجده من خلال وصفه لطرابلس الشام.

111 . القزويني مصدر سلبق. ص223.

112 . المصدر نفسه.

ثم توسع عمرانها على عصر القزويني بصورة كبير, وعلى نحو جعله يصفها بمثل ذلك الوصف الذي يستشعر من خلاله انعدام منافسة أي مدينة على الساحل الشامي لعكا, في تميزها الاقتصادي لا سيما التجاري وكذلك في توسعها العمراني وبالتالي اختلفت رؤيته لها عن رؤية ياقوت الحموي الذي لم يصورها أحسن مدن الساحل بل من أحسنها. ومن جهة أخرى, ومن خلال إدراك ذلك الجغرافي لأهميتها نجده يورد لنا نبذه موجزة عن تاريخها, تدعيم لأهميتها و ودورها التجاري, وحتى يمزج بين الرؤيا الجغرافية والرؤية التاريخية وقد قرر استيلاء الصليبيين عليها عام 497هـ/1103م.(2) واستمرار سيطرتهم عليها إلى إن انتزعها المسلمون مرة أخرى في عام 583هـ/1187م [113] في إعقاب انتصارهم في معركة حطين, في نفس العام [114], وهو في ذلك يتفق مع منهج الياقوت الحموي بين الجغرافيا والتاريخ.

وإضافة إلى ذلك نجد القزويني يعطي أهمية لمدينة ساحلية أخرى من مدن الساحل الشامي, ونعني بها عسقلان وقد أشار إلى أهميتها وذكر ظروف استيلاء الصليبيين عليها وذلك في عام 548هـ/1153م, واستمرار سيادتهم عليها حتى تم استردادها إلى صالح المسلمين في عام 583هـ/1187م [115] في إعقاب المعركة المظفرة السابقة.

ومن المعروف إن عسقلان سقطت في عهد الملك الصليبي بلدوين الثالث (1163/1143م) بعد حصار طويل وذلك في عام 1153م–548هـ [116], وبسقوطها سقطت آخر المعاقل الفاطمية في فلسطين [117] واكتملت السيادة الصليبية

---

113 . القزويني , المصدر السابق , ص 223 .

114. عن ذلك انظر: الفصل الرابع, حاشية 12.

115 القزويني, المصدر السابق, ص225.

116 عن ذلك انظر: الفصل الأول , حاشية 38.

117 محمد مؤنس احمد عوض, التنظيمات الدينية , ص480, حسين مؤنس, نور الدين محمود, ص257.

على الساحل الشمالي [118] الذي امتد من سانسيمون (السويدية) ميناء أم طاكية في الشمال حتى غزة في الجنوب بامتداد أربعمائة ميلا.

وقد أشار القزويني إلى مرحلة هامة من مراحل تاريخ عسقلان عندما اضطر السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي إلى تدميرها وتخريبها وذلك في عام 587هـ/1191م [119] وذلك في ظروف إحداث الحملة الصليبية الثالثة , ويلاحظ إن أمر تخريبها قد نص عليه صلح الرملة الذي وقع بين السلطان الأيوبي والملك الانكليزي ريتشارد الأول (1189-1199م/ 585-595هـ).

كذلك نجده يتعرض لإحدى المدن الساحلية اللبنانية الهامة , ونعني بها مدينه صور وقد قرر أنها مدينة ذائعة الصيت , على طرف بحر الشام وأوضح أمر استدارة حائطها على مينائها " استدارة عجيبة" [120] ومن الواضح إن حصانة تلك المدينة قد استرعت انتباه القزويني من المحتمل أن يكون وصفه لها دليلا على انه رآها بالفعل, بيد إن تأكيد ذلك في الاستطاعة لعدم إفصاح النص الذي قدمه في هذا الشأن.

وتجدر الإشارة إلى إن حصانة مدينة صور, قد جعلت العديد من الرحالة المسلمين والأوربيين يتناولونها بالذكر, حتى صار امرأ تقليديا عندما ترد تلك المدينة في نصوص الجغرافيين والرحالة التي وصلت إلينا من عصر الحروب الصليبية أن نجد ذكر حصانتها التي أدخلتها إلى التاريخ الحروب الصليبية بجدارة لا سيما في أعقاب معركة حطين ولجوء فلول الصليبيين إليها ثم تعاقد أحداث الحملة الصليبية المذكورة.

---

118 عاشور, الحركة الصليبية, جـ2, ص665.

119 القزويني, المصدر السابق, ص221.

120 . القزويني المصدر السابق, ص 254.

ويلاحظ إن وصف القزويني لها يعد موجزا ومختصرا إذ ما قورن بوصف احد الرحالة المسلمين الذين وفدوا إلى بلاد الشام خلال القرن السادس الهجري –الثاني عشر الميلادي ونعني به ابن جبير وهو ما سنتناوله في الفصل المخصص من هذه الدراسة .

كما انه يتناول بالإشارة مدينة ساحلية هامة أخرى وهي اللاذقية التي ذكر إنها مدينة من سواحل بحر الشام وذكر أنها عتيقة [(121)], وتفيد الإشارة الأخيرة في مزج القزويني الماهر بين الرؤيتين الجغرافية والتاريخية, وحرصه على إيراد صفة القدم على بعض المدن دون الأخرى , على نحو عكس رؤيته الخاصة في هذا المجال, وان لم يضف ما يدعم تلك الزاوية التي أشار إليها.

وقد قرر إن الصليبيين استولوا عليها, فيما ملكوه من بلاد الساحل في حدود عام 500هـ/ 1106م, وان المسلمين استردوها في عام 584هـ/1188م [(122)] في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ومن الملاحظ ي عرض القزويني للساحل الشامي, انه لم يورد كافة المدن الموجودة به, وإنما أورد نماذج محددة معينة, عكست اهتمامه بالدور الاقتصادي والتجاري الذي لعبته تلك المنطقة الحيوية , والهامة من بلاد الشام. وهو في هذا المجال يتشابه مع ما أورده الرحالة المسلمون والأوربيون سواء المسيحيين أو اليهود, وان اتسمت إشاراته في ذلك المجال بطابع يميل نحو الاختصار إلى حد ما, دون أن يقدم لنا التفاصيل الضافية التي يتوق إليها الباحثون .

---

[121] المصدر نفسه، ص258.

[122] . القزويني المصدر السابق, ص259.

إما في مدن حمص فقد لاحظ وجود العناصر النصيرية فيها [123], وقد قرر انه من الأمور التي تثير العجب أنهم كانوا من أكثر الناس شدة على الإمام علي كرم الله وجهه, ولكن فيما بعد صاروا من غلاة الشيعة [124]. ووصل بهم الأمر, إن صاروا أكثرية في حمص [125] كما يقرر نفس الجغرافي.

---

[123] . المصدر نفسه، ص185.والنصيرية, الفرقة الشيعية متطرفة نسبت إلى نصير مولى الإمام علي بن أبي طالب, رضي الله تعالى عنه, لقد زعموا إن الله تبارك وتعالى حل في الإمام . ويعتقدون إن الشمس وقفت له عندما وقف ليشوع بن نون من قبل, وتصوروا فكرة الفيض الإلهي الذي حل في شكل سلم متدرج من الناس على رأسهم كان الإمام علي, عن عقائد النصيرية انظر بالتفصيل:

الرازي, اعتقادات فرق المسلمين والمشركين , تحقيق النشار , ط.بيروت 1982م, ص61, الشهرستاني, الملل والنحل, ط.القاهرة ب–ت, ص181–189, الحسيني عبد الله, الجذور التاريخية للنصيرية العلوية , ط.القاهرة 1980م, ص65027, سليمان الحلبي, الطائفة النصيرية, ط.القاهرة 1982م, .

[124]. القزويني, آثار البلاد, ص185.

[125] . المصدر نفسه.

ويستمر القزويني في عرضه للخريطة العقائدية لبلاد الشام, فيقرر إن جيل السماق, وهو من أعمال حلب, يشتمل على مدن وقرى اغلبها للعناصر الإسماعيلية [126]. وهو أمر أورده من قبل ياقوت الحمودي, ومن الواضح إن ذلك الجيل عد منطقة تركيز تقليدي لهم.

وتجدر الإشارة إلى إن الوجود الاسماعيلي النزاري في بلاد الشام في عصر القزويني, قد خفت حدته, ولم يحتفظ الإسماعيلية حينذاك بنفس قوتهم في عمليات الاغتيال التي روعوا بها الاهلين, ولا سيما عمليات الاغتيال التي قاموا بها ضد قادة حركة الجهاد الإسلامي مثل اغتيال شرف الدين مودود عام 505هـ/1111م [127], وكذلك سنقر البرسقي عام 551هـ/1126م [128], واغتيال بعض امرأ الشام مثل

---

[126] . المصدر نفسه، ,ص208, عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات, ط.بيروت ب-ت, ص153-154,

[127] . من اغتيال شرف الدين مودود انظر: ابن ألقلانسي, ذيل تاريخ دمشق, تحقيق أمين روتر, ص187, ابن عساكر, ولاه دمشق في العصر السلجوقي, تحقيق صلاح الدين المنجد, مجلة المجمع العلمي بدمشق, م(24), حـ (4), عام 1949م, ص551, كمال بن مارسي, العلاقة بين الموصل وحلب ودورها في الحرب الصليبية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة عين شمس عام 1991م, ص206, عفاف صبره , الأمير مودود بن التونتكين اتابك الموصل ودوره في حركة الجهاد الإسلامي, دارة , العدد (2), السنة (120), المحرم 1407هـ/ سبتمبر 1986م, ص 130, عبد الغني رمضان, شرف الدين مودود اتابك الموصل والجزيرة, مجلة كلية الآداب, جامعة الرياض, م(4), عام 1976م, ص148, شاكر مصطفى, طغتكين رأس الأسرة البورية , مجلة كلية الآداب, جامعة الكويت, العدد(1), عام 1972م, ص 61, عثمان عشري, الاسماعيليون في بلاد الشام في القرنين 12-13م, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب , جامعة القاهرة عام 1975م, ص75, حامد زيان, الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية, ط.القاهرة 1983م, ص94, عماد الدين خليل, المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي, عصر ولاة السلاجقة في الموصل (489-521هـ/ 1095-1127م) , ط.الرياض 1981م, 105.

[128]. عن اغتيال اقنسقر البرسقي انظر:

ابن القلانس, المصدر السابق, 214, ابن الأثير, الباهر, ص15, ابن العديم, زبده الحلب, حـ1, ص232, ابن خلكان, وفيات الأعيان,حـ1, ص242-243, ابن كثير, البداية والنهاية, حـ12, ص195, ابن العبري, تاريخ مختصر الدول, ص202, ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهبي, حـ4, ص61, العماد الأصفهاني, البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان, ص120, زكي نقاش, الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع, ص126, 132, حسن حبشي, نور الدين والصليبيون, ط.القاهرة 1948م, ص22, رشيد ألجميلي, دولة النابكة في الموصل بعد عماد

جناح الدولة حسين صاحب حمص, عام 497هـ/1103م [129], وخلف بن ملاعب صاحب افامية, عام 499هـ/1105م [130], وكذلك محاولتين لاغتيال صلاح الدين الأيوبي, وقد اقر القزويني نفسه بأنهم "قتلوا جمعا من العظماء على يد الفداوية" [131].

وقد أورد القزويني إشارات تفيد بأنه في عهد الملك العادل نور الدين محمود,أنكر وجود ملك الإسماعيلية, في مناطق وسط بلاده, فجاء من اجل محاربته, ولما نزل علية في الليلة الأولى أصبح فوجد رسالة تهديد وسكينا عند رأسه [132], والمرجع إن هذه الرواية لا أساس لها من الواقع التاريخي, ويبدو أنها من نسج الخيال الشعبي, ويظهر إن القزويني قد أدرك ذلك إذ جعل الرواية اعتبار انه "حكى", ويدعم تصوري هذا, إن المصادر التاريخية المعاصرة لنور الدين محمود, لا تشير البتة إلى محاولة الاستيلاء على مناطق الإسماعيلية النزارية, خاصة انه جعل همه الأكبر مواجهة القوى الصليبية ممثلة في إمارة أنطاكية وكذلك إمارة طرابلس, ومملكة بيت المقدس الصليبية, وإمام صمت المصادر المعاصرة عن تلك الحادثة نتصور أنها واهية دونما دعم مصدري.

الدين زنكي, ط.بغداد, ص44, ماجد, العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى, ط.بيروت 1966م, 154, سعيد الديوجي, الموصل في العهد الانابكي, ط.بغداد 1958م, ص19.

[129]. ابن العديم, بغية الطلب في تاريخ حلب , تراجم الأمراء السلاجقة, تحقيق علي سويم,ط.أنقرة 1976م, ص122-123.

[130]. ابن العديم, زبده الحلب,حـ2, ص151-152, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, حـ5, ص192, السيد العزاوي, فرقة النزارية , تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية, ط.القاهرة 1970م, ص107.

[131] . القزويني, المصدر السابق, ص301.

[132] . المصدر نفسه, ص207, وعن علاقة نور الدين محمود بالإسماعيلية النزارية انظر:

ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص534, ابن الحنبلي الحلبي, الزبد والضرب في تاريخ حلب, تحقيق محمد التونجي, ط.الكويت 1988م, ص28.

أما بالنسبة للوجود اليهودي في المدن الشامية, نجد إن القزويني قد أشار إلى وجود اليهود في مدينة نابلس, وقرر إن بها اجتماع السامرة، وأوضح إن اليهود يرون فيهم أنهم مبتدعون أحيانا، وأحيانا أخرى نجد من العناصر اليهودية من يرى أنهم خارجون عن العقيدة اليهودية [133], مع ملاحظة انه غض الطرف عن وجود اليهود في المدن الإسلامية الشامية, مثل دمشق, وحلب وغيرها. الأمر الذي جعل روايته محدودة الأهمية في هذا الشأن.

فإذا نحينا ذلك جانبا, وتوجهنا إلى زاوية أخرى من الزوايا التي تعرض لها القزويني في بلاد الشام, نجد انه حرص على إيراد أمر المزارات الدينية التي تعددت في أنحاء متفرقة سواء في مناطق المسلمين أو الصليبيين, وفي تقديري إن اطلاع القزويني على ما ألفه الهروي عن الزيارات ربما جعله يعني بإيراد تلك المواضع, وهي توضح إن منها ما كان لليهود. ثم هناك مزارات للمسيحيين, كما توافرت مواضع زيارة من جانب المسلمين, وكذلك مزارات مشتركة اشترك فيها أصحاب الديانات الثلاثة, اليهودية, المسيحية, والإسلام.

فبالنسبة لليهود, نجد إن أورد وجود عين تحت كهف في نابلس عظمته عناصر السامرة, وبالمنطقة بيت عبادة خاص بالسامرة [134], أما العناصر المسيحية, فنجد انه أورد أمر كنيسة القيامة في بيت المقدس, وأشار إلى أنها كنيسة عظيمة لدى المسيحيين [135]. كما ذكر أمر عين سلون التي يتم التبرك بها [136], وفي بيت لحم

---

[133] . كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ج1، ص359–360، زيدان اداب اللغة العربية، ج3، ص222.

[134]. ينظر القزويني، اثار البلاد ص36–211

[135].المصدر السابق نفسه, ص163.

[136] المصدر السابق.

يوجد ماء يقال له المعمودية وهو "عظيم القدر" عندهم [(137)], أما بالنسبة للمزارات الخاصة بالمسلمين, فقد ذكر وجود مشاهد رأس الحسين عليه السلام في عسقلان ,ويقدم إليه الناس من كافة الأنحاء [(138)], أما مسجد حبيب النجار فانه في أنطاكيا وفيه قبره, ويزوره الناس [(139)] أما انطرطوس, ففيها مصحف عثمان بن عفان,وقد أشار إلى إن الناس يذهبون إليه تبركا به [(140)].

والى جانب تلك المزارات السابقة الخاصة بأصحاب كل دين من الأديان السماوية الثلاثة سواء اليهود , أو المسيحيين, أو المسلمين, أشار القزويني إلى وجود مزار قرب عكا يعرف بعين البقر, يقدم إليه أصحاب الأديان الثلاثة[(141)]. وقد ذكر أيضا وجود مشهد العين منسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب [(142)].

وهكذا, فأن القزويني, يورد عددا وافرا من المزارات الدينية المتناثرة في ربوع بلاد الشام, وهنا نجده يختلف عن ياقوت الحموي الذي أورد عددا منها في كتابه معجم البلدان, فعلى حين نجد إن ياقوتا يقرر صراحة إن بعض مواضع الزيارات غير صحيحة, أو إن أصحابها دفنوا في أماكن أخرى [(143)] , إلا أن القزويني يؤثر السلامة, ولا يشير إلى ذلك البتة, وهكذا يعكس لنا ناحية هامة, ألا وهي, إن الجغرافيين المسلمين اختلفوا في معالجة أمر تلك المزارات الدينية, وان منهم من عارضها في شجاعة نادرة, والبعض الآخر اثر السلامة, ولم يشأ أن يعارض عقائد

---

[137] . المصدر السابق، ص159.

[138].المصدر السابق, ص223, عواد مجيد الاعظمي, معالم التراث العربي الإسلامي في فلسطين, ط.بغداد 1975م, ص109.

[139] . القزويني, المصدر السابق, 151.

[140].المصدر السابق،

[141].المصدر السابق, ص224.

[142].نفس المصدر

[143].انظر الفصل الخاص بياقوت الحموي.

العامة, والحس الشعبي العام في ذلك العصر الذي تزايدت فيه ظاهرة المزارات والاعتقاد بأصحابها, والتبرك بأضرحتهم, وكل ذلك يمكن رصده من خلال تعاظم ظاهرة التصوف التي تسيدت ذلك العصر.

والى جانب المزارات الدينية السابقة, أوضح القزويني وجود مزارات بغرض الاستشفاء, مثل تلك العيون الموجودة في منطقة طبرية, وخاصة موضع يقال له "الحسنية" [(144)] حيث يأتي إليه المرضى من اجل العلاج, ويلاحظ أن الإدريسي قد أشار من قبل إلى تلك الظاهرة العلاجية الهامة في نفس تلك المنطقة, وكان من أوائل الجغرافيين المسلمين الذين وفدوا على بلاد الشام وأشار إلى ذلك من خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي, ويلاحظ إن القزويني –على ما يبدو– كان شديد الإعجاب بذلك الموضع العلاجي الذي سمي بالحسنية, حتى انه عده من "عجائب الدنيا" [(145)] الأمر الذي يعكس الفعالية العلاجية لتلك المنطقة, ويبدو انه عبر بذلك عن اعتقادات المعاصرين أنفسهم في هذا الشأن.

ومن جهة أخرى, احتوت إشارات القزويني على روية اقتصادية هامة لبلاد الشام في ذلك العصر, وتتمثل رؤيته في هذا الشأن في حرصه على تناول مصادر الثروة المائية التي هي عصب النشاط الاقتصادي والعمراني , ثم تعرضه للأسواق التجارية وكذلك العملة النقدية المتداولة حينذاك.

وفي مجال الثروة المائية, والتي شهدت في عصر الحروب الصليبية تنافسا, وتصارعا عنيفا بين المسلمين , والصليبيين, مناجل تدعيم السيادة الاقتصادية والسياسية بالتالي, نجد إن القزويني يورد إن غوطة دمشق تمتد فيها عدة انهر[(146)],

---

[144]. القزويني, المصدر السابق, ص268.

[145]. المصدر نفسه.

[146] . المصدر نفسه, ص232.

الأمر الذي وفر لتلك المنطقة ثراء زراعيا مشهودا, أما بيت المقدس فإنها تعتمد على مياه الأمطار, ولذا فكل بيت فيها يملك صهريجا من اجل تخزين المياه [147], كما ذكر إن بها ثلاث برك , وهي بركة بني إسرائيل, وبركة سليمان, ثم بركة عياض [148], وفي فيج أشار إلى إن أهلها يشربون من قنى تسبح على وجه الأرض [149], وفي كفر طاب لاحظ أنها في برية معطشة, وان المياه نادرة بها , ولذا يشرب أهلها من مياه الأمطار[150].

وبدل عرضه السابق على تنوع مصادر المياه بالنسبة لأهل الشام من انهار وأمطار وعيون ثم استعمال وسائل تخزين المياه خاصة الصهاريج, كما إن ما أورده يعكس إن بلاد الشام كانت تعاني في بعض الأحيان من مشكله نقص المياه خاصة في المناطق التي لم تتوافر بها الأنهار.

أما الأسواق, فنجد انه يحرص على إيراد بعض أسواق المدن التجارية الشامية, والتي ازدهرت فيه العديد من الصناعات, والسلع التجارية, ومن أمثلة ذلك, ذكره لأسواق مدينة حلب بشمال الشام, وقد أعجب القزويني بسوق الزجاج بها [151], ورأى إن المرء إذا اجتاز بها لا يريد أن يغادر ذلك السوق وذلك لكثره ما يشاهده من مصنوعات متقنة· وأشار إلى أن تلك المصنوعات الزجاجية, الحلبية يتم تصديرها إلى مختلف البلاد [152] .على نحو عكس تفوقها بحيث صارت سلعة تجارية تدخل في نطاق التصدير للدول الأخرى.

---

147 . المصدر نفسه, ص160.

148 المصدر نفسه.

149 . المصدر نفسه, ص274.

150 . المصدر نفسه, ص248.

151. المصدر نفسه, ص183-184.

152 .المصدر نفسه.

ومن المعروف إن صناعة المنتجات الزجاجية قد ازدهرت في عصر الحروب الصليبية في العديد من المدن الشامية, ومن المدن الأخرى التي يمكن أن تذكر في هذا المجال صور [153], وعكا [154], حيث أشار المؤرخون الصليبيون المعاصرون مثل وليم الصوري, وكذلك ما ألفه الرحالة الأوربيون, الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر لا سيما اليهود مثل بنيامين التطيلي الذي أشار إلى تفوق مثل تلك المدن في الصناعات الزجاجية [155].

---

[153] عن مكانة صور في الصناعات الزجاجية انظر: William of tyre, vol.II,p.9
سر الختم عثمان, صور في القرنين 12, 13م' رسالة الدكتوراه غير منشورة, كلية الآداب جامعة القاهرة, عام 1971م, ص 296-297.

[154] Jacques de vitry, the history of Jerusalem,p. 92-93.

[155] . وليم الصوري, هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي, ولد في بيت المقدس في عام 1127م أو 1130م, وذلك بعد أن أخضعها الصليبيون لسيادتهم السياسية, وينبغي أن نفرق بين اثنين من الأشخاص يحملان نفس الاسم وليم الصوري, وهو انجليزي شغل وظيفة حارس للقبر المقدس في بيت المقدس, ويلاحظ إن وليم الصوري مؤلف التاريخ الشهير, المعروف باسم تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر, كان عارفا بالرجل الانكليزي الذي حمل نفس اسمه , وقد أورد ذكره في كتابه , وقد اظهر وليم الصوري منذ نعومة أظافره حبا للعلم والتحصيل, ومن المتصور انه التحق ببعض المدارس , التي كانت ملحقة بالأديرة والكنائس, والبعض منها في قصر الملك الصليبي, وقد اظهر ولعا كبيرا باللاهوت المسيحي, على نحو جذب إليه أنظار العديد من رجال الكنيسة, ووصل في تدرجه إلى وظيفة رئيس أساقفة صور , وأجاد عدة لغات مثل اللاتينية واليونانية والعربية, وأفاده ذلك في إثراء كتابته التاريخية , وصار متصلا بالملك الصليبي عموري الأول (1163-1174م) ودعاه إلى تأليف تاريخه السالف الذكر, وله كتاب آخر مفقود , وهو خاص بتاريخ الأمراء الشرقيين وينتهي تاريخه الخاص بالأعمال التي أجرت فيما وراء البحر بحوادث ما قبل معركة حطين 1187م/583هـ, ويقال إن وليم الصوري قد مات مسموما في عام 1184 م/580هـ.
عام 1967م, ص181-200, تقديم حسن حبشي للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري الحروب الصليبية, حـ1, ت. حسن حبشي, ط.القاهرة 1991م, ص10-4, السيد ألباز ألعريني, مؤرخو الحروب الصليبية, ط.القاهرة 1962م, ص101, سر الختم عثمان, صور في القرنين 12-13, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب جامعة القاهرة عام 1971م, ص339-340, سمايلي , المؤرخون في العصور الوسطى, ت.قاسم عبده قاسم, ط.القاهرة 1977م, ص186-187, جمال الدين الشيال, التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة, ط.بيروت ب-ت, ص70,74, حسين عطية, إمارة أنطاكيا الصليبية والمسلمون (1171-1268م/ 567-666هـ) ط. الإسكندرية 1989 م, ص34, حاشية (17).

كما إن القزويني أعجب بأحد أسواق حلب الطريقة ونعني بها سوق المزوقين , وقد وصفها بان فيها "آلات عجيبة ومزوقة" [156], ويبدو إن هذين السوقين كانا أكثر الأسواق التي لفتت انتباه ذلك الجغرافي على الرغم من إن منها ما كان من الكماليات, مع عدم إغفال أسواق هامة أخرى للعديد من السلع التجارية لم يشر إليها القزويني, وإذا كان هذا هو حال مدينة حلب في شمال الشام, فان مدينة دمشق كانت أكثر ثراء وازدهار على المستوى الحرفي والتجاري. وهذا يتضح لنا بجلاء من خلال كتابات المؤرخين السابقين على عصر القزويني الذين قدموا لنا وصفا طوبوغرافيا للمدينة المذكورة اشتمل على أسواقها المتعددة.

ومن جهة أخرى ,نجد إن القزويني اهتم بإيراد أمر العملة المتداولة في عصره في بلاد الشام, وفي هذا المجال أشار إلى الدنانير الصورية التي سكت في مدينة صور الساحلية, وذكر إن تلك الدنانير يتعامل عليها أهل الشام, العراق [157].

وتجدر الإشارة إلى أن الدنانير الصورية كانت من أكثر أنواع العملات النقدية التي اتسع نطاق التعامل النقدي بها في عصر الحروب الصليبية وهي عبارة عن عملة ذهبية عليها نقوش عربية وآيات قرآنية [158].

أما بنيامين التطيلي فهو الربي بنيامين, ووالده يدعى يونا, وقد ارتحل إلى الشرق من مدينة طليطلة, وقام بالتجوال في مناطق جنوب فرنسا, وايطاليا, واليونان, ومصر واليمن والشام وغيرها من البلاد ثم عاد أدراجة إلى اسبانيا في عام 1173, ويقال انه من خلال ما يقرب من خمسة عشرا عاما زار ما يقرب من ثلاثمائة موضع في مختلف بقاع العالم المعمورة حينذاك, وقد اهتم بنيامين التطيلي في رحلته, بعرض أوضاع اليهود في مختلف البقاع التي زارها, ونشاطه الاقتصادي لا سيما التجاري , والحرفي, وبعد بصفه عامة أشهر رحالة يهودي في العصور الوسطى

156 . القزويني , المصدر السابق, ص184.

157. المصدر نفسه,ص191.

158. عن الدينار الصوري انظر: أسامة السيد علي, الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي- الاسدس الهجري ودورة في الصراع الإسلامي الصليبي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة عين شمس عام 1992م, ص196, مصطفى الكتاني, العلاقات بين الجنوب والشرق الأدنى الإسلامي (1171-1291م/ 567-690هـ) ط. الإسكندرية 1981م, ص313-135, حسان حلاق, العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى, ص222.

فإذا غادرتنا الناحية الاقتصادية ضمن إشارات القزويني عن بلاد الشام, وجدنا انه قدم لنا رؤية طريفة, لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في مدن الشام الكبرى مثل دمشق وحلب, وهي التي يمكن وصفها بأنها من وسائل التسلية وإدخال المرح على النفوس, وفي هذا المجال نجده يقرر إن أهل دمشق يجعلون من كل يوم سبت أمر الاشتغال باللهو واللعب, يستوي في ذلك الرجال, والنساء, والأطفال, حيث يلتقون بأصدقائهم , ويخرجون إلى البساتين, ويتجه القوم إلى الميدان الأخضر, الذي تحيطه مظاهر الخضرة وكذلك المياه التجارية (159).

وقد أوضح إن في ذلك اليوم يوجد المغنون, والساخرة, والمصارعون (160), الذين يؤدون ألعابهم, وأدوارهم التمثيلية من اجل إدخال البهجة على نفوس الاهلين, على نحو عكس إن ذلك المجتمع, لم يعد وسائل التسلية على الرغم من جو الحرب الذي عاشه بصفة عامة.

أما إذا توجهنا إلى مدين حلب, فنجد أنهم يحددون مناسبة مثل تلك السابقة لدى أهل دمشق, ونعني بها أول الربيع وتسمى الشلاق, حيث يخرجون إلى ظاهر المدينة وقد انقسموا إلى فرقتين متقاتلتين متصارعتين (161).

ويعني هذا كله, إن المجتمع الإسلامي في بلاد الشام لم يعدم وجود العديد من وسائل التسلية (162), والترويح عن النفس, وان الصراع بين المسلمين والصليبيين, لم يحل دون توافر مثل تلك الوسائل التي عكست انتعاش الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية الشامية, وقيمة ما أورده القزويني في ذلك المجال إن المصادر المعاصرة نادرا ما تشير إلى تلك الزوايا الاجتماعية.

وهكذا, احتوت مؤلفات القزويني على جوانب هامة عن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, وتناول المنطقة الساحلية الهامة على المستوى الاقتصادي لا سيما التجاري, وكذلك الخريطة العقائدية لبلاد الشام,

---

159. القزويني, المصدر السابق, ص191, جميل نخله مدور, حضارة الإسلام في دار السلام , ط.القاهرة ب–ت , ص221.

160. القزويني, المصدر السابق, ص191.

161. نفسه, نفس الم. المصدر نفسهصدر , ص184.

162. عن وسائل التسلية في المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في ذلك العصر انظر:

ابن دانيال, خيال الظل , تحقيق ماهر حمادة, ط. القاهرة, احمد رمضان, المجتمع الإسلامي, ص290–306, عبد الحميد يونس, خيال الظل, ط.القاهرة 1994م, ص9–11.

الفصل الثاني

ابن شداد

(ت684هـ/1285م)

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لأحد الجغرافيين المسلمين البارزين, الذين أنجبتهم بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ونعني به عز الدين بن شداد الحلبي[163] (ت684هـ/1285م), ويتطرق الفصل إلى العديد من الجوانب تتعلق بحياة ابن شداد, وتطورها بين الشام, ومصر, واهم مؤلفاته, وكذلك الجوانب المختلفة التي

---

163 . عن مصادر ومراجع ترجمة عز الدين بن شداد انظر:

اليونيني البعلبكي , ذيل مرآة الزمان ,ح4 , ص270 , -71, الذهبي , العبر , ح5 , ص249 , ابن كثير , البداية والنهاية ص13 , ص305 , ألصفدي , الوافي الوفيات ,ح4 , باعتناء ديد رينغ , ط.فسبدن 1959م , ص189 -190 , ابن الفرات , تاريخ الدول والملوك , ح8 , تحقيق نجلاء عز الدين رزيق ,ط. بيروت 1939 م , ص33 , ابن العماد الحمبلي , شذرات الذهب , ح5 , ص38 ,عبدا لله نبهان , الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد , عالم الكتب , م(13) , العدد (14) , المحرم – صفر 1413 هـ / يوليو – أغسطس 1992م , ص396 , احمد حطيط , سيرة الظاهر بيبرس لعز الدين محمد بن علي بن شداد , ط. بيروت 1987 م , ص17 , حبيب الزيات , في تاريخ مملكة حلب , المشرق , العدد (32) , عام 1934 م , ص505 , 509

تعرض فيها لأوضاع بلاد الشام خلال تلك المرحلة الهامة والمؤثرة من تاريخها في العصور الوسطى.

وابن شداد, هو عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد بن خليفة بن شداد بن إبراهيم بن شداد, أبو عبد الله الأنصاري الحلبي, وقد ولد في مدينة بشمال الشام, وذلك في عام 613هـ/1216م, وظل هناك حتى تعرضت بلاد الشام لكارثة الغزو المغولي لها, وعندما واجهت حلب ذلك الخطر الداهم عام 658هـ/1260م, لاذ عز الدين بن شداد بالفرار[164], ولجأ إلى مصر.

وجدير بالذكر, إن ابن شداد, قد شغل في سنوات شبابه المبكرة مناصب إدارية لدى الأيوبيين, ووصف بأنه كان خبيرا بالجوانب المتعلقة بالميزانية, والمالية [165], الأمر الذي أفاده بشكل واضح عندما تصدى بالكتابة عن الجوانب الجغرافية المتصلة ببلاد الشام.

مهما يكن من أمر, فان ابن شداد, قد حظي في مصر برعاية سلاطين المماليك مثل الظاهر بيبرس [166], والمنصور قلاوون, وقد زار دمشق في عام 676هـ/1277م, ثم ما لبث إن عاد أدراجه إلى القاهرة, حيث توفي بها عام 684هـ/1280م[167].

---

164 . كراتش كوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي , ص 401 , احمد حطيط , المرجع السابق , ص17 .

165 . كراتش كوفسكي , المرجع السابق , ص401

166. عبدا لله نبهان , المرجع السابق , ص397 احمد حطيط , المرجع السابق , ص17 .

167. عبدا لله نبهان , المرجع السابق , ص397.

وقد ألف ابن شداد عددا من المؤلفات ذات الطابع التاريخي, أو الجغرافي, من ذلك كتابه جني الجنتين في أخبار الدولتين(168). ثم كتاب تاريخ العز ابن شداد في سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس(169). وكذلك كتاب القرعة الشدادية الحميرية, أو تحفة الزمن في طرائف أهل اليمن (170), ثم كتاب كروم الذهاني في تفسير السبع المثاني (171) –وهو كتاب في مجال التفسير كما يتضح من عنوانه–

بالإضافة إلى كتابه الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (172).

والواقع إن نظرة متأنية لتلك المؤلفات تكشف لنا عن تعدد المواهب التأليفية لابن شداد, إذ انه ألف مؤلفات في التاريخ, والجغرافيا التاريخية, والتفسير, وتعددت المجالات الجغرافية الإقليمية, فقد تناول بلاد الشام والجزيرة, وكذلك اليمن, ولم

---

168. ابن شداد , الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة , ح1/ق1 , تحقيق يحيا زكريا عبارة ط. دمشق 1991 م, ص30

169. نفس المصدر,والصفحة, وللباحث اللبناني احمد حطيط دراسة هامة عن ذلك الكتاب أشارت إليها في الهوامش السابقة.

170. ابن شداد, المصدر السابق, ص30–31, أيمن فؤاد سالم سيد, مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي, ط.القاهرة 1973م, ص129.

171. ابن شداد, المصدر السابق , ص31.

172. عن الجهود التحقيقية التي قام بها الباحثون الفرنسيون والسوريون, حيال ذلك الكتاب الهام, نعرف إن المستشرق الفرنسي دومنيك سورديل قام بتحقيق القسم الأول من كتاب الاعلاق الخطيرة المخصص لتاريخ حلب, وصدر عمله من جانب المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بدمشق عام 1953م, ثم قام الباحث السوري سامي الدهان بتحقيق الجزء الأول من الكتاب الخاص بدمشق, وصدر عمله من جانب نفس المعهد المذكور من جزئين, الأول عام 1956م, والثاني عام 1964م, ومن بعد ذلك قام باحث سوري آخر على جانب كبير من المهارة في مجال تحقيق التراث, ونعني به يحيى زكريا عبارة بتحقيق الجزء الخاص بتاريخ الجزيرة والموصل, وصدر عمله من جانب وزارة الثقافة السورية بدمشق عام 1978م, كما انه حقق الاعلاق في صورة الجزء الأول, القسم الأول والجزء الأول, القسم الثاني, وصدر عملة من جانب وزارة الثقافة السورية أيضا بدمشق عام 1991م. وفي هذا الفصل أفادت بصورة واضحة عن جهود كل من سامي الدهان ويحيى زكريا, مع عدم إغفال جهد دومنيك سورديل الريادي في هذا الصدد. عن الجهود التحقيقية للاعلاق الخطيرة انظر:

ابن شداد, المصدر السابق,حـ1/ق1 , تحقيق زكريا, مقدمة التحقيق, عبد الله نبهان, المرجع السابق, ص398.

يجعلها قاصرة على نطاق جغرافي محدود, كما انه تجاوز عصره وانتقل إلى العصور القديمة.

وبصفه عامة, فان أهم مؤلفات ابن شداد التي تفيدنا في دراستنا هذه, كتابه الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة, وقد استغرق في تأليفه مدة زمنية طويلة خلال الرحلة الواقعة من عام 671هـ/1272م إلى عام 680هـ/1281م [(173)], وهو في ذلك, يتشابه مع ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م), الذي ألف كتابه الشهير معجم البلدان بعد عشر سنوات من البحث والتقصي [(174)].

وكتاب الاعلاق الخطيرة, ليس هو الأول من نوعه من بين المؤلفات الجغرافية العربية الذي يكون عنوانه "الاعلاق" فمن قبل ذلك نجد احد الجغرافيين المسلمين ونعني به ابن رسته, قد ألف كتابه بعنوان "الاعلاق النفسية" [(175)]. وان كان تعبير " الخطيرة" في عنوان ما ألفه عز الدين بن شداد يعكس–أول ما يعكس– ثقة مؤلفه في ما ألفه خاصة انه استغرق منه في تأليفه قرابة العقد من الأعوام.

ويلاحظ إن ذلك الكتاب اهتم فيه مؤلفه بوصف الظواهر الجغرافية, والطوبوغرافية, ثم تبع ذلك تناول التاريخ السياسي, لتل المناطق التي تصدى بالكتابة عنها.

---

[173]. ابن شداد, المصدر السابق, حـ1/ق1, ص37. من مقدمة التحقيق.

[174]. انظر الفصل الخاص بياقوت الحموي.

[175]. ابن رستا, هو أبو علي احمد بن عمر , عالم عربي من أصل فارسي, عاش في النصف الثاني من القرن الثالث هجرية التاسع الميلادي, ومن المعروف انه عاش في أصفهان وقام بالحج إلى بيت الله الحرام عام 290هـ/903م ثم اتبعه إلى المدينة المنورة ويقال انه ألف كتابة الاعلاق النفسية حوالي ذلك العام.

ويرى احد المستشرفين ما نصه "إن التأثير النشط الذي خلقته خبرات الصليبيين التاريخية عن الحياة الفكرية في سوريا تجلى في مؤلف آخر عن التاريخ المحلي السوري ألا وهو , اعلاق الحاضرة في أمراء وحكام الشام والجزيرة لابن شداد [176] .

والواقع إن هذا التصور لا ينطبق على الواقع في شئ لعدة اعتبارات, إذ إن الصليبيين لم تتفوق لديهم المعارف التاريخية بالصورة التي تجعل المسلمين يفيدون منها, بل إن الأمر المعاكس هو الذي يحدث, إذ أنهم أفادوا من تجربة المسلمين التاريخية ويتجلى ذلك صورة واضحة لدى مؤرخهم الأشهر, وليم الصوري, الذي كان يجيد اللغة العربية واطلع على المؤلفات التاريخية العربية وأفاد منها. بالإضافة إلى إن الصليبيين أصلا قدموا إلى المنطقة كغزاة محاربين لا كأصحاب توجه فكري أصيل, ويعكس الرأي السابق رغبة ذلك الباحث في إضفاء قيمة فكرية على تجربة الاستيطان الصليبي في بلاد الشام الأمر الذي تنكره الوقائع التاريخية’ ناهيك عن إن ذلك الباحث أورد عنوان ما ألفه ابن شداد خطأ, والصواب ما أسلف ذكره, ألا وهو الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة.

أيا كان الأمر, فهناك زاوية أخرى تتصل بكتاب الاعلاق الخطيرة, ألا وهي إن عدا من الباحثين قد جعلوه لمؤرخ آخر, وهو بهاء الدين بن شداد (ت632هـ/1239م)[177] مؤلف النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة

---

[176]. روزنتال , علم التاريخ عند المسلمين, ت.صالح العلي, ط. بيروت 1983م, ص215.

[177]. بهاء الدين بن شداد, هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم اشتهر بابن شداد , لان شداد جده لامه , وقد توفي أبوه وهو طفل صغير وقد تكفل في تربيته أخواله بنو شداد ولذا فقد نسب إليهم ويلاحظ انه كان مقيما إلى جوار السلطان الأيوبي ومعه القاضي الفاضل حتى في أيام مرضه الأخير وبعد وفاه صلاح الدين الأيوبي لعب ابن شداد دورا بارزا في التقريب بين أبنائه من اجل العمل على تماسك الجبهة الإسلامية في موجهة

صلاح الدين [178]. والواقع إن ذلك التصور جانبه الصواب تماما, لان بهاء الدين بن شداد لم يطل به العمر حتى عصر الظاهر بيبرس, وإنما عاصر السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي, أي إن بهاء الدين بن شداد ينتمي إلى العصر الأيوبي, بينما عز الدين بن شداد ينتمي إلى العصر المملوكي ثم إن الأول عاش خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي, وجزء من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي, بينما عاصر الثاني القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي فقط.

على أية حال, فان هناك ناحية هامة يتطلب الأمر التعرض لها, ألا وهي المصادر التي اعتمد عليها عز الدين بن شداد في تأليفه لكتابه الاعلاق الخطيرة, ولا نزاع في إن كتابا متعدد الأجزاء يستغرق من مؤلفه نحو عشر سنوات, من اجل تأليفه, من المنطقي تصور تعدد وتشعب المصادر التي اعتمد عليها ذلك المؤلف , من اجل انجازه في النهاية بالصورة التي وصلت إلينا.

ومن الممكن تقسيم المصادر التي اعتمد عليها ذلك الجغرافي والمؤرخ من اجل تأليف كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية, وهي المصادر الشفهية, ثم المعاينة, والمشاهدة, وأكثر المصادر أهمية في كتاب هي المصادر المكتوبة, إذ اعتمد على كم كبير من المؤلفات الجغرافية, والتاريخية السابقة على عصره, والمعاصرة له, أما المصادر الشفهية فقد جعلها مستمدة من كبار العلماء والفقهاء, ورجال الحكم مما عكس أهميتها, وفيما يتعلق بالمعاينة, نجد انه جعلها بصورة ما مرتبطة بالمزارات, وأماكن المقدسات الدينية.

الصليبيين وقد ألف ابن شداد عددا من المؤلفات مثل دلائل الأحكام , ومبدأ الحطام عند التباس الأحكام ودروس في الحديث.

[178]. إن الباحثين الذين خلطوا بين بهاء الدين بن شداده (ت632هـ/1239م) عز الدين بن شداد (ت684هـ/1285م) , ماجد, العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.

وبالإضافة إلى المصادر السابقة, هناك ما يمكن وصفه بمصادر مجهولة اعتمد عليها عز الدين بن شداد, دون أن يحددها, وان كانت مصادر مكتوبة أو شفهية,

أما المكتوبة, فهناك مصادر جغرافية, ثم مصادر تاريخية ومن أمثلة المصادر الجغرافية, هناك اليعقوبي [179], وكتابه البلدان, ثم البيروني[180], وكتاب القانون المسعودي, ثم ألمهلبي [181], وما ألفه تحت عنوان المسالك والممالك, هذا بالإضافة إلى الهروي (ت 611هـ/1215م), وكتابه الإشارات إلى معرفة الزيارات, ثم ابن جبير[182] (ت 616 أو 617هـ/ 1219 أو 1220م) ورحلته الشهيرة.

زد على ذلك, أمر المصادر التاريخية, وهي متنوعة, سواء من عصر سابق على عصر عز الدين بن شداد أو من جانب مؤرخين ارتبطوا بالقرنين 6و7هـ/12,13م.

وفي هذا المجال, نجده أفاد من محبوب بن قسطنطين في صورة تاريخية [183], ثم انه استعان بما ألفه البلاذري في صورة كتابه فتوح البلدان [184], ثم العظمى [185]

---

179. اليعقوبي, هو احمد بن أبي يعقوب جغرافي و مؤرخ عاش في القرن الثالث الهجري– التاسع الميلادي, قام بعدة رحلات إلى مناطق ارومينيا وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب, وقد ألف كتابه البلدان, وكتب في ملاحظاته على المناطق التي قام بمشاهدتها كما إن له كتابا في مجال التاريخ ويعرف بتاريخ اليعقوبي.

180. البيروني, هو أبو الريحان محمد بن احمد , مؤلف عربي من أصل فارسي, وقد ولد في ذي حجة عام 362هـ/سبتمبر 1973م, بنواحي خوارزم, وقد درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ وألف البيروني على العديد من المؤلفات كشفت عن موسوعية تكوينه العلمي منها الآثار الباقية عن القرون الخالية, وكتاب تعريف مال الهند من مقولة.

181. ألمهلبي, وهو علي بن احمد ألمهلبي, كان إماما في النحو واللغة ورواية الأخبار, وقد عاصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله وطلب منه الأخير تأليف كتاب جغرافي, فكان كتابه ألعزيزي الذي وصف فيه السودان وصفا دقيقا, ووصف بأنه كان رائد المؤلفات في مجاله ونجد إن العديد من الجغرافيين المسلمين الذين اتو من بعده قد أفادوا منه.

182. عن الهروي, انظر الفصل الخاص به, انظر الاستعانة به في الاعلاق, حـ1/ق1, ص169.

183. عن ابن جبير, انظر الفصل الخاص به. انظر و الاستعانة به في الاعلاق , حـ1/ق1, ص412.

(ت558هـ/1163م) في تاريخه, كذلك ابن عساكر [186] (ت571هـ/1176م) صاحب تاريخ مدينة دمشق, بالإضافة إلى إفادته من ابن العديم الحلبي (ت660هـ/1261م) وكتابه زبده الحلب من تاريخ حلب, ثم ابن أبي طئ (ت ق7هـ/ 13م) في مؤلفاته مثل تاريخ حلب وعقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر,

---

[184]. محبوب بن قسطنطين, وهو محبوب بن قسطنطين الرومي ألمنجبي, وقد حقق فاسليف كتابه ونشرة فرعسان بطرسيرج عام 1908م.

[185]. البلاذري, هو احمد بن يحيى بن جابر بن داود, وقد اختلفت في كنيته, فهناك من قال أنها جعفر, وهناك من ذكر إنها أبا الحسن, وقد ولد في بغداد, في حوالي مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي, حيث كانت تزهر فيها الحياة العلمية والأدبية بوصفها عاصمة الخلافة العباسية . وقد قام البلاذري بزيارات لمناطق في بلاد الشام مثل دمشق, وحمص, وأنطاكية , واستمع إلى عدد من العلماء المعاصرين له مثل محمد بن سعيد , ولمدائني, ومصعب الزبيري, وغيرهم, ووصف البلاذري بأنه كان مقربا من الخليفة المتوكل , كما انه كان صاحب موهبة شعرية, وقد توفي البلاذري عام 279هـ/892م. عنه انظر:

البلاذري, فتوح البلدان, تحقيق رضوان, ط.بيروت 1983م, ص6–16, ابن نديم, الفهرست, ط.بيروت ب–ت, ص164, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة,حـ3, ص83, ابن كثير المصدر السابق, حـ11, ص65–66, إحسان صدقي العمد, البلاذري, احمد بن يحيى بن جابر , ط.الكويت 1978, (رسالة دكتوراه هامة للغاية عن ذلك المؤرخ), محمد جاسم المشهداني, موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في انساب الأشراف, ط. مكة المكرمة 1986م, عبد الستار فراج, البلاذري و مجلة العربي, العدد (99), الكويت, فبراير 1967م, ص45–49, فؤاد سزكين, تاريخ التراث العربي, م(1), ت. محمود حجازي وفهمي أبو الفضل, ط.القاهرة 1977م, ص513–514, صلاح الدين المنجد, أعلام التاريخ والجغرافية عند العربي ص17, محمد الجاسر, انساب الإشراف للبلاذري, الفيصل , العدد(202), ربيع الآخر 1414هـ/ سبتمبر/ أكتوبر 1993م, ص44, عبد الأمير عيد دكش , الخلافة الأموية (65–86هـ/ 684–705م), طبعة , ط.بيروت 1983م, ص10.

[186]. ألعظيمي, هو أبو عبد الله محمد بن احمد لعظيمي التنوخي الحلبي, ولد في عام 483هـ/1090م, وقد نشأ في أسرة كبيرة امتدت جذورها إلى قبيلة تنوخ العربية, وهناك من يقرر انه من بيت شارك في الأحداث السياسية التي مرت بها مدينة حلب في شمال الشام في المرحلة السلجوقية وقد اختار أن يقوم بتعليم الصبيان فصارت مهنته,وبرع في الشعر, وعندما وثق في موهبته الشعرية سافر إلى دمشق وامتدح حكامها , كما انه امتدح الاراتقة , وفيما بعد اختص بالاتابك عماد الدين الزنكي في حلب حيث صار شاعرا ضمن حاشيته وقد ألف العظمى عدة مؤلفات في مجال التاريخ , تتمثل في تاريخ ألعظيمي , وهو تاريخ عام يغلب عليه طابع الاختصار وجعله على الأساس الحولي, ثم كتاب تاريخ حلب, ويبدو انه كان يقع في مجلدين, ثم كتاب الموصل على الأصل الموصل وهو من كتب التراجم , وقد توفي ألعظيمي عام 558هـ/1163م.

كذلك أفاد عز الدين بن شداد من الكامل لابن الأثير الجزري[187] (ت630هـ/1238م).

وهكذا تعددت مصادر ذلك الجغرافي المكتوبة, على نحو أثرى كتابه بصورة واضحة, ومع ذلك يثير المستشرق الروسي كراتشكوفسكي ناحية لا تخلو من أهمية, ويقول ما نصه "انه-أي عز الدين بن شداد- لم يكن له علم فيما يبدو بمعجم ياقوت, ومهما يكن من شئ فانه لم يشر إليه ولو مرة واحدة" [188].

والواقع إن كراتشكوفسكي قد أثار تساؤلا ولم يقدم التعليل له. كما انه تصور أمرا من الممكن الاختلاف معه بشأنه.

فمن المستبعد تماما, أن يكون كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) مجهولا لعز الدين بن شداد (ت684هـ/1285م), وكل منها

---

187. ابن عساكر, هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي, ولد عام 499هـ/1005م, ويعد إمام أهل الحديث في زمانه, وجمع بين معرفة الأسانيد والمتون, وقد طاف بالعديد من أقطار العالم الإسلامي لا سيما بلدان الشرق الإسلامي, طلبا للعلم ولقاء العلماء, ومن بعد ذلك رجع إلى دمشق عام 533هـ/1138م, وبلغ عدد الشيوخ الذين اخذ عنهم العلم ما يزيد على ألف ومائتين شيخ بالإضافة إلى ثمانين أمراه, وقد ألف عددا كبيرا من المؤلفات مثل التاريخ الكبير في ثمانين مجلد, وتبين كذب المفتري فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الأشعري, كما ألف كتابا في الشيوخ الذين اخذ عنهم العلم, وقد توفي عام 571هـ/1176م. عن ابن عساكر انظر: ياقوت, معجم الأدباء,حـ5, ط.القاهرة ب-ت, ص139-146, مجموعة الباحثين, ابن عساكر, وقائع المؤتمر لذي عقد في دمشق عن ابن عساكر, ط.دمشق 1979م, احمد رمضان, المسجد الأموي بدمشق بين الحقيقة والأسطورة كما جاء في تاريخ ابن عساكر,الدارة, العد(4), السنة (5) عام 1980م, ص93-114, صلاح الدين المنجد, إعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب, ط.بيروت 1960م, ص88-157, مرجليوث, المؤرخون العرب, ت. حسين نصار, ط.بيروت ب-ت,ص166, كرد علي, الشاميون والتاريخ, مجلة المجمع العلمي بدمشق, م(17), حـ(3), حـ(4), ص99-100, محمود ماضي, الإمام ابن عساكر, عالم الفكر, م(15), العدد (4), محرم -صفر 1994م, ص369-372.

188. ابن العديم الحلبي, هو كمال الدين بن العديم, ينتمي إلى أسرة حلبية عريقة, وقد درس العلوم الدينية منذ حداثة عمره, وبرع التاريخ على نحو خاص, وتعددت مؤلفاته فيه, وفي غيره من العلوم والمعارف,وألف عدة مؤلفات, مثل بغية الطلب في تاريخ حلب , وزبده الحلب من تاريخ حلب, وكتاب الذراري, وكتاب نفح الطيب في ذكر الطيبات والطيب, وقد توفي ابن العديم في عام 660هـ/1261م. عن ابن العديم انظر:

ابن العديم , بغية الطلب في تاريخ حلب,حـ1, تحقيق سهيل زكار, ط.دمشق 1988م, ص9-12, ياقوت, معجم الأدباء, حـ6, ط.القاهرة, ص5, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, ح7, ط.القاهرة, ص208, اليونيني البعلبكي, المصدر السابق, حـ1, ص510, اليافعي, مراه الجنان وعبرة اليقطان.

شامي الإقامة لا سيما في حلب حاضرة شمال الشام الكبرى, وان امتاز عز الدين بن شداد عن ياقوت بأنه ولد, ونشأ في حلب, كما إن المرحلة الزمنية بينهما لم تكن طويلة, ومن المرجح إن كتاب ياقوت معجم البلدان كان متوافرا في عدة نسخ مخطوطة عندما تصدى عز الدين بن شداد لكتابه الاعلاق الخطيرة, وبالتالي فان تصور ذلك المستشرق ليس من اليسير قبوله أو تصوره منطقيا, خاصة إذا ما لاحظنا إن أبا الفداء (ت732هـ/1331م). ولا يوجد فارق زمني كبير بينه, وبين عز الدين بن شداد نجده يستعين بما ألفه ياقوت الحموي.

نخلص من ذلك إلى القول, إن معجم البلدان كان متوافرا في بلاد الشام, والمرجح إن عز الدين بن شداد كان عارفا به –وهو العلم الجغرافي الذي أفاد من عشرات المؤلفات الجغرافية السابقة عليه والمعاصرة له– مع عدم إغفال أهمية المصادر التاريخية بالطبع وان تعمد– على ما يبدو– عدم الاستعانة به, وتعليل ذلك انه أراد ألا يكثر من الإفادة به فلا يكرر معجم البلدان, أو لعله أراد أن ينافس ياقوت في كتابه بتأليف كتاب آخر خاص ببلاد الشام, والجزيرة, ورأى إن الأفضل تجنب الإشارة إلى معجم البلدان, ولعل ذلك التعليل المرجح لعدم استعانة عز الدين بن شداد بمعجم البلدان الذائع الصيت.

أما المصادر الشفهية, فنجد أمثلتها في صورة انه يذكر على سبيل المثال حكي القاضي الحسن بن موج القوعي [189], أو أخبرني زين الدين عبد الملك بن عبد

---

[189]. عن أبي طئ, هو يحيى بن أبي طئ, النجار الغساني الحلبي, ولد في عام 575هـ/1180م, كان والده رئيسا لإحدى النقابات في مدينة حلب, واحد الزعامات الشيعية بها, وقد عارض السلطان الملك العادل نور الدين محمود معارضة أدت إلى إبعاده عن حلب عام 543هـ/ 1148م, كذلك تم نفيه إلى حران عام 552هـ/1157م. وقد ألف ابن أبي طئ العديد من المؤلفات التاريخية منها كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين وكتاب معدن الذهب في تاريخ حلب, وذيله, وكتاب سيرة ملوك حلب وكتاب سلك النظام في تاريخ الشام, وكتاب تاريخ مصر.

الرحمن ابن العجمي الحلبي [190], أو أخبرني الرئيس بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب الحلبي [191].

ومن الجلي الواضح إن المصادر الشفهية, جاءت قليلة بالنسبة للمصادر المكتوبة الثرية التفاصيل.

وإذا توجهنا إلى المعاينة والمشاهدة نجدها في زاوية المزارات وفي هذا المجال نجده يقرر عند حديثة عن قبر أبي عبيدة الجراح في غور نابلس "وقد زرناه بطبرية" [192].

وبالإضافة إلى ذلك, هناك مصادر مجهولة, غير محددة وذلك نجده بالنسبة للكتب وكذلك للرواة, يقول في احد المواضع "ووجدت في بعض الكتب" [193] أو "ذكر أرباب التواريخ" [194] دون أن يحدد عنوان الكتاب ومؤلفاته, أو أن يقول "ذكر بعض جماعة" [195] ومع ذلك فمثل تلك المصادر قليلة ونادرة. وبصفة عامة حرص عز الدين بن شداد على إيراد أسماء الكتب ومؤلفيها بدقة نادرا ما لجأ إلى المصادر المجهولة سواء كانت مكتوبة أو شفهية.

وبصفة عامة, نجد إن عز الدين بن شداد حرص على إيراد العديد من القصائد الشعرية ضمن تناوله للأحداث التاريخية المختلفة, ولذا من الممكن القول أن الشعر يعد احد الجوانب المهمة في منهجية عز الدين بن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة, ومن أمثلة ذلك إيراده لقصيدة أبي بكر الصنوبري في مدحه لمدينة حلب وذكره فيها

---

[190]. ابن الأثير, هو أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعرف بابن الأثير الجذري, الملقب عز الدين, ولد عام 555هـ/1160م, بجزيرة عمر الواقعة على نهر الفرات, حيث كان والده يعمل بوظيفة هامة, ورحلت أسرته إلى الموصل في خدمة أمراء البيت الزنكي, ونشأ ابن الأثير نشأة علمية ارستقراطية أقطاعية, في ظل حكم الزنكيين, واهم مؤلفاته الكامل في التاريخ والباهر في الدولة الاتابكية, والباب في تهذيب الأنساب, وأسد الغابة في معرفة الصحابة, وقد توفي ابن الأثير , عام 360هـ/1238م.

[191]. المرجع السابق, ص403.

[192]. انظر: الاعلاق,حـ1,ق1, ص298.

[193]. المصدر نفسه, ص113.

[194]. المصدر نفسه, ص41, 50,103,111, وقد أفاد عز الدين بن شداد عدة ممررات من بهاء الدين الخشاب الحلبي.

[195]. ابن العديم , مصدر سابق, حـ1/ق1, ص274.

المسجد الجامع[196]. ويبدو انه نفسه كان ذواقا للشعر, دون أن نعرف اقرضه أم لا, بدليل كثرة الشواهد الشعرية في كتابه.

ومن جهة أخرى, نجد إن ذلك الجغرافي والمؤرخ قد حرص على استخدام الجانب الوثائقي في كتابته نظرا لإدراكه لأهمية الوثائق في كتابة التاريخ, مع ملاحظة إن منهجيته ارتبطت بنوع من الكتابة توصف بأنها جغرافيا تاريخية لمناطق بلاد الشام والجزيرة, وفي هذا المجال, نجد انه استعان ببعض الوثائق, ومن أمثلتها رسالة القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني, في فتح بيت المقدس عام 583هـ/ 1187م[197], وكذلك خطبة القاضي محيي الدين بن الزنكي حين تم فتح القدس من الناصر داود[198], ثم نص إحدى الرسائل المرسلة إلى الخليفة المستنصر العباسي[199], إلى غير ذلك من النصوص الوثائقية الهامة.

الصفة البارزة بالنسبة لكتابة عز الدين بن شداد انه يوصف بالأمانة العلمية, والدقة في التحري, والتوثيق المصدري, إذ انه عندما لا يجد ضالته في المصادر المتوافرة تحت يديه, ذلك صراحة دونما مواربة, من ذلك انه عندما تحدث عن طرابلس في مرحلة من مراحل تاريخها أشار إلى إن عددا من ولاتها "لم يتصل بمدد إقامتهم في الولايات" [200] كذلك عندما كان يبحث عن تاريخ حصن من الحصون ولم يخالفه

---

196. المصدر نفسه,حـ1/ق1, ص45.

197. المصدر نفسه, حـ1/ق1, ص173.

198 . المصدر نفسه,حـ1/ق1,ص141.

199 . المصدر نفسه,حـ1/ق1, ص118-120, وكذلك انظر ص161, 331-338, 365-406.

200. المصدر نفسه, حـ1/ق1, ص204-210.

التوفيق في تتبع أصوله الأولى يصرح بأنه "لم اعثر له على ذكر في كتاب من كتب التواريخ المصنفة في صدر الإسلام" (201).

وبصفة عامة, نجد إن عز الدين بن شداد قد تناول العديد من الجوانب المتصلة ببلاد الشام على نحو جعله ويحقق واحدا من أهم الجغرافيين المسلمين في بلاد الشام على مدى القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر, والثالث عشر الميلادي.

ومن أمثلة ذلك تناوله لمدن الساحل الشامي المتعددة, ثم النشاط الاقتصادي في بلاد الشام من كافة جوانبه, وكذلك المعارك والعمائر الحربية في صورة القلاع والحصون, سواء الإسلامية أو الصليبية, ثم المزارات الدينية المختلفة, والخريطة المذهبية لبلاد الشام في ذلك العصر, ثم العمائر الدينية والتعليمية.

وقد احتل الساحل الشامي أهميته الخاصة الجديرة به, لدى عز الدين بن شداد , شأنه في ذلك شأن غيره من الجغرافيين المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام أو اللذين أنجبتهم أصلا تلك البلاد, ومن الملاحظ هنا إن ذلك الجغرافي ظهرت بجلاء عاطفته الدينية خاصة عند تناوله للمدن التي كانت خاضعة لسيادة المسلمين السياسية ثم أخضعها الصليبيون من بعد ذلك, وظلت في قبضتهم, ومن ثم ظهرت عباراته الداعية إلى أن تعود ضمن ديار الإسلام من جديد, فعبر بذلك عن شعور إسلامي عام.

ونجد انه تعرض لمدينة عكا فأشار إلى اتساع أرجلها, وكثرة ضياعها, وأن لها ميناء مأمونا (202) , وقد عبر تعبيرا دقيقا عن أهميتها ومكانتها من خلال قوله أنها "قفل بلاد الساحل وقصبته ما فيه من الحصون والمعاقل" (203), فإذا ما لاحظنا أن ذلك

---

201. المصدر نفسه, حـ1/ق1, ص211-219

202. ابن العديم , مصدر سابق ,حـ1/ق1, ص226-233

203. المصدر نفسه, حـ1/ق1, ص107.

الجغرافي يكتب تلك العبارات في سبعينات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي, أدركنا إن تلك المدينة كقلب تجاري للكيان الصليبي ظلت تتمتع بتلك المكانة المتميزة دون إن تنازعها مدينة أخرى وذلك على امتداد تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام.

وعز الدين بن شداد جغرافي نتاج عصره, بأحاسيسه الدينية الجياشة, وتشوقه للجهاد, ويتضح ذلك بجلاء من خلال تناوله لمدينة عكا إذ يذكر أنها لا تزال في قبضة الصليبيين وقت تأليفه لكتابه الاعلاق الخطيرة, وينهي عبارته بقوله: "يسر الله فتحها, وسنى للملة الإسلامية, نجحها" [204] .

كذلك تعرض لعدد من المدن الشامية الساحلية بدرجات متفاوتة من الأهمية, من ذلك تناوله لمدينة صور وإشارته الضمنية لمناعتها التقليدية عندما ذكر إن البحر يحف بها بثلاث جهات[205]. وقد أشار إلى استمرار خضوعها للصليبيين وتمنى لها ذات الأمنية التي تمناها من قبل لعكا[206].

وكامتداد لتناوله لحصانة صور, وجدناه يشير إلى مناعة وحصانة كل من يافا,وقيسارية, فوصف الأولى بأن لها سورا محكم البناء[207], أما الثانية فوصفها بالمنعة[208].

ويلاحظ إن ذلك الجغرافي الحلبي حريص على إيراد اتساع مظاهر العمران في المدن الساحلية الشامية, من ذلك انه عندما تعرض لمدينة بجنوب لبنان أشار إلى

---

[204] . المصدر نفسه, حـ1/ق1, ص69-80.

[205] ابن شداد, الاعلاق, تحقيق سامي الدهان, ص172.

[206] المصدر نفسه.

[207] نفس المصدر ,ص176.

[208] نفس المصدر ,ص163.

أن لها أربعة أقاليم وأنها متصلة بجبل لبنان واشتملت على ألف وستمائة ضيعة [209], وتفيد إشارته في توضيح إن تلك المدن الساحلية لم تكن مراكز تجارية فقط بل أنها مثلت أهمية أخرى من خلال كونها مراكز عمرانية هامة ذات ثقل في حجم كثافتها السكانية المرتفعة نسبيا كما هو متوقع.

وهناك ناحية هامة, أوردها عز الدين بن شداد بشأن الساحل الشامي, ألا وهي أن مدنه عدت موانئ تصدير للمدن الشامية البرية الحبيسة, وهو أمر أوضحه من قبل في القرن السادس هـ/ الثاني عشر م الإدريسي, وفي هذا الصدد أشار عز الدين بن شداد إلى إن حيفا. تعد في زمانه ميناء طبرية [210], وهكذا أكد في القرن السابع هـ/الثالث عشر م. استمرار تلك الظاهرة الحيوية التي أعنى بها ارتباط المدن الشامية البرية والساحلية مع بعضها البعض من خلال المصالح المشتركة, وتكرر ذات الأمر من خلال أن بيروت عدت ميناء دمشق [211] مثلما أوضح ذلك في الاعلاق الخطيرة.

أما الزوايا الاقتصادية لدى ذلك الجغرافي فهي تعد قليلة ونادرة, إذا ما قارنا أمرها بالجوانب الأخرى التي فصل الحديث بشأنها, وإشارته في هذا المجال توصف بأنها عرضية موجزة, من ذلك تناوله للنشاط الزراعي في طرابلس وذكره لزراعة قصب السكر في طرابلس [212], ومن المعروف إن الصليبيين قد عرفوا قصب السكر,في تلك المنطقة وأفادوا منه في تصنيع السكر. أما الثروة المعدنية فقد أشار إلى توافر معدن الحديد

---

[209] . نفس المصدر ,ص171.

[210]. نفس المصدر ,ص255.

[211] . نفس المصدر , ص250.

[212]. نفس المصدر , ص98.

بالقرب من بيروت [213]وهي إشارة تقليدية طالما تكررت في مصادر ذلك العصر الجغرافية.

أما على المستوى الصناعي فقد أشار إلى صناعة الزجاج في صور, وقد وصفه بأنه "محكم" [214], وكذلك صناعة الفخار بها [215], وهو أمر كان قد أشار إليه من قبل, ياقوت الحموي في معجم البلدان.

وفيما يتصل بالزاوية التجارية نجد انه أشار إلى ثراء بعض المدن الشامية الداخلية نتيجة اشتغال أهلها بالطبع ومن أمثلة ذلك معرة مصرين إذ وصفها أهلها بأنهم "ذوو يسار, وأموال, وأملاك" [216], ومنطقي أن ذلك تأتي لهم من خلال اشتغالهم بالمتاجرة مع المدن الشامية الداخلية الأخرى.

زد على ذلك, إن عز الدين بن شداد, قد أشار ضمنيا إلى تجارة معينة في صيدا في جنوب لبنان وهي خاصة بنوع الأسماك الذي يفيد في الناحية الجنسية [217], ويكاد نصه في هذا الصدد يتطابق مع نص الإدريسي, الذي أورده في نزهة المشتاق[218] , وهكذا فان بعض المظاهر التي رددها الجغرافيون المسلمون في القرن السابق, على عصر عز الدين بن شداد ونعني به القرن السادسة/ الثاني عشر م, وجدناها تتأكد, وتكرر في القرن التالي, ونعني به القرن السابع هـ/ الثالث عشر م, على نحو أكدت

---

213 . نفس المصدر, ص177.

214 . نفس المصدر, ص101.

215 . نفس المصدر, ص104.

عن زراعة قصب السكر في الطرابلس في عصر الحروب الصليبية, نعرف إن الصليبيين عملوا على الاهتمام بزراعته , ولا أدل على ذلك من أنهم قاموا بإعفائه من الضريبة المفروضة على إنتاجه على نحو أدى إلى اتساع المساحة المزروعة به من طرابلس إلى صور, عن ذلك انظر: زكي نقاش, العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية, ط.بيروت 1958م, ص176.

216 ابن شداد, الاعلاق الخطيرة, ض101.

217 . نفس المصدر, ص163.

218 . نفس المصدر والصفحة.

شهرة ذلك النوع من الأسماك كسلعة تجارية أثبتت جودتها بشهادة الجغرافيين المسلمين وعلى مدى طويل وهكذا, جاءت إشارات عز الدين بن شداد للجوانب الاقتصادية محدودة, وان لم تفتقد الأهمية, خاصة إنها أكدت رؤية سابقة لجغرافيين مسلمين و قدموا إلى بلاد الشام في مرحلة سابقة على عصر ذلك الجغرافي الحلبي.

أما إذا ما انتقلنا إلى جانب آخر من الجوانب الهامة التي أوردها عز الدين بن شداد عن بلاد الشام, خلال ذلك العصر, فهناك الجانب الحربي, سواء ما اتصل بالمعارك الحربية, أو القلاع , والحصون لدى الجانبين الإسلامي, والصليبي.

وفي هذا الصدد نجد إن عز الدين بن شداد قد أورد عددا من المواجهات الحربية بين المسلمين والصليبيين لا سيما خلال عهد السلطان نور الدين محمود ومواجهته للصليبيين.

ولعل أهم الأحداث الحربية في هذا الصدد تناول عز الدين بن شداد لمعركة أنب عام 544هـ/1159م [219], وكذلك أسر الأمير الصليبي جوسلين الثاني عام 545هـ/1160م [220], ثم معركة حارم عام 559هـ/1164م [221] .

ويلاحظ إن تناول ذلك الجغرافي لتلك الأحداث قد اعتمد فيه على المصادر المعاصرة, ولذا فلم يورد إضافات جديدة تذكر عما قد ورد بشأنها, ومع ذلك من المهم أن نذكر أهم ملامحها لما لها من فائدة.

وتعد معركة أنبا [222] من المعارك الهامة في صراع السلطان نور الدين محمود ضد إمارة أنطاكية الصليبية , وقد جرت وقائعها في صفر عام 544هـ/يونيه

---

219 . نفس المصدر , ص50.

220 . نفس المصدر , ص98.

221 انظر :الفصل الأول, حاشية ( ).

222 ابن شداد, المصدر السابق, حـ1/ق2, ص397.

1149م, وفيها تم النصر للمسلمين وهزم الصليبيين, وقتل رايموند دي بواتيه أمير أنطاكية , وعدد من كبار القادة الصليبيين [223], ومن الملاحظ أن نور الدين محمود تلقى دعما عسكريا من جانب دمشق, وان وقفت عناصر الإسماعيلية النزارية إلى جانب الصليبيين, ولقي قائدهم علي بن وفا, مصرعه في ساحة المعركة [224].

وجدير بالذكر, أن انتصار أنب يعد من أهم انتصارات ذلك القائد المسلم خلال تلك الرحلة المبكرة من حكمه, ويعده البعض نقطة تحول في صراعه مع الصليبيين وقد اكسبه انتصاره حينا كبيرا.

أما فيما يتصل بأسر أمير الرها جوسلين الثاني عام 545هـ/1160م, من المعروف أن تلك القيادة الصليبية كثيرا ما واجهت نور الدين محمود وأوجدت مقاومة صليبية ضد المسلمين, وقد وقع صدام حربي بين نور الدين وجوسلين الثاني عندما حاول الاستيلاء على أملاكه الصليبية وتمكن الأخير من إلحاق الهزيمة بنور الدين محمود عام 545هـ/1150م, بل انه أسر بعض قادة الجيش ألنوري, ويلاحظ أن المصادر الرسمية العربية لا تقدم إشارات كافية عن تلك الهزيمة على نحو يدعو للاعتقاد بأنها كانت فادحة.

وقد أدركت القيادة النورية خلال تلك الأحداث ضرورة حرمان الصليبيين من قيادة جوسلين الثاني بأن يتم أسره, وبالفعل تم ذلك في نفس العام 545هـ/1150م [225],

---

223 . نفس المصدر ,ص85.

224 . نفس المصدر , ص 58.

225 . وقعت انب أعمال عزاز في شمال الشام عنها انظر:

كرد علي, خطط الشام,جـ2, ط. دمشق 1925م, ص23, وأورد حسين مؤنس التسمية على أنها أناب وهي تسمية لم ترد في أي من المصادر العربية المعاصرة أو اللاحقة على هذا النحو, أنظر: حسين مؤنس, صور من البطولة, ط.القاهرة 1948م, ص173.

وتم تسميل عينيه, وأودع السجن, وأمضى فيه نحو تسعة أعوام, أدركته منيته بعدها عام 554هـ/1159م [226].

ولا ريب, في أن أسر جوسلين الثاني يعد من الأحداث الهامة في صراع نور الدين مع الإمارات الصليبية, حيث عرفت عنه البسالة في قتال المسلمين, وكانت النتيجة المباشرة لأسره هي سقوط أملاكه مثل تل باشر, وعين تاب, وإعزاز, وتل خالد, وقورس, والراوندان, وبرج الرصاص, ودلوك, ومرعش وغيرها من الأملاك [227]. في قبضة الجيش ألنوري.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد المدة الزمنية التي استغرقها إسقاط قلاع وحصون وأملاك جوسلين الثاني, فذكر البعض إن ذلك حدث في أيام يسيرة [228], بينما يتصور آخرون انه حدث خلال عام [229], وقرر ابن الوردي أنها مدة يسيرة [230] ولكن اعتمادا على نص صريح لابن العديم, أمكن الاعتقاد أن ذلك استغرق عدة سنوات, ربما بلغت الخمس, يقول "في ثامن عشر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وخمسمائة فتح تل باشر, وتل خالد, وفتح عين تاب سنة خمسين, وفتح قورس

---

[226] . عن تفاصيلها انظر:

ابن ألقلانسي, ذيل تاريخ دمشق, ص304, العماد الأصفهاني, تاريخ دولة آل سلجوق, ط.القاهرة 1318هـ, ص207, ابن الأثير, الباهر, ص98-99, الكامل, حـ11, ص58-59, ابن واصل, مفرج الكروب,حـ1, ص120-121.

[227] ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص304, ابن العدين. زبده الحلب,حـ2, ص298-299.

[228]. ابن الأثير, الباهر, ص154, ابن العبري, مختصر الدول, ص217, ابن العديم, المصدر السابق,حـ2, ص301, ابن واصل, المصدر السابق,حـ1, ص123.

[229]. اختلف المصادر والمراجع بشأن تاريخ أسر جوسلين الثاني , فهناك من ذكر إن ذلك حدث عام 544هـ/1149م, ومن أصحاب ذلك الرأي سبط بن الجوزي, مراه الزمان, حـ2/ق1, ص202,

ابن أبيك الدواداري, الدرة المضنية في أخبار الدول الفاطمية, تحقيق صلاح الدين المنجد, ط.القاهرة 1961م, ص555, والسيف.

[230]. وبعد موته بعد سنوات الأسر انظر:

William of tyre, vol. II, p.201, not(26), Stevenson, the crusaders, p. 181.

والرواندان وبرج الرصاص...[231]ومما يدعم هذا إن المصادر المعاصرة مثل ابن ألقلانسي والعماد الأصفهاني, لايبرزان إلا سقوط عزاز عام 545هـ/1150م [232] مما يدل على أن القلاع والمناطق الأخرى سقطت- على الأرجح- بعد ذلك, ثم أن دولوك مثلا استولى عليها نور الدين عام 547هـ/1152م [233].

أما معركة حارم عام 559هـ/1163م [234], فهي من اعنف المواجهات الحربية بين نور الدين محمود, والصليبيين ومن حالفهم, وقد اشتركت في مواجهة المسلمين, القوى الصليبية والبيزنطينية, والأرمينية.

ومن الملاحظ إن اشتراك القوى الصليبية مرجعه الرغبة في تحجيم خطر نور الدين الذي تزايد من خلال هجماته على إمارة أنطاكية, كما أن الإمبراطورية البيزنطينية قد سعت إلى المشاركة في مواجهة نور الدين نظرا لأطماعها بأنطاكية من قبل الغزو الصليبي للمنطقة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي, وأراد الأرمن هم أيضا, جني ثمار مشاركتهم في المعركة في حالة الظفر.

وقد اغتنم نور الدين محمود فرصة غياب الملك عموري الأول في مصر لتنفيذ مشروعه الصليبي هناك, وهاجم إمارة أنطاكية [235] , وطبيعي أنها حرمت من العون العسكري الكبير الذي كان من الممكن أن يقدمه لها, ويقال -وفقا لرواية ابن عساكر وغيره- إن القوات المتحالفة بلغت ثلاثين ألفا [236] - وعلى الرغم من طابع المبالغة

---

231 . ابن العبري, المصدر السابق, ص208, ابن العديم, حـ2, ص302-303, ابن واصل , المصدر السبق, حـ1, ص 124, سبط بن الجوزي, المصدر السابق, ص202, ابن الشحنة, روضة الناظر في تاريخ الأوائل والأواخر, بهامش الكامل لابن الأثير, ص550.

232. كرد علي, المرجع السابق, حـ2, ص37.

233 .Stevenson,op. cit, p.148.

234. تتمة, المختصر, ص50.

235. المصدر السابق, حـ2, ص302-303.

236. ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص310, العماد الأصفهاني, المصدر السابق, ص207.

الرقمية الذي اعتادته المصادر التاريخية خلال ذلك العصر, إلا إن ذلك الرقم عكس الأهمية التي علقها التحالف المسيحي على الصدام مع الدولة النورية حينذاك, وقد تلقى نور الدين دعما قويا من المناطق المجاورة, وبخاصة من جانب أخوية نصرة الدين وقطب الدين وكذلك من زيد الدين كوجك حاكم اربيل وحاكم سنجار وابن عم مجد الدين وسيف الدين صاحب فيج [237] وقد كلل جهد الجيش ألنوري بالنجاح وانزل هزيمة كبيرة بالقوات المعادية وبلغ عدد القتلى نحو عشر ألاف [238]ويقال إن الأسرى قد بلغوا ستة آلاف من كبارهم [239]ومن بينهم أمير أنطاكية بوهيموند الثالث (1163-1201هـ/ 558-597م) وأمير طرابلس ريموند الثالث (1152-1187م/543-583هـ) وأمير تل باشر جوسلين الثالث , وأمير قليقية قسطنطين كارلومان, وهيو دي لوزينيان [240] , بينما فر تورس الأرميني من ساحة القتال عندما أيقن تفوق المسلمين, ولم ينصت الصليبيون إلى نصحه لهم بانتظار مقدم الملك عموري من مصر [241].

ولا نزاع في إن موقعة حارم أثرت على نطاق متسع على العلاقات النورية الأنطاكية, فقد مثلت انتصارا لنور الدين ضد الوجود الصليبي في شمال الشام, وفقدت الإمارة الكثير من فرسانها بين قتيل وجريح, وسلبتها قيادات هامة, وحق لكلودكاهن إن يصفها بأنها كارثة [242] , وقد حقق نور الدين من جرائها العديد من المكاسب, إذ استولى على حارم , وعمل على الإغارة على مناطق أنطاكية بعد أن أيقن عدم وجود

---

[237]. ابن واصل , المصدر السابق, حـ1,ص125.

[238]. وقعت حارم ضمن حدود أنطاكية على بعد عشر أميال غربها, وهي حاليا من مناطق محافظة اولبا في شمال سوريا, وتبعد عن أولبا بمسافة 53 كيلو متر مربع.

[239]. Jacques de vitry, p.94.

[240]. ابن عساكر, ترجمة محمود بن زنكي, تحقيق : B.E.O. , T. Annee 19 , ص138.

[241]. ابن واصل, المصدر السابق, حـ1, ص143, ابن كثير, البداية والنهاية, حـ12, ص248.

[242]. ابن العديم, المصدر السابق, حـ2, ص320و ابن واصل, المصدر السابق, حـ1, ص145.

مقاومة حقيقية ضده, وبلغت اللاذقية وسعى إلى اكتساب مغانم وفيرة من أعدائه [243], وانتهز فرصة غياب عموري في مصر واستولى على بانياس بعد ذلك بشهرين [244].

ومن جهة أخرى , تعرض عز الدين بن شداد لأمر القلاع سواء الصليبيين أو الإسلامية في بلاد الشامي عصر الحروب الصليبية , وقد حرص على التعرض لتكوينها الأثري, بالإضافة إلى تعاقب القوى السياسية المسيطرة عليها, وفي هذا المجال نجده يتميز بصورة واضحة عن غيره من الجغرافيين المسلمين في بلاد الشام في ذلك العصر, الذين قدموا مجرد إشارات موجزة, ونادرة, عن تلك القلاع, والحصون على الرغم من أهميتها المتزايدة في ذلك العصر, وفي قضية المواجهة الحربية الإسلامية/ الصليبية.

والجدير بالذكر هنا, أن قيمة عز الدين بن شداد في إيراد العمائر الحربية تجعله, لا يتفوق على الجغرافيين المسلمين في ذلك العصر, بل وحتى مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين قدموا إشارات بالغة الاقتصاد والندرة بشأن تلك القلاع و ولا ريب في إن ذلك كله من شأنه أن يزيد من قيمة النصوص التي أوردها ذلك الجغرافي الحلبي بشان تلك القلاع, والحصون, وعلى نحو يعكس أيضا إدراكه الشخصي لأهمية دورها في المواجهة بين المسلمين والصليبيين في ذلك العصر.

---

243. سبط بن الجوزي, المصدر السابق, حـ8/ق1, ص247, أبو الفداء, المختصر, م(2), حـ(5), ص56.

244. الفتح البنداري, سنا البرق الشامي, ص19, أبو شامة, الروضتين,حـ2/ق1, ص339, ابن واصل , المصدر السابق, حـ1, ص145, ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, حـ4, ص186.

مهما يكن من أمر, فان عز الدين بن شداد قد أورد تناولا هاما لأحد الحصون الصليبية البارزة, ونفي به حصن الأكراد, وقد ذكر أمر حصانته بان أشار إلى أن ثلاثة أسوار وثلاث باشورات [245], كما أوضح إن الإفرنج كانوا فيه لا يكترثون بالجيوش مهما كان عددها, ومنه كانوا يشنون الغارات تلو الغارات, ويدركون الثارات[246].

ومن المعروف إن حصن الأكراد قد وقع على القوافل الواقعة في الشمال من حمص, وحماة من جهة طرابلس وأنطرسوس من جهة أخرى [247], وذلك في وادي النهر الكبير[248], ووقع على بعد مائتين وأربعين كيلو مترا من مدينة دمشق, ومائة وأربعين كيلو مترا من طرابلس[249], وأربعين كيلو مترا من حمص[250], وبذلك احتل موقعا استراتيجيا ممتازا.

وهناك من يقرر أن حصن الأكراد سمي بتلك التسمية إلى صلاح الدين ورجاله وهم الأكراد[251], بيد إن هذا الرأي لا ينطبق على الواقع قي شئ, إذ إن التسمية ذاتها كانت موجودة حتى من قبل العصر الأيوبي ونجدها تتردد في مصادر تاريخية سابقة

---

245. Anonymous syriac chronicle, p. 204, William of tyre, vol. II,p.308.

246. Chen, la syrie du nord a lepoque des croisades, Paris 1940,p..204.

247. ابن الأثير, الباهر, ص125, ابن العديم, المصدر السابق, حـ2, ص320.

248 . ابن العديم, المصدر السابق,ص321.310-308 William of tyre, vol.II, p. .

249. ابن شداد, المصدر السابق, ص116.

250 . المصدر نفسه.

251. عزيز سوريال عطية, العلاقات بين المشرق والمغرب في العصور الوسطى, ثقافية, تجارية صليبية, ت.فيليب صابر, ط.القاهرة 1973م, ص54.

ويلاحظ إن كلمة كراك crac تحريفه للفظة الأكراد, وتختلف عن كلمة crac الواردة في crac de montrial, crac des Moabites, وهذين الاسمين تحريف للفظة أرامية هما "كرخا" ومعناها مدينة.

زمنيا على ذلك العصر[252] . ومن المرجح أنها وجدت منذ عهد المرداسيين عندما عهدوا بأمر ذلك الحصن لمجموعة من الأكراد فعرف بحصن الأكراد.

وقد اتصف الأكراد بالحصانة والمنعة واحتوى على ثلاثة أسوار[253], وثلاث باشورات[254] وقد استولى الصليبيون على الحصن المذكور في عام 1110م/503هـ[255], الأمر الذي أدى إلى زيادة قوتهم في المنطقة التي وقع فيها ذلك الحصن.

وقد حصلت هيئة الاسبتارية على حصن الأكراد في عام 1142م/537هـ على الأرجح[256], وحاول الأيوبيون اخضاعة دون جدوى, وكان سقوطه في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وذلك في شعبان عام 669هـ/ أبريل 1271م[257].

والجدير بالذكر إن عز الدين بن شداد يقدم لنا مادة تاريخية قيمة فيما يتصل بظروف سقوط حصن الإكراه, وذلك من خلال معاصراته لتلك الأحداث وارتباطه بالسلطان الظاهر بيبرس الذي خصه برعايته مثلما أسلفت الإشارة من قبل.

---

252. هنري لامنس, دولة العلويين, المشرق, العددان (8), (9), م(27), عام 1929م, ص168.

253. عبد الرحمن زكي, العمارة العسكرية في العصور الوسطى, المجلة التاريخية المصرية, م(7), عام 1958م, ص128, حاشية (3).

254. يوسف سماره, جولة في الإقليم الشمالي, ط.القاهرة 1960م ص62.

255. عبد الله عنان, قلاع الصليبيين والمسلمين ولبنان, مجلة الهلال, حـ(5), السنة (42) عام 1933م, ص554.

256. ابن ألقلانسي, المصدر السابق, تحقيق أميدروز, ص162.

257. مفضل بن أبي الفضائل, النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد, تحقيق بلوشبه p.o.,T.XII, ط.باريس, ص528.

وقد ذكر إن السلطان الظاهر بيبرس نزل على الحصن المذكور, ونصب علية المجانيق[258], وغيرها من أدوات الحصار وواصل مواجهة الصليبيين به إلى إن تمكن المسلمون من هدم الأسوار, ثم أعقب سقوط الباشورات[259], ويشير ذلك الجغرافي إلى أن العساكر قد دخلوا الحصن بالسيف "وقتلوا من فيه ممن الاستيمار"[260] وقام السلطان بالعفو عن عناصر الفلاحين وذلك من اجل القيام بإعادة تعمير المنطقة التي[261] أصابها التخريب من خلال المواجهة الحربية بين الماليك والصليبيين.

وبالإضافة إلى ذلك, تناول الجغرافي احد الحصون الصليبية الهامة في جنوب مملكة بيت المقدس الصليبية ونعني به حصن الكرك,وقد أوضح انه كان دبرا للمسيحيين[262], وان الصليبيين زادوه تحصينا, وتناول مناعته انه بينه وبين رضه خندق عميق يبلغ نحو ستين ذرعا[263], كما ذكر خطورته من حيث إن الصليبيين فيه كانوا يشنون الغارات على ما دناهم من القرى والضياع المسلمة للقيام بعمليات السلب والنهب [264].

ومن المعروف إن حصن الكرك قد وقع عن الطرف الجنوبي من البحر الميت, وذلك على بعد مائة وواحد وعشرين كيلو مترا جنوبي مدينة حماة, ويبلغ ارتفاعه فوق سطح

---

[258] King, "the taking of le krak des chevaliers in 1271"< vol.xxIII, p.89, Lawrence, crusader castles, vol,I. London 1936, p.47.

[259] King, the taking, p.39.

[260] Riley, smith, A history of the order of the knights of st. john of Jerusalem, London 1967, p.37, fedden, crusader castles, p.50.

[261] . المقريزي, السلوك لمعرفة دول الملوك,حـ1/ق1, تحقيق مصطفى زيادة, ط.القاهرة, ص591 . عبد القادر المغربي, الظاهر بيبرس, مجلة المجمع العلمي بدمشق, م(21), حـ(5), حـ(6), عام 1946م, ص235.

[262]. ابن شداد, المصدر السابق, ص116-117.

[263] . نفس المصدر, ص117.

[264] . نفس المصدر والصفحة.

البحر ثلاثة آلاف ومائة من الأقدام, في موقع حصين, وقد أحاطت به أجراف طبيعية من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية, أما الجهة الشمالية, فقد أحاط خندق اصطناعي تم حفره في الصخر الصلد[265].

ويلاحظ إن للحصن المذكور أربعة أبراج, يشرف كل برج منها احد المداخل التي كانت تؤدي إلى المدينة, وتألف الحصن من قاعات وغرف وكذلك إسطبلات للخيول, وسجون وأماكن مخصصة للراحة[266].

وقد استولى الصليبيون على ذلك الحصن, وأضافوا إليه عددا من التحصينات, في عام 1142م/537هـ, وتولى ذلك الأمير باين ساقي الملك فولك أنجو full Anjou (1131-1144م/ 526-539هـ) ملك بيت المقدس الصليبية[267]. كذلك تعرض عز الدين لقلعة تبين أو toron في المصادر التاريخية الصليبية ووصفها بالمنعة والحصانة[268].

والجدير بالذكر إن قلعة تبنين وقعت على بعد سبعة عشر ميلا من بانياس, الداخلية إلى الجنوب الشرقي منها في مواجهة ساحل صور[269], وقدتم بناء تلك القلعة في عام 1104م/498هـ من اجل القيام ببعض العمليات العسكرية الموجهة إلى مدينة

---

265. نفس المصدر والصفحة.

266. نفس المصدر, ص69.

267. نفس المصدر, والصفحة.

268. نفس المصدر , ص70.

269. ابن شدا, المصدر السابق, حـ2, ص69, النابلس, رحلتان إلى لبنان, تحقيق صلاح الدين المنجد واصطفان فيلد , ط, بيروت 1979م, ص72, يوسف درويش غوانمة, التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي, ط.عمان 1982, ص259, ايمارة الكرك الأيوبية , ط.عمان 1982م, ص55 لنكستر هاردنج, آثار الأردن, ت.سليمان موسى, ت.عمان 1965م, ص104-107.

صور, وذلك اعتمادا على ما أورده وليم الصوري[270], وقد حصل الاستيبارية عليها في عام 1157م/552هـ, عندما أعطاها لهم الأمير همفري أوف تبنين [271].

وقد امتازت قلعة تبنين في حصانتها, ومناعتها[272], وتمكن المسلمون من إسقاطها عام 583هـ/1187م[273] وفيها بعد إعطائها الصالح إسماعيل للصليبيين وذلك في ظروف صراعه مع السلطان نجم الدين أيوب نظير مساعدتهم له ضد مصر وحلفائها[274] وظلت في أيديهم إلى أن تمكن السلطان الظاهر بيبرس من استردادها في عام 664هـ/1266م[275].

ومن جهة أخرى, أشار عز الدين بن شداد إلى حصن شقيف اونون[276], وهو من الحصون الصليبية المنيعة.

وقد وقع الحصن المذكور على جبل عاملة في القسم الشمالي منه حيث يفصله نهر الليطاني شمالي فلسطين[277], وقد هيأ له موقعه, القيام بدور دفاعي عن أملاك الصليبيين في المنطقة المجاورة له, حيث وقع بالقرب من مدينة صيدا[278].

---

270. حمود القيثامي, الآثار في شمال الحجاز, حـ1,ط.القاهرة 1976م, ص276.

271. يوسف درويش, غوانمه, تاريخ الحضاري, ص263.

272. ابن شداد, المصدر السابق, ص152.

273. الموقع قلعة تبنين انظر:

ياقوت , معجم البلدان, حـ1, تحقيق وستنفيلد , ط.ليزج 1889م, ص820 العثماني, تاريخ صفه , ص482.

274 William of tyre , vol.I,p. 449 . انظر أيضاrye, les colonices franques, p.499.

275 Riley, smith, op.cit,p37.

276. ابن الأثير, الكامل,حـ11, ص542, ابن خلكان, وفيات الأعيان,حـ3, ص117, الفتح البنداري, سنا البرق الشامي, ص304.

277. ابن شداد, النوادر السلطانية, ص80, ابن خلكان, المصدر السابق, حـ7, ص177, ابن الأثير, المصدر السابق, حـ1, ص542, الفتح البنداري, المصدر السابق, ص304.

278. ابن شداد, المصدر السابق, حـ2, ص153.

وقد احتوى حصين الشقيف على تكوينات معمارية هامة, جعلته واحدا من أحصن القلاع والحصون الصليبية في بلاد الشام, وكان شكله مثلث الزوايا, وبلغ طوله مائة

وسبعين مترا أما عرضه فقد بلغ سبعين مترا وقد حفرت عنده صهاريج المياه من اجل توفيرها للمدافعين, كما حفرت آبار في الصخور, بالإضافة إلى وجود آبار في داخل القلعة لتوفير المياه عن طريق الأمطار الساقطة, وفي جنوب الحصن, وجدت آثار خندق محفور ليعوق تقديم المهاجمين, كذلك كانت هناك حظائر للخيول ودواب الفرسان[279]. وبالإضافة إلى كل ذلك, نعرف أن الحصن قد احتوى على عدة أبراج بارزة وعلى عناصر الساقطات عند الأسوار والأبراج, وبذلك تشابه مع وضع حصن الأكراد.

وتجدر الإشارة إلى إن حصن الشقيف قد سقط في قبضة المسلمين في أعقاب معركة حطين عام 583هـ/1187م, بيد انه عاد فيما بعد للسيطرة الصليبية, وان أخضعه المسلمون نهائيا لهم في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام 1268م[280].

ومن جهة أخرى, أشار عز الدين بن شداد لقلعة صفد[281], وتناول حصانتها, وسيطرة هيئة الداوية عليها, كما تناول تفاصيل استيلاء المسلمين بقيادة الظاهر بيبرس عليها.

وقد وقعت قلعة صفد على بعد ثمانية أميال من بحيرة طبرية, وهيأ لها موقعها الإشراف على كافة الأراضي الواقعة في منطقة الجليل بشمال فلسطين, ثم أنها كانت

---

279. نفس المصدر, حـ2, ص153و حامد غنيم, الجبهة الإسلامية, حـ3, ص143ز

280. ابن شداد, المصدر السابق, ص154.

281. سليمان مظهر, قلعة شقيف ارنون, مجلة المجمع العلمي بدمشق, عدد عام 1944م, ص424.

في منطقة واقعة بين مدينة عكا على الساحل الفلسطيني, ودمشق[282], وقد هيأ ذلك الموقع أهمية إستراتيجية خاصة.

وقد وقع خلاف بين المؤرخين بشأن قلعة صفد, فعلى الرغم من إن المملكة اللاتينية قد عهدت بأمرها لهيئة الداوية إلا أن التحديد الزمني لذلك ثار بشأنه الخلاف وقد أشار عز الدين بن شداد إلى إن القلعة صفد قد بناها الداوية عام 495خ/ 1101م[283], ونقل عنه العثماني تلك الرواية دونما تمحيص[284]. ولكن من الواضح تماما إن كلا منهما قد وقع في الخطأ, إذ أن تنظيم الداوية لم يكن قد ظهر بعد إلى حيز الوجود حينذاك, لان التنظيم قي تأسس عام 1119م/513هـ.

وقد اختلف الباحثون في تاريخ حصول الداوية على قلعة صفد, فهناك من رأى إن ذلك قد وقع عام 1167م/563هـ[285], أما براور, فقد رأى إن ذلك تم عام 1240م/638هـ[286], وفي تقديري إن الرأي الأول هو الأصح, إذ انه خلال ذلك الحين عهدت مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك الصليبي عموري بالعديد من القلاع والحصون لتلك الهيئات الحربية مثل الداوية والاسبتارية, ومن المستبعد منطقيا أن ننتظر المملكة حتى قرب منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري من اجل القيام بذلك, إذ إن احتياجاتها الأمنية الملحة خلال القرن الثاني عشر الميلادي /السادس الهجري من خلال اشتداد أمر حركة المقاومة الإسلامية, هي التي جعلتنا تقوم بذلك خلال القرن المذكور.

---

282. ابن الفرات, تاريخ الدول والملوك, م5/ح1, تحقيق الشماع, ط.البصرة, ص221, حاشية (900), حتى المرجع السابق, ص358.

283. سليمان مظهر, المرجع السابق, ص430.

284. احمد رمضان, المجتمع الإسلامي,ص325, ابن عبد الظاهر, الروض الزاهر, ص298.

285. ابن شداد, المصدر السابق, حـ2, ص146.

286. عاشور, الحركة الصليبية, حـ2, ص600–601, الطراونة, مملكة صفة, ص86.

والجدير بالذكر, إن السقوط النهائي لقلعة صفد في قبضة المسلمين حدث في عهد السلطان الظاهر بيبرس في عام 664هـ/1266م[287].

أما القلاع الإسلامية, فقد أشار عز الدين بن شداد إلى قلعتي حلب والطور, وقدم تفاصيل هامة عنهما.

ويرتبط في وصفه لقلعة حلب جانبان هامان هما الجانب الأثري, والجانب التاريخي, ونجده يذكر التطورات المعمارية التي طرأت على القلعة مع تعاقب القوى السياسية, على حكم المدينة, وكل ذلك بتفاصيل ثرية لم نعهدها في كتابات الجغرافيين المسلمين في ذلك العصر, وتفوق في هذا المجال على الإشارات التي قدمها ياقوت الحموي على الرغم من ارتباط الأخير بحلب.

وقد أشار إلى أن سيف الدولة الحمداني قد أقام بها بعض المواضع عندما قام ببناء سور المدينة[288] , كما إن المرداسيين أقاموا هم أيضا بها دورا وجددوا أسوارها[289], بيد إن التطور البارز في أمر عمارة قلعة حلب ارتبط بعهد الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين الأيوبي, إذ انه أقام جسرا ممتدا من القلعة إلى البلد وبني برجين لم يتم بناء مثلهما من قبل, وأقام للقلعة كذلك ثلاث أبواب حديدية. وأقام بها أماكن مخصصة للجنود وأرباب الدولة, وخصص فيها مكان لآلات الحرب, بالإضافة إلى انه فتح في سورها بابا سماه باب الجبل[290].

وبالإضافة إلى كافة تلك التجديدات, نعرف من خلال ذلك الجغرافي الحلبي إن الملك الظاهر غازي أقام بالقلعة مصفى كبير للماء وكذلك مخازن للغلال, وقام بسفح تل

---

287. ابن شداد, المصدر السابق, حـ2, ص146, وقدايده الطراونة, المرجع السابق, ص85.

288. العثماني, المصدر السابق, ص479.

289. عاشور, المرجع السابق, حـ2, ص693.

290 Prawer, the Latin kingdom of Jerusalem,p.260.

القلعة وبناه بحجر يسمى الهرقلي, وقام بتعلية بابها, وكان من قبل قريبا من ارض المدينة[291].

وهكذا قدم لنا عز الدين بن شداد عرضا مهما لتطور عمارة قلعة حلب, وكان من الطبيعي أن تنال منه اهتماما خاصا مع ارتباطه بتلك المدينة مولدا ونشأة. ومن الواضح كذلك إن عهد الملك الظاهر غازي يعد وبحق أهم مرحلة من مراحل تطور تلك القلعة الحصينة.

أما قلعة الطور, فقد أوضح إن الملك العادل أبو بكر قام ببنائها على جبل الطور, وكانت توصف بالحصانة, والمنعة, ثم خربها من بعد ذلك[292].

وهكذا قدم عز الدين بن شداد, تناولا هاما للقلاع الصليبية والإسلامية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ومن الجلي البين انه اهتم بعنصر القلاع اهتماما خاصا, ولا أدل على ذلك من أنها شملت قسما كبيرا من كتابه وفصل أمرها, فجاء تناوله عوضا عن الإشارات المقتضبة التي وجدناها لدى الجغرافيين المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام في ذلك العصر.

وبالإضافة إلى كافة الجوانب السابقة التي تعرض لها ذلك الجغرافي هناك أيضا جانب هام يتصل بالمزارات الدينية وقد أوضحها بالنسبة للأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية, والإسلامية.

ومن أمثلة المزارات اليهودية إشارته إلى وجود قبر يوشع بن نون في مشهد هناك, وقد ذكر إن الملك الظاهر غازي قام بتجديد عمارته[293].

---

291. ابن عبد الظاهر, المصدر السابق, ص261, مفضل ابن أبي الفضائل, المصدر السابق, ص490, ابن كثير, المصدر السابق, حـ13, ص247, ابن الشحنة, المصدر السابق, ص132, المقريزي, المصدر السابق, حـ1/ق1, ص543.

292. ابن شداد, المصدر السابق, ص80.

أما المزارات المسيحية, فهناك كنيسة القيامة والتي وصفها بأنها "الكنيسة العظمى" وأشار إلى أنها من عجائب الدنيا من الناحية المعمارية(294). كذلك تعرض لكنيسة اليعاقبة بالقدس. وقد ذكر انه يقال إن السيد المسيح علية السلام قد اغتسل بها(295), وكذلك عين سلون التي شبه ماءها بماء زمزم(296). وكنيسة السليق التي أشار إلى إن السيد المسيح رفع منها إلى السماء(297), ثم كنيسة صهيون التي ذكر إن المائدة نزلت على المسيح والحواريين بها(298), أما وادي جهنم فقد أشار إلى إن به قبر السيدة مريم العذراء أم المسيح(299).

ومن الملاحظ بشان المزارات التي أوردها عز الدين بن شداد, وخاصة المزارات اليهودية, والمسيحية, انه أوجز الحديث فيها, ولم يقدم وصفا مفصلا لأحد تلك المزارات, وذلك على عكس الإدريسي الذي قدم وصفا مهما لعدد من الكنائس المسيحية في فلسطين في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري.

إما المزارات الإسلامية, فقد أشار إلى إن بمدينة غزة قبر هاشم بن عبد مناف(300), وهو أمر كثيرا ما أشار إليه الجغرافيون المسلمون في ذلك العصر, كما ذكر وجود مشهد يونس, ومشهد الحسين, ومشهد الثلج, وكذلك مقام إبراهيم, ومشهد الخضر في

---

[293]. نفس المصدر, ص82.

[294]. نفس المصدر والصفحة

[295]. نفس المصدر السابق.

[296]. نفس المصدر, ص162.

[297]. نفس المصدر, ص170.

ويوشع بن نون هو الذي تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام, وهناك سفر خاص به يحمل اسمه في العهد القديم, وهو سفر يشوع, ويمكن تقسيم حياة يشوع أو يوشع إلى قسمين, الأول ويطلق علية مرحلة الصحراء, وفيها نجده بمثابة مساعد ومعين للنبي موسى عليه السلام, أما القسم الثاني فيتمثل في دوره في قيادة بني إسرائيل بعد وفاه موسى.

[298]. ابن شداد, المصدر السابق, ص199.

[299]. نفس المصدر, ص287.

[300]. نفس المصدر والصفحة.

حلب[301] وقد حرص على إيراد العديد من المشاهد والمقامات التي يقوم الاهلون بزيارتها تبركا في ذلك الحين, لا سيما في حلب بشمال الشام حيث اهتم عز الدين ابن شداد بمزاراتها على نحو خاص.

وهناك ناحية جديرة بالدراسة, تتعلق بموقف عز الدين بن شداد من تلك المزارات, ومدى تأييده لوجود بعضها وصحة ذلك من عدمه, وفي هذا نجده يشير إلى الوضع الذي يتشكك أصلا في صحته على اعتبار انه "زعم" , ومن الأمثلة الدالة على ذلك انه عندما تناول قبر يوشع بن نون في معرة النعمان ذكر الأمر على انه "فيما زعموا" [302], وتكرر الموقف عندما أشار إلى احد المزارات الإسلامية في حلب ونعني به مسجد الغوث إذ ذكر إن به كتابة "يزعم" البعض أنها من خط الإمام علي بن أبي طالب[303].

ولم يقف الأمر عند ذلك الجغرافي إلى هذا الحد, بل انه كان يصحح المعتقدات والآراء, ففي إشارته إلى وجود قبر مالك بن الاشتر النخفي في بعلبك ذكر ذلك ثم أشار مباشرة إلى إن " الأصح انه بالمدينة" وهو يتشابه في كل ذلك مع موقف ياقوت الحموي في معجم البلدان عندما اتجه إلى نقد مواضع بعض المزارات التي قصدها وعمل على تصحيح ذلك.

---

301 . نفس المصدر والصفحة.

302 . نفس المصدر والصفحة.

303 . ابن رشد، مصدر سابق، ص287

ووادي جهنم , وقع شرق بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا وجبل صهيون غربا, وخلال العصور الوسطى, أطلق عليه المؤرخون أسماء متعددة مثل : وادي مريم, أو وادي النار, أو وادي سلوان, أو وادي يوسفات. ويلاحظ إن هناك إشارات متعددة عن ذلك الوادي مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري, وفيما بعد, وقد احتوى وادي جهنم خلال تلك المرحلة على العديد من النساك الذين أقاموا فيه.

وبالإضافة إلى ذلك, هناك المزارات العلاجية , وفي هذا المجال أشار إلى حمامات طبرية, ذات المياه الحارة, وذكر قدرتها على علاج المجذومين وأصحاب العاهات[304], وتعتبر إشارته في هذا المجال أكثر تفصيلا مما أورده الإدريسي,وبصفة عامة حظيت مياه حمامات طبرية بشهرة واسعة في ذلك العصر, على نحو جعل كافة الجغرافيين المسلمين يشيرون إليها بصورة مختلفة بين الاقتضاب تارة والتفصيل تارة أخرى.

أما ما اتصل بالخريطة العقائدية لبلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ونجده قد أشار إلى عناصر الإسماعيلية النزارية وذكر دور بهرام الاستراباذي مقدم الإسماعيلية وقدرته على الاختفاء والاستقرار, واتصاله بظهر الدين طغتكين أنابك دمشق الذي سلمه بانياس [305]. كما تعرض لدور الإسماعيلية في الصدم الحربي مع عناصر الدروز وذلك عام 522هـ/1127م [306], كما تعرض عز الدين بن شداد لمحاولة الإسماعيلية النزارية اغتيال السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي في اعزاز عام 571هـ/1175م [307], وفشل تلك المحاولة.

والواقع أن بهرام الاستراباذي مثل احد القيادات الإسماعيلية في بلاد الشام لا سيما في مدينة دمشق, ويكاد يجمع المؤرخون على تمتعه بقدرة هائلة على التحرك والنشاط السري متخفيا بتغيير ثيابه, وملامحه, وتوافرت لدية القدرة على التستر[308], الأمر الذي جعله " يطوف البلاد والمعاقل , ولا يعرف شخصه" [309].

---

304. ابن شداد, المصدر السابق, ص264.

305. نفس المصدر, ص143, 156-157, وغيرها.

306. نفس المصدر, ص170.

307. نفس المصدر, ص131.

308. نفس المصدر, ص129-130.

309. نفس المصدر ,ص140

ومن الملاحظ إن الاتابك ظهير الدين طغتكين- أتابك دمشق- تعاون مع بهرام ومثل معه نفس الدور الذي لعبه اتابك حلب رضوان بن تتش مع مقدم الإسماعيلية الحكيم المنجم الباطني, كما إن إحدى الشخصيات السياسية الهامة حينذاك وهو الوزير المزدقاني بذلت جهدها من اجل مساعدة الإسماعيلية النزارية[310], وأدى ذلك بدوره إلى ازدياد نفوذهم مما ترتب عليه زيادة السخط في نفوس المسلمين السنيين في دمشق[311], وأدركوا إن الباطنية يسيطرون على مقدرات الحياة السياسية في دمشق.

وعندما أدرك بهرام الاسترابادي تزايد السخط عليه وعلى أتباعه, أراد أن يجد له مركزا هاما محصنا ليكون بديلا عن دمشق في حالة طرد الإسماعيلية منها, أو من اجل أن يوازن بين قوة اتباعية في دمشق وفي المركز الجديد, ولذا نجده قد طلب من طغتكين إعطاءه بانياس[312], ويبدو انه أراد استغلال موقعها الاستراتيجي من اجل أن يقدمها للصليبيين كورقة رابحة من اجل أن يحصل على أية مكاسب سياسية من وراء ذلك. وبالفعل قدم له اتابك دمشق بانياس وذلك عام 520هـ/1125م[313].

ويزعم احد المؤرخين الاسماعيلين المحدثين إن هدف الباطنية من الاستيلاء على بانياس, هو رغبتهم في إيجاد إمارة تقف في وجه الصليبيين[314], غير إن هذا القول لا يستند إلى أي أساس من الواقع التاريخي, لسبب بسيط, وهو إن الباطنية عندما تعرضوا للضغوط الإسلامية السنية في مذبحة دمشق-فيما بعد- سرعان ما أقاموا بتسليم بانياس للصليبيين مما عكس حقيقة واضحة وهي إن الصليبيين في ذلك

---

310 . نفس المصدر, حـ1/ق1, والصفحة.

311 . نفس المصدر والصفحة.

312 . ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص215, سبط بن الجوزي, مرآة الزمان,حـ8/ق1, ص118, ابن شداد. المصدر السابق,حـ2, ص140.

313. ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص215, ابن شداد, المصدر السابق, حـ2, ص140.

314. ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص215.

ابن قاضي شبهة, الكواكب الدرية, ص95.

الحين لم يكن لهم أي وضع في مخططات السياسة الإسماعيلية, ولم يفكر الإسماعيلية في معاداتهم خلال تلك المرحلة.

أما فيما يتصل بالصدام الحربي بين الإسماعيلية, والدروز, عام 522هـ/1127م فقد كشف عن مواجهة عنيفة بينهما, وكان وادي التيم قد شهد نشاطا واضحا للعناصر الدرزية, ومن بين الأسرات الحاكمة كانت أسرة درزية هامة وهي الأسرة الجندلية, وعلى رأسها الضحاك بن جندل ألبقاعي الذي انتهت إليه رئاسة وادي التيم حينئذ, وبسبب الصراع التقليدي على قضية الأخذ بالثأر, تقدم بهرام الاستراباذي إلى هناك, فتصدى له الضحاك, وتمكن الأخير من إلحاق الهزيمة بعناصر الإسماعيلية, وعاد فلول المنهزمين "على أقبح صورة"[315], كما يصفهم ابن الأثير, وقد قتل بهرام في أحداث المعركة[316], ففقدت عناصر الإسماعيلية النزارية واحدا من كبار قياداتها.

وقد وقعت أحداث ذلك الصدام بين الإسماعيلية والدروز عام 522هـ/1127م, أي بعد حصول الإسماعيلية على بانياس, مما يدعم فكرتنا في إن ازدياد نفوذ الإسماعيلية السياسي عقب حصولهم على بانياس شجعهم على محاولة فرض سيطرتهم على العناصر الدرزية في وادي تيم.

أما فيما يتصل, بمحاولة الإسماعيلية اغتيال صلاح الدين الأيوبي في اعزاز عام 571هـ/1176م[317], فتعرف إن الإعزاز كانت من أهم مراكز التواجد الاسماعيلي

---

315. بانياس, تقع إلى جهة الغرب مع ميل الجنوب من دمشق, وكانت تطل على إقليم يعرف بإقليم الحولة الذي اشتمل على مائتي قرية على حد قول ابن شاهين وتعرف أحيانا بالصبيبة وقد يخلط بينها وبين بانياس الواقعة على الساحل الشامي وعن بانياس انظر:أبو الفداء, تقويم البلدان, ص238-239, ابن شاهين, زبده كشف الممالك, ص46, ألخالدي, المقصد الرفيع المنشأ, ورقة (88), عمر كمال توفيق, مقدمات العدوان الصليبي, ط.الإسكندرية 1966م, ص194-195.

316. ابن الأثير, الكامل, حـ10, ص225, ابن قاضي شهبه, المصدر السابق, ص91, العماد الأصفهاني, البستان الجامع, ص120

317. مصطفى غالب, إعلام الإسماعيلية, ط.بيروت 1969م, ص172.

في بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية, وقد بذل الجيش الأيوبي مجهودات مضنية من اجل حصارها الذي استمر نحو ثمانية وثلاثين يوما وفق ما قرره ابن واصل[318].

وكانت اعزاز عامرة بالمدافعين والأسلحة, وقد أظهرت عناصر الباطنية دفاعا كبيرا عن مركزها, وتمكنت من إرسال الفداوية من اجل اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي, ولكن قدر له النجاة, ولم يكن صلاح الدين يصدق إن خناجر الفداوية لم تصبه في مقتل[319].

وتبقى زاوية أخيرة, حرص عز الدين على إن يتعرض له ضمن تناوله للجغرافيا التاريخية لبلاد ألشامه في ذلك العصر, ونعني بها المؤسسات التعليمية والدينية, سواء المدارس, أو المساجد, والخانقاوات, والربط.

والجدير بالذكر هنا, إن عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام قد شهد صحوة دينية إسلامية واضحة المعالم, من خلال المواجهة مع الصليبيين, ومن سمات تلك الصحوة, الاهتمام بحركة تشييد المدارس, والمساجد, والخانقاوات, والربط, والزوايا إلى غيرها من العمائر الدينية, وكان من الطبيعيان نجد ذلك الجغرافي الحلبي يحرص على إيراد تلك الظاهرة.

وقد تعرض عز الدين بن شداد للمدارس المقامة في بلاد الشام, وان أعطي اهتماما خاصا لمدينة حلب, ونجده قد أورد مدارس الشافعية, والحنفية, والمالكية, والحنابلة, وفي هذا المجال من الواضح انه خصص للمدارس قسما هاما من "الاعلاق", وهكذا

---

[318]. الكامل, حـ10, ص250.

[319]. انظر عن إحداث الصدام بين الدروز والإسماعيلية, ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص221, ابن الأثير, المصدر السابق, حـ10, ص50, العماد الأصفهاني, البستان الجامع, ص141, ابن شداد, المصدر السابق,حـ2, ص40, رنسيمان, الحروب الصليبية,حـ2,ص286.

يمكن القول إن العمائر الحربية في صورة القلاع, والحصون, سواء لدى المسلمين أو الصليبين, وكذلك العمائر التعليمية والدينية حظيت بأكبر قدر من اهتمام ذلك الجغرافي على نحو ميز منهجه في هذا الصدد.

ومن المدارس التي أشار إليها, نذكر على سبيل المثال, المدرسة الزجاجية التي أسسها بدر الدولة[320] أبو الربيع سليمان ابن عبد الجبارين أرتعه عام 561هـ/1121م. ثم المدرسة النقرية النورية, التي أقامها نور الدين محمود عام 544هـ/1149م[321].

إما المساجد, فنجده يشير إلى المئات منها في حلب, وان أعطى اهتماما خاصا بالمسجد الجامع فيها, وقد قرر إن موضعه كان في الأصل بستانا للكنيسة العظمى في عهد البيزنطيين, وعندما فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها من اجل أن يشيدوا ذلك المسجد في الموضع المذكور[322], وقد قرر إن جامع حلب كان يضاهي جامع دمشق من حيث أعمال الزخرفة, والفسيفساء[323], وتكشف تلك العبارة تحمسه لمدينته, وتصوره لجمال أبنيتها على نحو لا تقف أمامها منافسة المدن الأخرى حتى دمشق, عاصمة الشام التاريخية.

وقد أشار ذلك الجغرافي لبعض المراحل التاريخية التي مرت على المسجد الجامع في حلب, من ذلك إن عناصر الإسماعيلية قامت بإحراقه في عام 564هـ/1168[324], وكذلك قامت بإحراق الأسواق, فقام نور الدين محمود بإعادة بنائه واجتهد في

---

320. إعزاز, ويقال عزاز, بلدة تقع بشمال حلب على بعد مرحلة منها, عنها انظر: أبو الفداء, المصدر السابق, ص231.

321. مفرج الكروب,حـ2, ص45.

322. أبو شامة, الروضتين, حـ1/ق2,ص660,سبط بن الجوزي, المصدر السابق,حـ8/ق1, ص335.وعن محاولة الاغتيال انظر: ابن شداد, النوادر السلطانية, ص52, العماد الأصفهاني, البستان الجامع, ص141.

323. ابن شداد , المصدر السابق, حـ1/ق1,ص.

324. نفس المصدر, ص103.

عمارته, ولا أدل على ذلك من انه نقل إليه أعمدة من قنسرين[325], كذلك عمل على توسيعه الجامع المذكور على نحو جعله حسنا في أعين الناظرين[326].

أما الخانقاوات, فقد تناول العديد منها, وكانت مخصصة لعناصر المتصوفة, الذين ارتفع شأنهم بصورة كبيرة في ذلك العصر, ومن الخانقاوات الحلبية, هناك خانقاة العصر التي أقامها نور الدين محمود[327] وسميت بذلك الاسم لأنها كانت مكان قصر بني من قبل تشييدها. وهناك أيضا خانقاة البلاط أنشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم [328].

ومن الجوانب الهامة فيما أورده ذلك الجغرافي الحلبي انه أشار إلى خوانق للنساء في حلب. ومن أمثلتها خانقاة انشاتها فاطمة خاتون بنت الملك الكامل[329], وكذلك خانقاة أقامتها ضيفة خاتون بنت الملك العادل[330], على نحو عكس حرص نساء البيوت المالكة على إقامة تلك العمائر الدينية.

أما الربط, فنجد إن ذكر بعضها في حلب, ومن أمثلة تلك العمائر الدينية ارتبطت في بدايتها بأعمال المرابطة والجهاد, ثم تخلت عن صفتها الحربية وصارت ذات

---

325 . نفس المصدر, ص104.

326 . نفس المصدر والصفحة. وعن إحراق المجد الجامع في حلب من جانب الإسماعيلية النزارية انظر:بيشوف, تحفة الأنباء بتاريخ حلب الشهباء, ط.بيروت 1885م, ص173. وعن ذلك المسجد الجامع انظر: ابن جبير, الرحالة, ص240, ابن بطوطة الرحالة, ص70, احمد رمضان, العمائر الدينية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي, ضمن كتاب الاحتفال الخمسيني لكلية الآثار, جامعة القاهرة, ط.القاهرة 1978م, ص132-133.

327. ابن شداد, المصدر السابق, ص104.

328. نفس المصدر, ص107.

329 . نفس المصدر, ص233.

330 . نفس المصدر والصفحة, عنها انظر:

ابن العجمي, كنوز الذهب في تاريخ حلب, مخطوط بدار الكتب المصرية, تحت رقم (838) تاريخ تيمور, حامد زيان, حلب في العصر الزنكي, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة القاهرة, عام 1970م, ص73, اسعد طالس, الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب, ط.دمشق 1956م, ص251.

صفة دينية, هناك رباط أقامة الأمير سيف الدين علي علم الدين[331], ثم رباط آخر يعرف برباط الخوانم, وصفه بأنه تحت قلعة حلب[332], ثم رباط ثالث, وثقه عز الدين بن شداد بأنه قريب من مدرسة ألنفري[333]. ولم يحدده بأكثر من ذلك.

وهكذا, قدم لنا ذلك الجغرافي الحلبي تصورات هامة بشان مدن بلاد الشام المتعددة والعمائر التي بها سواء الحربية أو التعليمية أو الدينية, واحتوى تناوله العديد من الجوانب الاقتصادية والحربية, والسياسية, والمذهبية, على نحو ضمن له مكانة متميزة من بين الجغرافيين المسلمين, في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية على مدى القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني والثالث عشر الميلادي.

---

331. ابن شداد, المصدر السابق, ص236.

332 . نفس المصدر .ص237.

333 . نفس المصدر, والصفحة.

الفصل الثالث

الرحالة المسلمون في بلاد الشام

في عصر الحروب الصليبية

1- السمعاني

(ت 526هـ/1167م)

يتناول هذا الفصل بالدراسة احد الرحالة المشارقة الذين وفدوا على بلاد الشام ونعى به السمعانى(334) (ت 562هـ/1167م) , وقد ارتحل إلى هناك, وقدم لنا مادة مفيدة عن أوضاع بلاد الشام من كافة الجوانب, الأمر الذي سأتناوله مفصلا على مدى الصفحات التالية.

والسمعاني هو عبد الكريم بن محمد بن المنصور التميمي ويلقب بالمروزي , ولد في مدينة مرو عام 506هـ / 1117م, من بيت علم وأدب, ويلاحظ أن والده

334. السمعاني, الأنساب, حـ1, تحقيق عبد الرحمن العلمي, ط.بيروت 1980م, ص18-30, ابن خلكان, وفيات الأعيان, حـ2, ص278, مصطفى محمد احمد رجب, الآراء التربوية في كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني في ضوء الفكر التربوي الحديث, بحيث مقدم للمشاركة في المسابقة رقم (14) لنادي أبها الأدبي عام 1415هـ/ 1994/, ص6, علي عبد الله الدفاع, رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية, ص155-156, بروكلمان, تاريخ الأدب العربي, حـ6, ت. عبد الحليم النجار, ط. القاهرة 1977م, ص64, ادوار براون, تاريخ الأدب في إيران , ت. ألشواربي, ط. القاهرة 1958م, ص595, احمد رمضان, الرحلة والرحالة المسلمون, ص 266.

سعد السمعانى, كان محدثا وفقيها[335], ومن جهة أخرى نعرف انه انتسب إلى إحدى كبريات القبائل العربية, ونعني بها قبيلة ثمين, ولذا عرف باسم ألتميم[336].

وقد ارتحل السمعانى إلى العديد من مدن المشرق من اجل أن يتلقى العلم على أيدي العلماء, والشيوخ, ومن أمثلة ذلك انه ارتحل إلى بلاد ما وراء النهر, وخرسان, وقوس والري, وهمذان, واصبهان, وبلاد الجمل, والحجاز, والموصل, والجزيرة, والشام[337]. وهذا الارتياح والانتقال إلى مناطق متعددة من اجل طلب العلم, كان بمثابة الصفة الغالبة على العديد من رجال العلم في ذلك العصر, وقد توفى السمعانى في عام (562هـ/ 1167م)[338] .

وتجدر الإشارة إلى أن السمعاني قد ألف العدد الوفير من المؤلفات, ومن أمثلتها كتاب تاريخ مرو, وكان يقع في عشرين مجلدا[339], وتحفة المسافر, أدب الإملاء والاستمراء, وذيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي, والدعوات النبوية, والرسائل والمسائل, وسلوه الأحباب وترجمة الأصحاب, وطراز الذهب في أدب الطلب, الأخطار في ركوب البحار, فرط الغرام إلى ساكني الشام[340], ويعكس الكتاب الأخير أهمية بلاد الشام في فكر السمعاني على نحو جعله يؤلف كتابا خاصا عنها مثلما فعل من قبل مع مسقط رأسه مرو.

---

335 . ابن خلكان, المصدر السابق, حـ2, ص278.

336. علي عبد الله الدفاع, المرجع السابق, ص156.

337. احمد رمضان, المرجع السابق, ص280, بروكلمان, المرجع السابق, حـ6, ص64.

338 . نفس المرجع والصفحة.

339. حاجي خليفة, كشف الظنون, حـ1/ق1, ص303, ادوارد براون, المرجع السابق, ص595.

340. علي عبد الله الدفاع, المرجع السابق, ص157.

بيد أن أشهر ما ألفه السمعاني كتابه (الأنساب)[341], وقد وقع في ثمانية مجلدات, ووصف بأنه كان غزير المقال, ولذا اتجه المؤرخ ابن الأثير الجزري (ت 630هـ/ 1232م) إلى اختصاره في صورة كتاب اللباب في تهذيب الأنساب,

---

341 . بدا السمعاني وضعه في عام 550هـ/11155م, ذلك بناء على طلب من احد أصدقاءه وهو عمر بن علي البسطامي, الذي قابله في منطقة ما وراء النهر, وقد قام المستشرق مارجليوت margolioyth D.S بتصوير مخطوطة المتحف البريطاني B.M , ورقمها ADD 23,355 , مع مقدمة في سلسلة جب التذكارية, المجلد العشرين, الصادر في لندن عام 1912م.

Gibb Memorial Series,No.XX,London 1912.

عن ذلك انظر:

بارتولد, تركستان, ص105, بروكلمان, المرجع السابق, ح،6, ص64.

وقد اعتمدت في هذا الفصل على طبعة صدرت في بيروت بدون تاريخ, ومن المفيد أن نذكر هنا أن التأليف في مجال الأنساب, لم يبتدعه السمعاني, بل انه كان ظاهرة تأليفه من قبله واستمرت من بعده, ونورد عددا من المؤلفات في هذا الصدد وهي كالأتي:

عبد الملك بن هشام صاحب السيرة المشهورة, (ت213هـ/836م) وله كتاب انساب حمير وملوكها, وابن جعفر بن حبيب البغدادي (ت 245هـ/804م) له كتاب انساب الشعراء, أما الزبير بن بكار (ت 256هـ/ 879م) فله كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها, وقد حققه محمود شاكر وصدر عمله في القاهرة عام 1381هـ, كذلك فان البلاذرى (ت 279هـ/ 892م) له انساب الأشراف وقد تم تحقيقه عدة مرات, ثم أن الحسين بن علي الوزير المغربي (ت 418هـ/ 1023م) ألف كتابا بعنوان الإيناس في علم الأنساب, وقد حققه حمد الجاسر, وصدر في الرياض عام 1980م, ثم إن أبا محمد عبد الله الرشاطي (ت 466هـ/ 975م) ألف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في نسب الصحافة ورواه الآثار, أضف إلى ذلك إن ابن حزم (ت 456هـ/ 1064م) له كتاب جمهرة انساب العرب وقد حققه ليفي بروفسال, وصدر في القاهرة عام 1948, ثم أن ابن القيسرالي (ت507هـ) له كتاب الأنساب المتفقة, وقد صدر في لندن عام 1865م, كما إن محمد بن محمد الأشعري القرطبي (ت 550هـ/155م) له كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الاحتساب, وقد حققه سعد عبد المقصود ظلام, وصدر في القاهرة عام 1990م, ثم أبو محمد الحسن علي المعروف بالقاضي المهذب (ت 561هـ/1166م) له كتاب الأنساب, كذلك ألف موفق الدين المقدس (ت 620هـ/ 1224م) كتابة التبيين في انساب القرشيين, وحققه محمد الديلمي, وصدر في بغداد عام 1981م. ثم ألف محي الدين محمد بن محمد بن النجار البغدادي (ت 643هـ/1247م) كتاب انساب المحدثين, أما القلقشندى, (ت 821هـ/ 1418م) فله كتاب نهاية الأرب في معرفة انساب العرب, أما الجيفرى (ت ق 9 هـ/ ق 15م) له كتاب الاكتساب في تخليص الأنساب, كما إن المخرجة (ت 947هـ/ 1544م) له كتاب النسب إلى المواضع والبلدان, أما المؤلفات الخاصة بأنساب لحيوانات فأشهرها, كتاب ابن الكلبي (ت 204هـ/ 817م) بعنوان انساب الخيل في الجاهلية والإسلام الذي حققه احمد زكي, وصدر في القاهرة عام 1946م. عن ذلك انظر:

وقد فاق التهذيب الأصل في الشهرة[342], ومن بعد ذلك اختصره السيوطي (ت911هـ/ 1505م) في صورة كتاب لب الألباب في تحرير الأنساب[343].

وتجدر الإشارة إلى أن السعي إلى تهذيب الكتاب واختصاره على مدى المرحلة منذ عصر ابن الأثير, وحتى عصر السيوطي, يعكس بالضرورة أهمية ورغبة المعاصرين, واللاحقين في الإفادة منه في صورة ميسرة.

ولعل أوضح من تميز به كتاب الأنساب- وهو الذي اعتمد علية بصورة أساسية في هذا الفصل- تلك التراجم التي قام السمعاني بجمعها على حروف المعجم, والتي اهتم فيها بنسبة كل واحد منها إلى بلد, أو قبيلة أو صناعة, أو تجارة, هذا

حاجى خليفة, كشف الظنون, حـ1/ق1, ص179, إحسان النص, كتب الأنساب العربية, مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق, م(66), حـ(3) , ذو الحجة 1411هـ/ يوليو 1991م, حمد الجاسر, الاكتساب في تخليص الأنساب, الفيصل, العدد (201) , رمضان 1414هـ/ مارس 1994م, ص43-45, كتاب النسبة إلى المواضع والبلدان , الفيصل, العدد (211), محرم 1415هـ /يونيو-يوليو 1994م, ص45.

342. بروكلمان, المرجع السابق, حـ6, ص64, وعن ابن الأثير انظر, الفصل الرابع -الباب الثاني.

343. بروكلمان, المرجع السابق, حـ6, ص64, علي عبد الله الدفاع, المجع السابق, ص156.

السيوطي, هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي المصري, جلال الدين أبو الفضل, ولد عام 849هـ/ 1445م, ونشأ بالقاهرة. وتلقى علومه الدينية بها, واتجه إلى الإسكندرية ودمياط والى الحجاز وتعلم على أيدي شيوخ العلم, وتولى أمر التدريس والافتاء, وله العديد من المؤلفات في العديد من العلوم والمعارف منها, الدر المنثور في التفسير المأثور, والإتقان في علوم القران, ولباب المنقول في أسباب النزول, وتناسق الدرر في تناسب السور, وطبقات المفسرين, والجامع الكبير والجامع الصغير, والحاوي في الفتاوى, وجزيل المواهب في اختلاف المذاهب, وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة, وقد توفي السيوطي عام 911هـ/ 1508م. عن السيوطي انظر:

السيوطي, حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة, حـ1, ط. القاهرة ب-ت, ص188, محمد عبد المنعم خاطر, جلال الدين السيوطي, ط.القاهرة 1968م, عدنان محمد سلمان, السيوطي النحوي, ط. بغداد 1976م, ص61-119, محمد جلال أبو الفتوح, جلال الدين السيوطي, منهجه واراؤه الكلامية , ط. بيروت 1981م, ص 11-25, احمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني, دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها, ط. الكويت1983, ص7-25, محمد مصطفى زيادة, المؤرخون في القرن الخامس عشر الميلادي, ط.القاهرة, 1962م ص57, إسماعيل نوري الربيعي, منهج السيوطي التاريخي, المنهل, العدد (510), المجلد(55), نوفمبر-ديسمبر 1993م, ص16-49, مجموعة من الباحثين, جلال الدين السيوطي, بحوث ندوة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية, ط. القاهرة 1978.

بالإضافة إلى الحوادث الهامة التي جرت في المواقع التي ترجم لأصحابها في كتابه [344].

وبالإضافة إلى فان السمعاني قد أورد العديد من الإشارات الجغرافية الهامة, وكذلك نتاج رحلاته, إلى نحو يجعله احد الرحالة المسلمين الذين وفدوا إلى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, وقد مر بالعديد من المدن في وقت الاحتلال الصليبي لعدد كبير منها, وقدم وصفا –وان غلب عليه طابع الإيجاز– لها على نحو أفاد في العديد من الجوانب المتعلقة بتاريخ بلاد الشام حين ذاك وتثار ناحية هامة, وهي مصادر التي اعتمد عليها السمعاني في كتابه, وخاصة القسم الخاص بالانتساب إلى المدن الشامية, والواقعة إن رؤية متأنية لتلك الزاوية, تكشف انه اعتمد في المقام الأول على مشاهداته الشخصية, وفي أحيان كثيرة يقرر انه أمضى في المدينة التي تشير إليها, مدة زمنية معينة, قد تكون يوما[345], أو يومين[346], أو عشرة [347] أيام, وربما طالت لتكون أكثر من ذلك , وفق مقتضيات الحال, ثم هناك أيضا المصادر التي ألفها الجغرافيون والرحالة المسلمون السابقون على عصر السمعاني, وان لم يشر صراحة إلى الاستعانة بهم فيما يتناول لمدن الشام, وان كنت أتصور أن مثل تلك المؤلفات كانت من المصادر التقليدية التي اعتمد عليها الرحالة المسلمون على اعتبار تواصل المعرفة الجغرافية الإسلامية وعدم انقطاعها أو انفصالها. وهكذا فان عنصر المشاهدة والمعاينة لم يكن هو المصدر الوحيد الذي استقى منه السمعاني مادته العلمية عن مدن الشام المتعددة .

---

[344]. احمد رمضان, المرجع السابق, ص266.

[345] السمعاني, الأنساب, ج،1, ص430.

[346] . نفس المصدر , حـ1, ص267.

[347] . نفس المصدر , حـ2,ص46.

وجدير بالذكر, أن السمعاني في أحيان نادرة, نجده يذكر بصراحة انه لم ير المدينة التي يتناولها, ومن أمثلة ذلك مدينة بعلبك في سهل البقاع بلبنان, التي يقرر صراحة انه "لم يتفق له دخولها"[348], بيد أن هناك مدنا أخرى, من الواضح انه لم يمر عليها, ولم يقم بها, وفاته أن يذكر ذلك , أو إن الأمر اختلط علية من كثرة ما مر بالمدن الشامية, أو انه لم يسجل من فوره ملاحظاته عنها, ومن ثم وقع في الخطأ, ومن أمثلة ذلك ذكره لموقع بغراس على اعتبار إنها على الساحل[349], بينما الواقع الجغرافي خلاف ذلك.

ومع ذلك, فمن الطبيعي إلا نتوقع أن السمعاني يقدم لنا مادة جغرافية وتاريخية مفصلة عن المدن الشامية التي انتسب إليها الذين أشار إليهم في كتابه, إذ إن حرصه على إيراد الأنساب شغله- على ما يبدو- عن الاهتمام بإيراد معلومات إضافية عن تلك المدن الشامية. بالإضافة إلى انه جعل تلك الزاوية الجغرافية والتاريخية الموجزة مقدمة للدخول في موضوعه الأصلي فيما يتعلق بالأنساب وذكر أشهر الأعلام الذين انتسبوا إلى المدن التي تناولها.

مهما يكن من أمر, فأن السمعاني تناول العديد من الجوانب المتصلة بأوضاع بلاد الشام في ذلك العصر, مثل تعرضه لمدن الساحل الشامي متعددة, ومراكز الإمارات الصليبية, والحواضر الشامية الكبرى الداخلية الخاضعة للسيادة

---

[348] . نفس المصدر ,جـ1, ص371.

[349] . نفس المصدر ,جـ1, ص373.

الإسلامية, ثم العمائر الدينية بالإضافة إلى الخريطة المذهبية لبلاد الشام والنشاط الاقتصادي, سواء الزراعي أو التجاري, ثم المزارات الدينية والعلاجية.

وإذا نظرنا إلى تناول السمعاني لمنطقة الساحل الشامي , نجد انه يقدم لنا مادة موجزة عن عدد من المدن الساحلية هناك, وعلى سبيل المثال نجده يقرر ان عسقلان على حد مصر وإنها تسمى عسقلان الشام[350] كما انه هناك مدينة أخرى تحمل نفس الاسم عند يلخ من مدن المشرق [351] وقد أوضح أن الاثنين

---

350 . السمعاني، مصدر سابق, حـ4, ص190.

351 . نفس المصدر والصفحة.

ويلخ,مدينة وقعت على الشاطئ الجنوبي لنهر جيحون, في السهل الشمالي المنبسط لجبل بابا, وقد أطلق عليه اليابانيون تعبير باكتراbaktra , وفي الفارسية القديمة أطلق عليها تعبير باخترس, ويلاحظ إن موقع بلخ قد جعلها على الطريق التجاري الهام الذي يصل الممرات الجبلية بنهر جيجون, , ووصف بأنها كانت القضية السياسية لولاية خرسان القديمة , وصارت فيما بعد المركز الثقافي والديني للملكة طخارستان, ونجد أن ياقوت الحموي قد وصفها على اعتبار أنها من اجل مدن خرسان, وأكثرها خيرا وأوسعها, ويتم إرسال غلتها إلى كافه أنحاء خراسان , والى خوارزم, كما أنها اشتهرت بإنتاج البرتقال, وقصب السكر. ويلاحظ إن بلخ قد افتتحت على يد الأحنف بن قيس, من قبل عبد الله بن عامر بن كريز, وذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.وقد أشار أبو الفداء إلى أنها أنجبت عالم لا يحصى من عناصر الأئمة, والعلماء الصالحين, ومن أشهر علمائها وأدبائها أبو القاسم الكلبي في علم الكلام وأبو زيد البلخي في البلاغة وسهل بن الحسن, ومحمد بن موسى في الشعر.

وتجدر بالإشارة إلى أن الجغرافيين المسلمين, يقدمون معلومات قليلة عن بلخ في حالة مقارنتها بمدن أخرى في إقليم المشرق, مثل بخاري, وسمرقند , ويلاحظ إن المغول قاموا بتخزينها عام 617هـ/ 1227م, ويقال أنها لم تقم لها قائمة بعد ذلك. عن بلخ انظر:

مجهول, حدود العالم

Hudud al –Alam,the regions of the world, a Persian geography 372 A.H.982 A.D.,Translated and emplaned by V,Minorestry, Oxford 1973,P.108.

إسحاق بن الحسين, اكام المرجان, ص82, أبو الفداء, تقويم البلدان, ص360–361, ياقوت, معجم البلدان, حـ1, ص479–480, المشترك وصفا والمفترق صفعا, ص23,27, دائرة المعارف الإسلامية, مادة"بلخش, حـ7, ص250–253, فاسيلي بارتولد, تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي, ت–صلاح الدين عثمان هاشم, ط.الكويت 1981م, ص 161–165, حسن محمود, الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين

يطلق عليهما العروسان نظرا لحسنهما وأضاف إن الانتساب إلى عسقلان الشام هو الأكثر شيوعا[(352)].

أما مدينة عكا فلا يوضح عنها أنها على الساحل وانه دخلها وهي تحت السيطرة الصليبية, وأشار إلى انه نزل فيها جامعها[(353)], ولا يقدم أي إشارات أخرى عنها سواء من الناحية الاقتصادية التجارية أو من خلال تفصيل أوضاع المسلمين الخاضعين للسيادة الصليبية. ومن المحتمل أن قصر مدة اقامتة في عكا وقف حائلا دون أن يقدم لنا المزيد من التفاصيل بشأنها, ومن ثم أوجز الحديث عنها بمثل هذه الصورة على الرغم من أهميتها التقليدية لدى كافة الجغرافيين والرحالة المسلمين في ذلك العصر.

ومن جهة أخرى تفيد أشارتها الموجزة في توضيح أن المسلمين كانت أوضاعهم في عكا ولعل ذلك من أسباب أحجام السمعاني في إن يفصل الحديث عنهما, الأمر الذي كشف النقاب عنه بصورة أكثر تفصيل رحالة من الأندلس هو ابن جبير[(354)] وهكذا فان ما أوجزه ذلك الرجالة المشرقي فصله من بعده رحالة من الغرب الإسلامي.

ولا نغفل ناحية هامة أخرى, وهي أن سمعان قد أشار إلى انه ذهب إلى جامع عكا وأقام فيه بعض الوقت[(355)] في مدينة أقام فيها أصلا بعض يوم, على نحو

العربي والتركي, ط.القاهرة ب–ت, ص164, ارمينبوس فاميري, تاريخ بخارى, من أقدم العصور حتى العصر الحاضر, ت. احمد الساداتي, ط.القاهرة ب–ت, ص176.

352 . السمعاني, المصدر السابق,حـ4, ص190.

353 . نفس المصدر ,حـ4, ص220.

354 انظر, الفصل الخاص بابن جبير.

355 السمعاني, المصدر السابق,حـ4, ص220.

يكشف بجلاء أن المسجد كان بمثابة مركز تلاقي المسلمين خاصة الغرباء الذين يقدمون على مدينه ليس لهم فيها أهل ولا أصحاب وخاضعة لاحتلال أجنبي.

فإذا ما ذهبنا إلى مدينة أخرى, وهي يافا , نجد أن السمعاني يشير إلى يافا أشارة جدا موجزة, ويقرر إن النسبة إليها يافوني[(356)], أما ارسوف, فلا يشير السمعاني بشأنها سواء إنها مدينة على ساحل بحر الشام, وظهر منها عدد من العلماء, والمرابطين[(357)], أما إذا انتقلنا إلى مدينة أخرى من مدن الساحل الشامي وهي اللاذقية نجده يذكر إنها على الساحل المذكور ويوضح (استولى عليها الإفرنج الساعة) [(358)].وذلك كجزء من مخططهم الاستراتيجي الرامي إلى إخضاع تلك المنطقة الهامة تجاريا واستراتيجيا من اجل خنق القوى الإسلامية الداخلة, وجعلها قوى برية حبيسة, تحتاج إلى التعامل مع الصليبيين, الذين صاروا بذلك يملكون دور الوسيط التجاري بكل الثراء الكبير الذي نالوه من جراء ذلك, وعلة نحو دعم وجودهم في بلاد الشام, على مدى قرنين من الزمان.

ومن المعروف إن الصليبيين تمكنوا من السيطرة على اللاذقية ذات الموقع الاستراتيجي الحيوي الذي من خلاله يمكنهم الإشراف على كل وادي نهر العاصي, في عام 492 هـ/ 1099 م[(359)], ومن هنا تثار ناحية هامة. إلا وهي

---

356 . نفس المصدر , حـ5, ص676.

357 . نفس المصدر ,حـ1, ص112.

358 . نفس المصدر , حـ5, ص663.

359 عن خضوع اللاذقية للصليبيين عام 429هـ/1099م.

انظر:: FLUCHER OF Chartres,p.175.

إشارة السمعاني بأن الإفرنج استولوا عليها الساعة.إذ انه في موقع أخر يذكر صراحة إن المسلمين قد استولوا على مدينة الرها وذلك في عام 539 هـ/ 1144م, ويفهم من ذلك بالطبع انه قدم إلى بلاد الشام بعد التاريخ المذكور, ومن ثم فأن اشارتة إلى اللاذقية, وتاريخ سقوطها في قبضة الصليبيين, لا يمثل تحديدا زمنيا دقيقا, لان إخضاعها لقبضتهم تم قبل مقدم السمعاني للمنطقة بعدة عقود من السنين دون المكانية التحديد الزمني بدقة نظرا لصمت المصادر التاريخية فيما يتصل بتوقيت زيارته لبلاد الشام.

وبالنسبة لمدينة بيروت, نجد إن السمعاني يشير إلى موقعها الساحلي ويقرر إنها في يد الإفرنج[360], أما بغراس, فقد ظن ذلك الرحالة إنها على الساحل, بينما الواقع عكس ذلك لأنها من مدن الشام الداخلية البرية, ومثلت هي ودربساك, وحجر شغلن, مراكز دفاعيه هامة بالنسبة لإمارة أنطاكية الصليبية.

ويضاف إلى المدن الشامية الساحلية السابقة. نجد رحالتنا السمعاني يشير إلى مدينة لبنانية حظيت باهتمام الجغرافيين والرحالة المسلمين على مدى عصر الحروب الصليبية ونعني بها صورة, وقد أورد بشأنها عبارة موجزة مؤداها إنها كبيرة وان الإفرنج استولوا عليها بعد عام 510هـ/ 1116م[361], ومن المعروف

عاشور, الحركة الصليبية, حـ1, ص372, عبد الحفيظ محمد علي, المسلمون والبيزنطينيون في شرقي البحر المتوسط, فيما بين القرنين 3-6هـ/ 9-12م, ط.القاهرة 1982م, ص45.

360. السمعاني, المصدر السابق,حـ1, ص428.

361. السمعاني, المصدر السابق, حـ3, ص564. وعن سقوط صور في قبضة الصليبيين عام 520هـ/1126م انظر:

Fulcher of Chartres,p.266, William of Tyre ,vol.II,p.

أن تلك المدينة قد سقطت في أيديهم في وقت متأخر بالمقارنة بالمدن الشامية الساحلية الأخرى نظرا لمناعتها وحصانتها, وقد حدث ذلك في عام 521 هـ/1126م في عهد الملك الصليبي بلدوين الثاني Baldwin II (1117-1131 م/ 511-525هـ).

ومن الممكن القول أن المثالين الخاصين باللاذقية, وصور, يدلان على إن السمعاني لم يكن دقيقا بالدرجة الكافية فيما يحصل بالتحديد الزمني لسقوط بعض مدن الساحل الشامي في قبضة الصليبيين.

وفي تقديري إن السمعاني لم يدخل مدينة صور لعدة اعتبارات, أولا انه أوجز الحديث عنها بمثل هذه الصورة, بالإضافة إلى انه لم يقرر صراحة انه دخل فيها وأقام بها مدة زمنية مثلما حدث مع المدن الأخرى التي ذكر مدة إقامتها فيها سواء كانت طويلة أم قصيرة, هذه بالإضافة إلى انه لم يشر إلى حقيقة تكاد تكون بديهية عن تلك المدينة, وكثيرا ما ترددت لدى مؤلفات الرحالة المسلمين, وكذلك الأوربيين الذين زاروها, ونعنى بها حصانتها البالغة. ومع ذلك يبقى الأمر محل افتراض دون إن نتمكن من تاكيدة, لعدم وضوح النصوص, وصراحتها في هذا الشأن.

إما مدينة طرسوس, فنجد إن السمعاني يفصل الحديث عنها بخلاف غيرها من مدن الساحل الشامي. ويبدو انه أدرك أهميتها, نذكرها على ذلك النحو, وتفيد أشارته بشأنها من خلال توضيح اختلاف أوضاع المدن الإسلامية قبل وبعد

ابن ألقلانسي, ذيل تاريخ دمشق, ص217, ابن الأثير, الكامل, حـ10,ص621-622, ابن تفرى بردى, النجوم الزاهرة, حت5, ص182-183.

Runciman, A History of Tge Crusades, Vol. II,p. 169-171.

خضوعها للسيادة الصليبية, لا سيما المدن الساحلية, وقد أوضح إنها كانت مزدهرة بمظاهر الحياة والاحتفالات والأعياد, وتناول صلاة التراويح فيها والاحتفالات بالعيد وان أهلها يخرجون بالأسلحة الكثيرة والخيل الحسان لأنها أصلا مدينة ثغرية[362], من اجل أن يصل الخير إلى البيزنطيين فلا يهاجمونها, بالإضافة إلى الكثافة السكانية الكبيرة بها .

وإذا كان هذا هو شأنها قبل مقدم الصليبيين , فإنها اختلفت فيما بعد , ويبدو من خلال وصفه إن الكثافة السكانية المسلمة بها قد اختلفت وصار المسلمون قلة, وهذا وضع طبيعي مع غزو الصليبيين للمنطقة, واتجاه المسلمين إلى الفرار إلى المدن الإسلامية المجاورة. وقد عبر السمعاني عن ذلك صراحة بقولة "خف الناس"[363], ومثل ذلك الوضع الذي شهدته طرسوس, يمكن أن يكون نموذجا للتعبير عن التغير الديمغرافي الذي شهدته المدن الشامية الساحلية وغيرها من المدن التي تسيطر عليها الصليبيون.

ولا نزاع, في إن تناول الرحالة السمعاني لأمر طرسوس, يعد من عمق ما أورده في كتابه عن اثر الغزو الصليبي على الناحية العددية للمسلمين في المدن الشامية التي سيطر عليها الغزاة, وكذلك من ناحية الشعائر الدينية والمظاهر الاحتفالية للمسلمين, ومن الطبيعي أن نتوقع أن المقابل لذلك هو استعمال المظاهر الصليبية من صلبان, وكنائس, واحتفالات دينية مسيحية, الأمر الذي أوضحه رحالة آخر, وهو ابن جبير على نحو بارع.

ومن جهة أخرى, تناول السمعاني الإمارات الصليبية والمدن الخاضعة لسيادتهم في داخل بلاد الشام, ومن أمثلة ذلك انه تعرض لمدينة بيت المقدس, قلب

---

362. السمعاني, المصدر السابق, حـ4, ص60.

363. نفس المصدر والصفحة.

المملكة الصليبية وتحدث عن مكانتها الدينية بالنسبة للمسلمين, وأشار إلى أن الصليبيين استولوا عليها في عام 492هـ/1099م[364], وأنهى حديثه عنها بعبارة مؤثرة طالما وردت لدى الرحالة الملمين الذين زاروا المدن الإسلامية الخاضعة لسيطرة أعدائهم, وهذه العبارة هي" ردها الله تعالى إلى المسلمين", ومنطقي أن نذكر, إن تلك التعبيرات الحزينة طالما ترددت قبل عام 583هـ/1187م, عندها استعادها المسلمون لأول مرة بعد احتلال صليبي قارب التسعين عاما.

كما تعرض السمعاني لأنطاكية ووصفها بأنها من أحسن البلاد, وان الصليبيين استولوا عليها- ولم يحدد تاريخ ذلك, وإنها مقر ملكهم, أي أنها مقر إمارة صليبية هي إمارة أنطاكية[365], ومن المعروف إنها سقطت في قبضة الصليبيين عام 1098م.

---

364 . نفس المصدر ,حـ5, ص363.

وعن سقوط بيت المقدس في قبضة الصليبيين عام 492هـ/1099, انظر:

Anonymous, the deeds of the franks,p.51, fulcher of chartres,p.122, Raymond d' Aghilliers, in peters, the first Crusade, Pennsylvania 1971,p.209.

ابن القلانسى, المصدر السابق, ص137, ابن العبري, تاريخ مختصر الدول, ط. بيروت 1890م, ص 197, ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, حـ9, ط. حيدر أباد الدكن 1359هـ, ص108, عاشور أضواء جديدة على الحروب الصليبية, نصوص ووثائق, ط.القاهرة 1982م, ص 276, حسن حبشي, الحرب الصليبية الأولى, ط.القاهرة 1958م, ص179, عبد الله يوسف الشبل, القدس في عهد الاحتلال الصليبي, المؤرخ العربي, العدد(23), 1403هـ/1983م, ص14.

365. السمعاني, المصدر السابق,حـ1, ص220, وعن سقوط أنطاكية في قبضة الصليبيين انظر:

Fulcger of cgartres, p.110, William of tyre,vol.I.p

ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص135, ابن العديم, زبده الحلب,حـ2, ص133-135, انتونى براج, تاريخ الحروب الصليبية, ت. سبانو والجيرودي, ط.بيروت 1985م, ص92,94, سعيد برجاوي, الحروب الصليبية في الشرق, ص138, على عودة ألغامدي, بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي (462-491هـ/ 1070هـ-1098م) , ط. مكة المكرمة 1984م, ص344.

كذلك فانه تناول الرها, وذلك بعد أن استولى عليها المسلمون بقيادة المجاهد اتابك الموصل عماد الدين زنكي عام 539هـ/1144م[366]. ونستشعر في تعبيراته الروح المعنوية العالية بعكس الانكسار الذي لمسناه في حديثه عن طرسوس, وبشأن الرها نجد انه يذكر إن المسلمين ظفروا بها وانتصروا على الصليبيين, "وخلص الله تلك البلدة على يدهم[367], وهكذا يعكس حقيقة هامة وهي إن نصوص الرحالة المسلمين إلى جانب احتوائها على دلالات تاريخية فإنها تحوي على دلالات نفسية أيضا لاسيما من خلال سيطرة الأعداء الصليبيين على المدن الإسلامية وكذلك تحريرها على أيدي المسلمين.

ومن جهة أخرى, حظيت المدن الإسلامية في بلاد الشام بوصف السمعاني, ففي دمشق, نجده يشيد بها ويذكر أنها "أحسن مدينة بالشام"[368], ولا شك إن ذلك الوصف يعكس النمو الحضاري والعمراني الكبير, الذي حققته تلك المدينة التي كانت

---

366. السمعاني, المصدر السابق,حت3, ص108. وعن استيلاء المسلمين بقيادة عماد الدين زنكي علي الرها انظر:

ابن قلانسي, ذيل تاريخ دمشق, تحقيق زكار, ص236, 437, ابن الأثير, التاريخ الباهر في دولة الاتابكية بالموصل, تحقيق عبد القادر طليمات, ط.القاهرة 1963م, ص66-71. الكامل, حـ9, ط.بيروت 1967م, ص8-9.

Anonymous syriac Chronicle,p.296, William of tyre,Vol.II,p.

Gibb,"zengi and the fall of Edessa", in settion, A History of the Crusades, Vol.II, Pennsylvania 1955,pp.449-462

عماد الدين خليل, عماد الدين زنكي, ط.بيروت 1982م, ص149-156, علية عبد السمع الجنزوري, إمارة الرها الصليبية, ط. القاهرة 1975م, علي عبد الحليم محمود, الغزو الصليبي والعالم الإسلامي, جدة 1982م, ص194, فايد حماد عاشور, جهاد المسلمين في الحروب الصليبية, ط. بيروت 1985م, ص200, قاسم عبده قاسم, ماهية الحروب الصليبية, ص137, عصام الدين عبد الرءوف, بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي, ط.القاهرة ب-, ص168, رينية جروسية , رصيد التاريخ, ت. محمد الباشا, ط.بيروت ب-ت, ص126, محمد علي الهرقي, الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي.ط. الرياض 1980م, ص21..

367. السمعاني, المصدر السابق, حـ3, ص108.

368. نفس المصدر, حت2, ص429.

يوميا عاصمة ملك الأمويين, واستعمال أسلوب التفضيل هذا, جاء من جانب رحالة طاف العديد من مدن الشام.

ويتناول السمعاني الكثافة السكانية في دمشق ويعبر عن تزايد تلك الكثافة بقولة "أكثرها أهلا" [369] أي أنها أكثر مدن الشام سكانا, وأشار إلى إن تاريخها قام بجمعه صديقه ابن عساكر(ت571هـ/1176م) [370], ومن المعروف أن الأخير قد ألف كتابا ضخما عن تاريخ دمشق.

ويلاحظ إن السمعاني لم يشر إلى المدة التي أقامها في دمشق, ويبدو مع ذلك أنها لم تكن قصيرة, لأهميتها ولوجود عدد كبير من العلماء والفقهاء بها, بالإضافة إلى المميزات العديدة التي امتدحها بها حيث أورد أنها يضرب بها المثل في الحسن, ولا ريب في أي كافة تلك العوامل تدفعنا إلى التصور انه أقام بها مدة كافية لان يصفها بعد أقامة كافية بأنها أحسن مدينة بالشام. هذا بالإضافة إلى وجود صديق مثل ابن عساكر في تلك المدينة, وإذا كان السمعاني قد أقام نحو عشرة أيام في مدن أخرى لم يكن له بها أصدقاء فان وجود عالم مثل ابن عساكر بدمشق يدعونا إلى تصور إن السمعاني أقام بها مدة كافية من الوقت ربما بلغت عدة أشهر.

أما حلب, فقد وصفها بأنها من ثغور المسلمين[371], وهذه العبارة تفهم من خلال صراعها المستمر مع إمارة أنطاكية الصليبية, إذ إن ذلك الصراع شكل جزءا هاما من تاريخ مدينة حلب, وقد صرح ذلك ألرحاله, بأنه أقام بها عشرة أيام. أما حماة فقد

---

369 . السمعاني، المصدر السابق، ص429

370 . نفس المصدر والصفحة.

وعن ابن عساكر, انظر: الفصل الرابع–الباب الأول.

371 . نفس المصدر, حـ2, ص247.

استحسنها وذكر عنها انه أقام بها يومين[372], وفي حمص أقام أربعة أيام , ولم يصفها بأوصاف مميزة باستثناء ما فيها من قبور الصحابة[373]. أما حوران فقد تحدث عن ثرواتها خيراتها وأقام بها أياما لم يحددها[374].

وألان تثار من ناحية هامة, وهي تتعلق بالمدد الزمنية التي أمضاها في المدن الإسلامية التي دخلها, والواقع إن المدد تراوحت بين الطول والقصر, واختلفت حسب أهمية كل مدينة واحتياج السمعاني للالتقاء بالعلماء, والفقهاء بها, وفي تقديري إن المدن التي أقام فيها مدة زمنية قصيرة, أحصاها بدقة مثلما حدث في أمر حلب, وحماة, وحمص, أما المدن والمناطق التي أقام فيها مدة طويلة وجدناه لا يذكرها, ومن أمثلة ذلك دمشق وحوران.

إما عن عمائر الدينية التي أوردها السمعاني, فنجد انه اهتم بإيراد العمائر الدينية الإسلامية في بعض الأحيان, فهو في كل مدينة يدخلها يحرص أحيانا على إيراد أمر جامعها, غير انه في دمشق, اغفل ذكر الجامع الأموي بها, على الرغم من إن الرحالة المسلمين الآخرين حرصوا على إيراده, والإعجاب الشديد بعمارته, كما انه تحدث عن ظاهرة هامة ألا وهي الخانقاوات التي كانت مقرا للمتصوفة فأشار إلى الخانقاة السميساطية [375] وقد أشار إلى أن الأوقات التي بها, تم وقفها على المتصوفة, والعميان من أهل القران[376].

---

372 . نفس المصدر , حـ1 , ص267.

373 . نفس المصدر, حـ1 , ص263.

374 . نفس المصدر ,حـ 2,ص287.

375 السمعاني، المصدر السابق , حـ3 ,ص380.

ولا نزاع, في أن ذلك العصر شهد تشييد العمائر الدينية الإسلامية المتعددة, لا سيما المساجد, والمدارس, والزوايا, والخانقاوات, ونجدها بكثرة في المدن الشامية الكبرى مثل دمشق, حلب, وغيرها من المدن التي مثلت حواضر هامة هناك.

أما الخريطة المذهبية لبلاد الشام, فان السمعاني لم يقدم فيها إشارات وافية عن كافة القرى الدينية المتعددة هناك, وإنما اهتم على نحو خاص بعناصر الإسماعيلية النزارية, الذين لقبوا بالباطنية وأوضح أنهم تسموا بذلك لقولهم بان لكل ظاهر باطن, وذكر أن مثل ذلك الاعتقاد مأخوذ من قول الجناحية والمنصورية وهم من غلاة الروافض ووصفهم بأنهم استحلوا الحرمات[377].

والخانقات السميساطية, توجد عند باب الجامع الأموي الشمالي , وكان ذلك الباب يسمى باب الناطقين وكان في بدا أمرها دارا للعزيز بن مروان بن الحكم , ثم انتقلت من بعده الابنة عمر بن عبد العزيز , وتناولتها الأيدي على مر الزمن إلى أن قدم إلى دمشق أبو القاسم السسمساطي , وقد سكن درب الخزاعية , وقام بشراء الدار المذكورة , وقد أوقفها عن الفقراء الصوفية , واستمرت مقررة على عناصر الصوفية وكان النظر فيها لمن يلقب شيخ الشيوخ حتى علم 824هـ / 1428م , وفي هذا العام اسقط نجم الدين بن حجي عناصر المتزوجين من الخانقاة السميساطية وأهل البلد وقرر فيها أن يكون فيها عزابا وغرباء , وهناك من يذكر إن من مشاهير الصوفية الذين ارتبط أسهم بالخانقاة السميساطية سعيد بن سعل محمد المعروف بلفلكي النيسابوري (ت 578هـ / 1182 م) , وعلي بن عبد القادر المراغي (ت 788هـ / 1392م) ,

عن الخانقات السميساطية انظر: ابن عساكر, ولاة دمشق في العهد السلجوقي , ص554, الذهبي , العبر , حـ5 , ص172 , ألبقاعي , مسجد دمشق, تحقيق صلاح الدين المنجد , ط.دمشق 1948م , ص52, حاشية (15) ألنعيمي , الدارس , حـ 2, ص151, دور القران في دمشق , تحقيق صلاح الدين المنجد , ط. دمشق 1946, ص151, المنيني , الأعلام بفضائل الشام , ورقة (62) , عبد القادر بدران , مناداة الأطلال ومسامرة الخيال ط. دمشق ب–ت, ص27– 278.

[376]. معاني , المصدر السابق , حـ3 , ص308.

[377] . نفس المصدر , حـ1 , ص260

ويلاحظ إن تلك الإشارة وردت في عدد من المصادر سواء من مؤلفات الرحالة اليهود في العصور الوسطى ,بنيامين التطيلي , وكذلك فيما ألف المؤرخون المسلمون السنيون , ومن أمثلتهم , الذهبي , وهو أمر وجدناه

وتفيد أشارته في توضيح نظرة الرحالة ألمشارقه لتلك الفرقة الشيعية التي وجدوا مثلها في أنحاء المشرق الأخرى لاسيما في بلاد فارس حيث مركزهم الأصلي في قلعة الموت جنوب بحر قزوين, وقد حرصوا على إيراد أمرهم خلال ترحالهم خارج نطاق بلادهم.

وعلى ما يبدوا, فان الأيام القليلة التي أمضاها في المدن الشامية, لم تمكنه من أن يقدم التفاصيل الكافية عن تلك الفرق الشيعية, أو أن يتعرض لباقي نواحي الخريطة العقائدية لبلاد الشام في ذلك العصر, بالإضافة إلى أن كتابه كتاب مخصص أصلا للأنساب.

ومن جهة أخرى, احتوت رحلة السمعاني إلى بلاد الشام والتي ضمنها كتابة الأنساب, على بعض الجوانب الاقتصادية سواء الزراعية أو التجارية, وفي هذا المقال, نجد انه ذكر كثرة النخل الموجودة في نيسان[378], كما إن حوران تشتهر بالغلال وان دمشق, تستفيد منها في هذا

المجال [379], في سد احتياجاتها نظرا لقرب موقعها الجغرافي.

كذلك لدى تلك المصادر التاريخية , عندما عبرت عن عناصر الدروز خلال ذلك العصر . عن الإشارات الخاصة بتلك الزاوية لدى عناصر الإسماعيلية النزارية انظر :

بنيامين التطيلي , الرحلة , ص19 , الأصفهاني , البستان الجامع ,ص136 , الذهبي , دول الإسلام , حـ2 , ص100 , العثماني , تاريخ صفد , ص484 –485 , محمد مؤنس احمد عوض , البستان الجامع مصدرا من مصادر تاريخ الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام في بلاد الشام في عصر حروب الصليبية , (القرنين 6,7هـ – 12–13 م) , ط. القاهرة ,1983 م , ص20–21 .

378 السمعاني , المصدر السابق , حأ1 , ص430.

379 . نفس المصدر ,حـ2 , ص287.

أما النشاط التجاري, فهو يذكره بالنسبة لمدينة ساحلية لبنانية وهي بيروت, وقد أشار إلى الكيزان البيروتية, التي انتسب إليها, تصدر منها إلى كافة أنحاء الشام(380).

ومن الواضح إن حجم إشاراته عن النشاط الاقتصادي كان ضئيلا ولا سيما انه لم يتناول ذلك النشاط بالنسبة للساحل الشامي وهو ميدان خصب لذلك النشاط, ويلاحظ أن الرحالة المسلمين الآخرين أكثر ثراء منه في هذا المجال.

وتبقى ناحية أخرى, تتعلق بالمزارات الدينية والعلاجية,وفي هذا المقام نجده لا يشير إلا إلى القليل منها, مثال ذلك انه أشار إلى ضريح خالد بن الوليد في حمص(381), ومن المحتمل انه لم يكن مقنعا بها وبوجودها أصلا ولذا لم يشير إليها– غير أن تأكيد ذلك ليس في الإمكان أمام عدم وضوح النصوص التي قدمها.

زد على ذلك المزارات العلاجية, وقد أشار إليها خاصة فيما يتعلق بطبرية وقدرة مياهها على شفاء الأمراض(382) بإذن الله تبارك وتعالى, وقد أكد ما ذكره غيره من الرحالة المسلمين عندما أشار إلى إن حمامات طبرية تعد من عجائب الدنيا, ومع ذلك فان وصفه لها كان موجزا على عكس منهج الرحالة المسلمين الآخرين الذين فصلوا هذه الناحية, من اجل أن يرصدوا ذلك الواقع من ناحية, ومن اجل أن يستميلوا إعجاب المعاصرين من خلال إيراد عدد من العجائب في رحلاتهم تضمن لهم الانتشار والشهرة.

---

380 . نفس المصدر ,حـ1 ,ص428.

381 . نفس المصدر , حـ1 , ص263.

382 . نفس المصدر ,حـ4 ,ص42.

وكامتداد لتلك الناحية العلاجية السابقة, نجد إن السمعاني أشار إلى جانب علاجي أخر غير المياه الجوفية, ونعني بها الأعشاب, وفي هذا المجال نذكر انه أوضح اشتهار أنطاكيا بالدواء المسهل الذي يطلق عليه الإنطاكي, وهو معروف باسم السقمونيا[383], ولا يوجد في مكان إلا في أنطاكية, مما أعطى لها أهمية علاجية خاصة .

ونجدر الإشارة إلى أن ذلك العصر اشتهر في العلاج فيه من خلال الأعشاب, وأنواعها وصفاتها, وخصائصها العلاجية, ووصلت إلينا العديد من المؤلفات في ذلك العصر في مجال العلاج بالأعشاب.

---

383 . نفس المصدر , حـ1 , ص220.

والسقمونيا , ورد ذكره في عدد من مؤلفات العرب الطبيعة في العصور الوسطى , وقد وصف بأنه حار , ويابس , وأجود أنواعه الأنطاكي الأزرق , المائل إلى البياض السريع الانفراك , وفي حالة انحلاله في الماء غيره , ووصف النوع الأسود منه بالردائه , وسمي السقمونيا بالمحمودة , ومن الملاحظ إن من خصائصه أن تبقى له فعالية حتى بعد انقضاء ثلاثين أو أربعين عاما , أما الفوائد العلاجية للسقمونيا الأنطاكي , فهي تتمثل في معالجة البرص , والبهاق , والكلف , وكذلك علاج الصداع المزمن , وعرق النسا , كما يفيد في في لسع العقرب سواء بتناوله كشراب أو من خلال طلائه على العضو المصاب , وبالإضافة إلى تلك الفوائد فقد وصف بأنه مسيل للصفراء , ومع ذلك فيبدو إن السقمونيا كانت له بعض المحاذير في استعماله , والدليل على ذلك إن كبار الأطباء المسلمين في العصور الوسطى , حذروا من انه يسبب ضرر للمعدة , والكبد , والقلب , والأمعاء , ومن المحتمل إن ذلك كله كان له أثره في أفضلية استعماله الظاهري فقط دون إن يتم تناوله كشراب , لتأثيره السلبي على القلب والجهاز الهضمي للإنسان , عن السقمونيا , وفوائده العلاجية , وتأثيراتها الجانبية انظر:

ابن سينا , القانون في الطب , حـ1 , ط. بيروت ب–ت , ص385 –386 , ابن رسول الغساني , المعتمد في الأدوية المفردة , تحقيق مصطفى السقا , ط. بيروت ب–ت ,ص227 –229 , العطار الهاروني , منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان , تحقيق حسن عاصي , ط.بيروت 1992 م , ص281 –282 , داود الأنطاكي, تذكرة أولي الألباب , الجامع المعب والعجاب , ط. القاهرة 1302 هـ , ص182 –183, محمد العربي الخطابي , الطب والأطباء في الأندلس الاسلاميه , دراسة , وتراجم ونصوص , جـ2 , ط. بيروت , 1988 , ص124 , إبراهيم بن مراد , المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية , حـ2 , ط. بيروت 1985 م, ص453 –454 , كمال القري , نهر الذهب في تاريخ حلب , حـ1 , ط. حلب , ص135 .

وهكذا, قدم لنا السمعاني من خلال ترحاله في ربوع بلاد الشام العديد من الجوانب الهامة, عن أوضاع المسلمين هناك, وصراعهم مع العدو الصليبي, وقد قدم رؤية رحالة مشرقي شاهد عيان على عصر الصراع الإسلامي الصليبي, واحتوت إشارته على جوانب عن المزارات الدينية والعلاجية والنشاط الاقتصادي على نحو جعل لها قيمتها بين مؤلفات الرحالة المسلمين, وفدوا إلى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية.

2- أسامة بن منقذ

(ت582هـ/1188م)

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لأحد الرحالة الشاميين الذين عاصروا القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ونعني به أسامة بن منقذ الشيرزي[384] (ت582هـ / 1188م) ,

---

384 عن مصادر ومراجع ترجمة أسامة بن منقذ انظر:

ابن عساكر , تاريخ مدينة دمشق , حـ2 , تحقيق بدران , ط. دمشق 1332 هـ , ص400 , أسامة بن منقذ , المنازل والديار , ح1 ط.بيروت 1965 م , ص" س" من المقدمة , البديع في نقد الشعر , تحقيق احمد بدوي وحامد بن الحميد ,ط. القاهرة ب–ت , ص, ديوان أسامة بن منقذ , تحقيق احمد بن بدوي وحامد عبد المجيد , ط. بيروت 1983 م , ص6 –39 , ياقوت , معجم الأدباء , ح5 , ص188 , ابن كثير , البداية والنهاية , ح12 , ص31–32 , ألنعيمي , الدارس في تاريخ المدارس , ح1 , تحقيق جعفر الحسني , ط. دمشق 1948 م , ص384, ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ح5 , ص283 , ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , ح4 , ص279 ,حسن عباس , أسامة بن منقذ, حياته وشعره , ص67–131 , احمد كمال زكي , أسامة بن منقذ , ط. القاهرة 1968 م . فارس الفرسان , ط.القاهرة 1974م , جمال الدين الالوسي , أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية , ط.بغداد 1967 م , كرد على "كتاب الاعتبار " مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق , م(10) , ح(9) عام 1930م ,

وقد قدم لنا تناولا هاما وفريدا في إن معا , للعديد من صور الحياة في بلاد الشام , في عصر الحروب الصليبية , سواء بالنسبة للمسلمين أو الصليبين , ومن ثم فإننا سنتناول في الصفحات التالية تلك الجوانب المختلفة التي قدمها ذلك الرحالة , والفارس , والأديب الشامي.

وقد ولد أسامة بن منقذ في شيزر [385] في جمادي الأولى عام 488هـ / يوليو 1095م[386] , حيث سيطرة عليها أسرتهم العربية وقد كان من حق والد أسامة الأمير مرشد أن يتولى الإمارة , بيد إن نسخ القران الكريم ملك عليه قلبه بالإضافة إلى القيام برحلات الصيد والقنص , فتنازل عن الإمارة لأخيه سلطان, وقد اتجهت همة الأخير إلى أن يخلفه أسامة بن منقذ , بيد انه عندما رزق ولدا , بعد عن أسامة وشعر الأخير بذلك التغير فغادر الشيزر [387] .

وقد زار أسامة بن منقذ بيت المقدس , وقام بالحج إلى الحرمين الشريفين , وتنقل بين العديد من العواصم الإسلامية , وصاحب عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وكذلك الخليفة الحافظ الفاطمي , كما انه اتصل بعدد من القيادات الصليبية

---

[385] شيزر , مدينة من مدن شمال الشام , تقع على بعد خمسة عشر ميلا إلى الشمال من حماة , وعندها توجد هضبة سماها هضبة مؤلفو العرب " عرف الديك , ويلتف عندها نهر العاص من جهات ثلاث , فهي أشبه بشبه جزيرة من الناحية الجغرافية , وقد تم حفر خندق في الصخر الواصل بين شبه الجزيرة والبر , وهناك شيدت قلعة حصينة كانت لها ثلاثة أبواب وقد تأثرت شيزر بزلازل مدمر الذي وقع في الشام في عام 552 هـ – 1157 م . على نحو أدى إلى قضاء على الأسرة العربية الحاكمة في شيرز , ونعني بها أسرة بني منقذ , بيد إن أسامة نجي من الموت لعدم وجود بشيزر وقت وقوع ذلك الزلزال المدمر .

[386]. أسامة بن منقذ , البديع في الشعر , ص1 .

[387]. نقولا زيادة , رواد الشرق العربي , ص87.

مثل بوهيمند وتنكرد [388] . وقد توفي أسامة في يوم الاثنين 23 رمضان عام 584هـ /15 نوفمبر 118 م [389] عن عمر يبلغ السادسة والتسعين . والملاحظ إن أسامة بن منقذ قد ألف العديد من المؤلفات , ومن أمثلتها , كتاب الاعتبار [390], وكتاب ألبدري, وكتاب الشيب والشباب, وكتاب رسائل السائل, وكتاب نصيحة الرعاة, وكتاب البشارة, وكتاب العصا, وكتاب أزهار الأنهار وكتاب النوم والأحلام وكتاب التأسي والتسلي, وكتاب نزهه الناظر في البلاء الخاطر, وكتاب ردع الظالم ورد المظالم , وكتاب تاريخ ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه مختصرا, وكتاب

---

388. عبد الرحمن حميدة , أعلام الجغرافيين العرب , ص307.

نلاحظ إن عبد الرحمن حميدة يقرر في كتابة إن أسامة بن منقذ قد صاحب الخليفة الفاطمي الحافظ , وخلفه الظاهر , بيد إن هذا القول ينافي الواقع التاريخي لأمر يسير , ألا وهو إن الخليفة الحافظ قد حكم خلال الفترة من 524-544هـ / 1330 -1149 م , أما الظاهر فانه لم يخلف الحافظ ,إذ انه حكم خلال الفترة من عام 411-427هـ/1020-1035م,وجاء عهده بعد الحاكم بأمر الله الذي حكم خلال المرحلة من 386-411هـ /996-1020 م , ومعنى هذا إن قرنا من الزمان أو ما يزيد في فصل بين عهدي الحافظ والظافر . عن إشارة عبد الرحمن انظر :أعلام الجغرافيين العرب , ص307.

وعن تصحيح ذلك انظر :

ابن حماد , أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم , تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عويس , ط. الرياض ب-ت , ص106 ,112 خوان مير,روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء , ت. احمد عبد القادر الشاذلي , ط. القاهرة 1988م ,ص226 , 230 ستانلي لين بول , طبقات صلاطين الإسلام , ص69 , زمباور معجم الإشارات الحاكمة في الإسلام , ت. زكي حسن وحسن محمود وسيدا كاشف , ط.القاهرة 1951م.

389. تقديم فليب حتى لتحقيق الاعتبار .

390. تجدر الإشارة إلى أن كتاب الاعتبار, قد حققه ديرنيرج وصدر عمله في لندن وباريس عام 1886 -1884 , عن ذلك انظر:

Qusama ipn munkidth, un emir au syrren au premier siecle des croisades (1095-1188) , par hartwig derenbourg-paris 1884-1886,

ثم من بعد ذلك قام فيليب حتى, بتحقيق الكتاب , وصدر عمله في برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية في عام 1930 , ثم طبع الكتاب بتحقيق حتى مرة أخرى في بيروت وذلك في عام 1981م , وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في إعداد هذا الفصل.

وأخيرا قام بتحقيق قاسم السامرائي , وصدر عمله في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام 1987م.

ويلاحظ إن كتاب الاعتبار نال شهرة عالمية كبيرة , وترجم إلى العديد من اللغات الأوربية مثل الانكليزية, الألمانية, الروسية, البولندية, الدنيماركية.

لباب الألباب, وكتاب التجارة المربحة, وكتاب المكارم والكرم ورعاية الذمم, وكتاب مكارم الأخلاق ويقال انه وقع في عشرين مجلدا [391], وكتاب المنازل والديار وكتاب البديع في الشعر وغيرها.

وهكذا , فأن تلك المؤلفات تعكس لنا عقلية ذلك الرجل الغزير الإنتاج في العديد من المجالات الأدبية والتاريخية في ذلك العصر.

من الشعراء الذين مدحو صلاح الدين الشاعر الأمير أسامة بن منقذ وذلك عند انتصار على الصليبيين في عسقلان فقال[392]:

تهنَّ يا أطولَ الُملُوكِ يدَا　　في بَسْطِ عدْلٍ وسَطْوَةٍ ونَدَى

أجراً وذِكراً مِنْ ذلكَ الشُكْرِ في الـ　　دنيا ومِنْ ذلك الجنانِ غداً

لا تستقلَّ الِذي صَنَعْتَ فَقَدْ　　قُمْتَ بفرضِ الجهادِ مُجتهِدَا

وجُسْتَ أرضَ العِدَا وأفنيتَ مِنْ　　أبطالِهِمْ ما يجاوزُ العَدَدَا[393]

---

391. عن مؤلفات أسامة بن منقذ, انظر ما أورده المقريزي في مخطوطته المقفى, جامعه لندن برقم 14533 شرقي, وقد نشر الورقة 140 أ من الجزء الثالث قاسم السامرائي في تحقيقه المشار إليه. وصح في ص236-235 من تحقيقه للاعتبار, بيد إنني أرى إنما أورده المقريزي ليس كاملا إذ إن هناك مؤلفات أخرى أوردها مؤرخون سابقون على المقريزي, ولم ترد في المقفى, ومن أمثلتها القلاع والحصون على سبيل المثال. وقد أورد أمره ابن خلكان, ويعد هذا الكتاب نادر في موضوعه, بيد انه على ما يبدو من مؤلفات أسامة المفقودة, وفي حالة العثور على مخطوطته , فانه يسد فراغا كبيرا في مكتبة المصادر التاريخية العربية التي وصلت إلينا من عصر الصليبيات في بلاد الشام.

وانظر كذلك : هشام عدره قلعة شيزر والأمير الشاعر أسامة بن منقذ, المنهل , العدد (507)م (55) صفر 1414هـ / يوليو- اغسطس1993م, ص156-157 .

392. التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العرب والاسلام، فيصل بجاش علي حميد، جامعة دمشق، كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2006-2007م.

393. أبو شامة، الروضتين، ج2 ص217، حمزة، أدب الحروب الصليبية، ص111.

أسامة بن منقذ هنا يؤكد صفات صلاح الدين المتمثلة بالعدل، كما يؤكد ويثني عليه لاجتهاد وقيامه بفرض الجهاد، وهذه القصيدة قالها الشاعر أسامة في الوت الذي كانت الأمة في أمس الحاجة للعدل وكذلك لمن يقودها للجهاد، ففي هذا المدح دعوة صريحة لصلاح الدين للقيام بهذين الأمرين، خصوصا وأن صلاح الدين كان أهلاً للقيام بهذه المهام.

ومن هذه الأمثلة قصيدة للشاعر وحيش الأسدي عند دخول صلاح الدين دمشق حيث مدحه قائلاً:

للهِ أنتَ صلاح الدينِ مِنْ أَسَدٍ	أدنَى فَرِيسَتَهُ الأيامَ إنّ وَثَبَا
رَأَيْتَ حَلْقَ ثَغْرٍ لا نظيرِ لَهُ	فَجئتَها عامِراً منها اّلَذي خرِبَا
نادَتكَ يا لِذُلِّ لَما قلَّ ناصرُها	وأَزْمَعَ الخَلْقُ مِنْ أَوْطَانِها هَرَبَا
أَحَيِيْتَها مثلَ مَا أحييْتَ مصرَ فقدْ	أَعَدْتَ مِنْ عَدْلِها مَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا
هذَا الَّذِي نَصَرَ الإسلامَ فاتّضَحَتْ	سَبِيلُهُ وأهانَ الكُفْرَ والصَّلَبَا[394]

يؤكد الشاعر وحيش من خلال مدحه لصلاح الدين بمناسبة دخوله دمشق إقراره للعدل، بإعتبار ما سيكون، لان القصيدة قيلت عن دخول صلاح الدين دمشق، أي أنه لم يتمكن بعد من تحقيق ما تتمنى الأمة تحقيقه من عدل، فالشاعر يقصد من قوله هذا هو دعوة صلاح الدين لإقرار العدل وفي هذا الأمر تكملة لدعوة الشاعر أسامة من قبل أي قبل أن يدخل.

---

[394] . أبو شامة، المصدر السابق، ج2 صث218، حمزة، المصدر السابق، ص111.

وتجدر الإشارة إلى إن أسامة بن منقذ يمتاز بعدة مميزات من غيره من الرحالة المسلمين في بلاد الشام في صر الحروب الصليبية وعلى مدى القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي, ويمكن إجمالها في الأتي :

أولا: انه الشامي المولد والنشاه , فهو يقدم لنا رؤية خاصة عن بلاد الشام في ذلك العصر من خلال احد أبنائها, وبالتالي يختلف عن الرحالة المسلمين الآخرين الذين قدموا إلى بلاد الشام سواء من المشرق أو من المغرب الإسلاميين, ولا مراء في إن صفته الشامية تعطي لنا طبيعة متميزة في كتاباته فهو ليس بالوافد والغريب عن المنطقة بل هو من أبنائها[395] .

ثانيا: يتميز أسامة بن منقذ بأنه فارس مسلم قوي الشكيمة وخبير في أمورم الحرب والقتال, وكذلك الصيد, وتلك الصفات لا تجدها في الرحالة المسلمين الآخرين الذين لا نجد منهم من اتصف بصفة الفروسية وهكذا نجد إن اهتماماته تختلف عن اهتمامات غيره من الرحالة المسلمين المعاصرين لتلك المرحلة التاريخية الهامة من تاريخ بلاد الشام في العصور الوسطى.

ثالثا: من جهة أخرى, توطدت علاقات أسامة بن منقذ بعناصر من الصليبيين, ومن ثم تنفيذ كتاباته في تسليط الضوء على داخل المجتمع الصليبي ذاته, ومن خلال رؤية رحالة خبير, لم يمكث أيام قليلة في تلك المناطق بل خالطهم, وعاش مراحل زمنية متفرقة, وعميقة داخل الكيان الأجنبي, وفي تقديري أن تلك الناحية لم تأت لغيره من الرحالة المسلمين.

مهما يكن من أمره, فان ذلك الأديب, والفارس والرحالة, قدم لنا كتابا على جامع كبير من الأهمية ونعني به كتاب " الاعتبار" وهو مذكرات شخصية لاسامة ابن منقذ

---

[395] . الالوسي جمال الدين، اسامه بن منقذ بطل الحروب الصليبية، بغداد، مط أسعد، 1967م، ص43

وخلاصة تجاربه الحياتية ونلمح فيه دقة الملاحظة, والقدرة الوصفية الفذة, والتمكن من اختبار الجوانب الحساسة التي قد لا يتطرق إلى تناولها المعاصرون في كتاباتهم التي وصلت ألينا. ولا جدال في إن عمق تجربة أسامة نفسه, أثقلت كتابة بصورة واضحة.

ومن الممكن أثارة زاوية هامة فيما يتصل برحلات أسامة بن منقذ في ربوع بلاد الشام سواء في المناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية أو تلك التي سيطر عليها الصليبيون, وهي تتعلق بالمصادر التي استقى منها مادة رحلاته.

والواقع إن ذلك الرحالة قد أفاد من مشاهداته, وكذلك من المصادر الشفهية, ومن الملاحظ إن أحيانا كان شاهد عيان في بعض الأحداث التي يوردها في الاعتبار عن بلاد الشام(396), كما انه في أحيان أخرى نجده يذكر إشارات من خلا لما سمعه شخصيا(397), وفي المجال الأخير, نعرف انه استقى بعض رواياته من أفواه قيادات صليبية على أعلى مستوى قيادي(398), مما يعطي لما أورده في كتابه أهمية متميزة.

وهكذا, يمكن القول بأن هناك مصدرين أساسيين لأسامة بن منقذ وترحاله في ربوع الشام وهي المشاهدة والمصدر الشفهية, مع ملاحظة إن عنصر المشاهدة والمعاينة تفوق على العنصر الآخر في كثيرة, خاصة إذا ما أدركنا إن أسامة ابن منقذ يقدم لنا خبرته الشخصية من خلال الاعتبار.

والجدير بالذكر, إن ذلك الرحالة الشامي, قد قدم لنا العديد من الجوانب, وكأنه يقدم لنا بانورامية شاملة عن بلاد الشام من خلاله, ومن أمثلة ذلك تناول للمرأة المسلمة

---

396 أسامة بن منقذ, الاعتبار, ص174

397 . نفس المصدر, ص175

398 من أمثله ذلك وليم دي بور William of bures, Guillaume de Bores

نفس المصدر,ص176.

في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ومظاهر البطولة الفردية لعدد من النساء في ميادين القتال, وكذلك أوضاع الاسارى منهن, ثم تعرضه للمرأة الصليبية والانحلال الجنسي لدى الصليبيين, وتحليله لسلوكياتهم بين الايجابيات والسلبيات وكذلك الفوارق الحضارية بين المسلمين والصليبيين ولاسيما من خلال المعارف الطبية, كذلك تعرضه الهام للجانب ألتنصيري, ثم الخريطة العقائدية لبلاد الشام في ذلك العصر, بالاضافه إلى تعرضه لنواحي الصيد ووسائله في عدد من المناطق الشامية.

مهما يكن من أمر, فأن أسامة بن منقذ يقدم لنا تصورات هامة عن دور المرأة المسلمة في بلاد الشام في ذلك الحين, وتحتل رواياته في هذا الشأن قدرا كبيرا من الأهمية على اعتبار قلة إن لم يكن ندرة الإشارات التي وصلتنا عن المرأة من خلال مصادر ذلك العصر التاريخية, إذ إن المؤرخين المعاصرين, قد شغلوا بتسجيل الأحداث السياسية والحربية الطابع, وتناول كبار القيادات, وتجنبوا التعرض للقطاعات العامة, وكذلك دور المرأة في صنع تاريخ تلك المرحلة الهامة والحاسمة من حياة بلاد الشام, وان أوردت إشارات من جانبهم عن المرأة الشامية, فذلك بصورة عرضية ونادرة, وان كان التجاهل من جانبهم هو الأعم للظروف والملابسات المذكورة.

وهكذا, تأتي إشارات أسامة بن منقذ عن المرأة المسلمة في بلاد الشام, وكذلك المرأة الصليبية لتقدم لنا ثورة طائلة, وتكشف النقاب عن العديد من الحقائق التاريخية في ذلك العصر, التي كان الباحثون في اشد الحاجة إليها من اجل تجلية غوامضه.

والجدير بالذكر إن أسامة بن منقذ اتسم بطابع الاحترام والتقدير للمرأة المسلمة الشامية, ويتضح من ذلك خلال كتابه إذ انه يقرر صراحة" ما ينكر للنساء الكرام

الأنفة والنخوة والإصابة في الرأي" [399]. ومن المرجح إن ذلك التصور الراقي لم يكن حالة فردي من جانب ذلك الرحالة, بل انه تعبير عن تصور عصر بأكمله قدر المرأة واحترامها من خلال مبادئ الإسلام وتعاليمه الراقية, على نحو لم يتوافر بنفس القدر لدى المرأة الأوربية المعاصرة لا سيما في الغرب الأوربي.

ونجد لديه الحرص على إيراد الجانب المتعلق بالبطولات النسائية, فهناك المرأة التي قتلت زوجها وهو علي عبد ابن أبي الدرداء والذي كان من رجال خلف بن ملاعب أمير افامية[400] , وذلك انتقاما منه بعد إن اعتاد القيام بعمليات السلب والنهب, والقرصنة, ضد قوافل المسلمين, خاصة بعد أن ارتبط بالصليبيين في كفر طاب, وقد قدر لها المسلمون دورها وعملوا على إكرامها وتقديرها[401].

كذلك حرص أسامة بن منقذ على إظهار البطولة النسائية فيما يتصل بجهاد الصليبيين, من ذلك إن نضرة بنت يوزر ماط قامت بأسر ثلاثة من الصليبيين وجعلتهم في بيتها ثم دعت أهلها إليهم فقاتلوهم وتمكنوا من قتلهم [402]. وتعني تلك الرواية إن الرجال لم يكونوا هم القوة الفاعلة فقط, بل إن المرأة المسلمة, شاركت ووقفت جنبا إلى جنب بجوار الرجل المسلم, في معركة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين

---

1. اسامه بن منقذ، الاعتبار، مصدر سابق,ص160.

400. خلف بن ملاعب, وهو خلف بن ملاعب الاشهبي سيف الدولة, كان من قطاع الطرق, وقد وجد إن احد الحصون الواقعة بين حلب, وسلمية, عرف باسمه, وقد اخضع حمص وافامية, وقد حاربه السلطان السلجوقي ملكشاه وتمكن من أسره, وفيما بعد أطلق سراحه على يد خاتون زوجه السلطان, وقد هاجمه الباطنية وتمكنوا من قتله وذلك في عام 499هـ/1105م. عن خلف بن ملاعب واغتياله على ايدي الباطنية انظر:

ابن القلانس, ذيل تاريخ دمشق, ص186,188, ابن العديم, ترجمة خلف بن ملاعب من بغية الطلب

Lewis, three Biographies from Kamal Ad-Din", Melanes Fuad Koprulu, Istanbul 1953,pp.325 -329.

زبده الحلب, حـ2, ص151-152, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, حـ5, ص192, السيد العزاوي, فرقة النزارية, ص107.

401. أسامة بن منقذ, المصدر السابق, ص163.

402 . اسامه بن منقذ، الاعتبار, ص165-166.

ولم يكن دور المرأة قاصرا على مواجهة الصليبيين, بل إن الأمر تعدى ذلك إلى مواجهة عناصر الشيعة الإسماعيلية من ذلك إن الإسماعيلية, عندما هاجموا شيزر في عام 507هـ/1113م, قامت النساء بصد الأعداء , إذ إن امرأة تناولت سيفا وخرجت إلى القتال, وما زالت كذلك حتى تكاثر الشيزربون, وصدوا هجوم أعدائهم[403].ثم هناك امرأة كانت تحث احد أقاربها على القتال وعدم الفرار من المعركة[404]. بل انه أشار إلى أن امرأة شيزرية, أرادت أن تلقي بابنتها في الوادي لتلقي حتفها بدلا من أن تقع أسيرة في قبضة الإسماعيلية[405]. وفي ذلك أوضح دليل العزة والكرامة لتلك النوعيات من النساء المسلمات في ذلك العصر.

وإذا كان هذا هو حال النساء الشيزريات, فان ذلك الرحالة, أورد أمر بعض الاساري من المسلمات, من ذلك تعرضه لأمر الفتاة رفول بنت أبي الجيش, وهو أحسن العناصر الكردية, وقد تم أسرها من جانب احد الفرسان الصليبيين, على نحو انعكس على والدها الذي فتكت بأعصابه المحنة, وفيما بعد وجدت جثتها طافية في مياه احد الأنهار الشامية , وقد هدأت نفس والدها عندما أدرك ذلك على اعتبار أنها فضلت الموت عن الوقوع في الأسر[406] وفي هذا إيضاح إلى إن الوقوع في اسر الصليبيين كان بمثابة كارثة كبرى لدى المسلمين في ذلك العصر , حتى إن البعض من النساء فضلن الموت على أن يقعن في قبضتي الأعداء كاسارى[407] .

ويلاحظ إن أسامة ابن المنقذ اتسم بنضرة موضوعية حيادية اتجاه المرأة المسلمة , فهو لا يقدم صورتها المشرفة فحسب , بل انه يقدم الجانب الآخر , في صورة قيام

---

403 . نفس المصدر , ص160.

404 . نفس المصدر ,ص159

405 . نفس المصدر , ص160.

406 . نفس المصدر , ص192–193 .

407 . عباس حسن، اسامة بن منقذ، جزءان،الاسكندرية: الهيئة العامة للكتاب، 1981م، ص42.

بعض النساء بالعمل كساحرات كالمرأة التي تدعى بريكة التي كانت تسحر بين المقابر خلال ساعات الليل وقد سخر منها أسامة عندما وصفها بأنها مكشوفة الرأس, منفوشة الشعر تركب قصبة , وتصهل بين المقابر , وتتجول هناك [408] **وفي** ذلك أوضح تعبير عن احتقاره لتلك الأعمال الشريرة من جانب بعض النساء , ومنطقي تصور إن مثل تلك النوعية من النساء الساحرات وجدت سوقا رائجة من خلال إقبال عناصر من العامة لحل مشكلاتها الحياتية المتعددة .

من جهة أخرى , لا تخلوا رحلات أسامة بن منقذ من جوانب طريفة عن المرأة الشامية في ذلك العصر فهو يتحدث عن إحدى السيدات المسلمات قارب عمرها المائة عام [409] فهي من المعمرات , ويلاحظ إن ذلك الرحالة قد حرص على الاهتمام بقضية طول الأعمار , إذ انه توفى عن عمر يبلغ السادسة والتسعين , وهو نجده يرى إن الموت لا يقدمه ركوب الأخطار , كما انه لا يؤخر شدة الحذر , وقد لقي الأخطار المتعددة وحارب الصليبيين وقاتل الحيوانات المفترسة وعلى الرغم من ذلك طال عمرها إلى حد كبير [410] .

أضف إلى ذلك , تطرق أسامة بن منقذ إلى أمر المرأة الصليبية , التي نذر اهتمام المصادر التاريخية العربية بها , وقد أوضح إن المرأة الصليبية لا يغار عليها زوجها , وان هناك انحلالا كبيرا داخل المجتمع الصليبي . وهو يقرر انه ليس عند الصليبيين نحوه أو غيره , وضرب مثلا دالا على ذلك برجل يمشي مع امرأته فيلقاه رجل آخر يأخذ المرأة فيعتزل بها ويتحدث معها بينما زوجها واقف ينتظر فراغهما من الحديث , فإذا طالت المحادثة تركها مع محدثها وانصرف[411] كما أشار إلى

---

[408] . نفس المصدر ,ص158.

[409] . نفس المصدر , ص162 .

[410] . نفس المصدر , ص211.

[411] . نفس المصدر , ص174.

أمر احد الصليبيين الذي دخل بيتا وضاجع امرأة فيه , وعندما قابله زوجها قال له انه إذا عاد إلى ذلك مرة أخرى خاصمه[412] .

وهكذا, يلقي ذلك الرحالة الأضواء على الانحلال الخلقي داخل المعسكر الصليبي , ومن المعروف إن الكيان الصليبي قد احتوت على العديد من مظاهر الانحلال الخلقي, من ذلك إن مدينة عكا الساحلية احتوت على حي للدعارة عرف بالحي الأحمر[413] كما إن المؤرخ الصليبي جاك دي فترى gacques de vitru أشار إلى إن رجال الدين الصليبيين كانوا يؤجرون أمكان العبادة من اجل الدعارة بما تدر عليهم من ربح وفير[414] وهي شهادة تاريخية هامة نظرا لصدورها من جانب رجل دين صليبي ومؤرخ للمملكة بيت المقدس الصليبي خلال القرن الثالث عشر ميلادي /السابع الهجري .

كما نجد إن الجيوش الصليبية قدمت إلى المنطقة لتقاتل المسلمين وجاءت السفن القادمة من أوروبا محملة بالبغايا والعاهرات , من اجل الترفيه عن الفرسان الصليبيين[415] .

---

412 . نفس المصدر, ص174.

413 . براور , عالم الصليبيين , ت. محمد خليفة وقاسم عبده , ط. القاهرة 1981 م , ص221.

414 gacques de vitru,p.64.

415. العماد الأصفهاني , المصدر السابق , ط. القاهرة ب–ت , ص170 , ولمزيد من الإشارات عن الانحلال الجنسي لدى الصليبيين انظر:

حسان حلاق , العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى , ط. بيروت 1986م , ص195 , زكي نقاش , العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية , ط. بيروت 1958 م , ص33 , جمعة الجندي , حياة الإفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث

وهو كان بمثابة ظاهرة اجتماعية عامة , دعمتها فكرة تكون ذلك المجتمع من العديد من العناصر والجنسيات المختلفة .وتتأكد الصورة السابقة من خلال إشارات الرحالة الأوربيين أنفسهم الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي / القرن السادس الهجري , حيث أشار إلى الانحلال الجنسي في المدن الساحلية الشامية الخاضعة لسيطرة الصليبيين كعكا على سبيل المثال[416] .

من ناحية أخرى قدم أسامة بن منقذ رؤيا هامة للنساء الصليبيات, تعكس نظرته الخبيرة , فقد أورد أمر جارية صليبية صارت للأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر, ويشار له بالبنان . ويعلل أسامة بن منقذ ذلك الموقف بقوله إنهن" جنس ملعون لا يؤلفون لغير جنسهم "[417]. وهو رأى مهم صادر عن رجل خبير بالصليبيين.

وإذا نحينا ذلك جانبا نجد إن الرحالة, يقدم لنا تصورات هامة بشأن سلوكيات الصليبيين, وقد أوضح في إشارة هامة, إن الصليبيين القريبى العهد بالبلاد الأوربية طبائعهم جافة إذا ما قورنوا بالذين عاشروا المسلمين[418] , كما انه أوضح إن هناك من الصليبيين من تأثر بطباع المسلمين, من ذلك أمر الرجل الصليبي الذي لا يأكل من حطام بني جلدته ولا يدخل داره لحم الخنزير[419], وتتضح دقه أسامة بن منقذ من توضيحه إن المثال الأخير لا يقاس علية لأنه أشبه شيء بالاستثناء , بيد إن روايته بصفة عامة تكشف لنا بجلاء إن الصليبيين ترقت طبائعهم من خلال

عشر , دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة عين شمس عام 1985م , ص299 –300 , حسين احمد أمين , الحروب الصليبية , ص111 , تيسير بن موسى , نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين ,ط. طرابلس ب–ت , ص97 .

416 .Gonnes phocas,a brief description of the holy land,p.11..

417 أسامة بن منقذ , المصدر السابق , ص166 –167 .

418 . نفس المصدر, ص172.

419 . نفس المصدر, ص180.

احتكاكهم بالمسلمين, وفي هذا رؤية هامة للسلوك الاجتماعي من جانب ذلك الرحالة الثاقب النظر القوي الملاحظة.

زد على ذلك, إن أسامة بن منقذ يقدم لنا تصورا هاما وموضوعيا لصفات الصليبيين, وقد وصفهم"بالشجاعة العظيمة"[420], والاحتراز في الحرب[421], كما انه قرر انه لا فضيلة لهم إلا الشجاعة, وان الفرسان مقدمون بينهم[422]. وفي تقديري إن مثل تلك النصوص إنما تدل على الموضوعية الواضحة من جانب ذلك الرحالة الذي امتدح مثل تلك الصفات في أعداء المسلمين في وقت شهد عنف المواجهة بين عالمي الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى.

وكامتداد لتناول أسامة بن منقذ للطرف الأخر, وعمق تصوره له, نجده يكتشف بجلاء عن الفارق الحضاري بين كل من المسلمين والصليبيين, ونجد ذلك واضحا في مجال العلوم الطبية, إذ إن الصليبيين طلبوا المساعدة في بعض الأمور التافهة كإزالة "دمل" بسيط[423], كما أشار إلى أمر القس الذي ملأ انف احد الفرسان بالشمع فمات, وعندما قالوا له لقد مات قال: نعم, إذ انه كان يعاني ويتعذب فأراحه[424], وفي هذا أوضح دليل على تخلف أوضاع الصليبيين الطبية[425], إذا ما قورنوا بالمسلمين ومعارفهم في هذا المجال.

---

420 . نفس المصدر, ص176.

وتجدر الإشارة إلى إن من المؤرخين الصليبيين الذين عاصروا الحملة الصليبية الأولى, من أشار إلى نفس الصفات التي امتدح بها أسامة بن منقذ الصليبيين, ولكنها تطلق من جانب أولئك المؤرخين على المسلمين, ومن أمثلتهم المؤرخ المجهول, الذي وصف السلاجقة بأنهم من أشجع المقاتلين , بل انه تمنى لو أنهم كانوا مسيحيين.

421 أسامة بن منقذ, المصدر السابق, ص21.

422 . نفس المصدر, ص83.

423 . نفس المصدر, ص170.

424 . نفس المصدر, ص 176-177.

425 . عن ذلك انظر:.john of wurzburg, p. 44

من جهة أخرى, نجد إن ذلك الرحالة يقدم لنا تصورات هامة عن الجانب ألتنصيري, وقد أورد أمر احد الرجال اعتنق الإسلام وحسن إسلامه, وذلك من خلال قيامه بتأدبه الصلوات المفروضة وصوم شهر رمضان, وتزوج ورزق بولدين, ومن بعد ذلك فر إلى افامية وهي خاضعة للسيادة الصليبية, وتنصر هو وأولاده [426].

أضف إلى ذلك, انه أشار إلى احد الصليبيين يقدم صورة السيدة مريم العذراء وهي تحمل السيد المسيح طفلا ويخاطب احد المسلمين بان هذا هو الله صغيرا, وقد استفاد أسامة بن منقذ من ذلك بقوله "تعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا" [427].

وتجدر الإشارة إن إيراد ذلك الرحالة لمثل تلك الأحداث يدل على انه أدرك خطورة البعد ألتنصري كأحد أهداف المشروع الصليبي الذي رغب في تحويل مسلمي الشرق الأدنى إلى مسيحيين يدينون بالولاء لكنيسة روما وفق المذهب الكاثوليكي [428]. مع

ويلاحظ إن ذلك الرحالة الألماني, الذي زار مملكة بين المقدس الصليبية, خلال الرحلة من عام 1160-1170م/ 555-565هـ على الأرجح, قد أشار إلى انه في مستشفى الاسبتارية في بيت المقدس, يموت يوميا نحو خمسين شخصا, وهي شهادة من رحالة معاصر لتلك المرحلة , تعكس إن الوسائل العلاجية في ذلك الوقت لدى الصليبيين, حتى في المستشفيات, كانت عاجزة عن تقليل أرقام الوفيات, بحيث بلغت ذلك المعدل السابق.
انظر أيضا إشارات هامة لدى:

Woodings, "the medical resources and practice of the crusader states in Syria and Palestine (1096-1192), M.H, vol, xv,no.3,july 1971,p.

كامل حسين, في الطب والاقربازين, ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية, ط.القاهرة 1970 م, ص285, سعيد عاشور, المدينة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوربية, ط. القاهرة 1967م, ص 147, زكي نقاش, المرجع السابق, ص206, محمود الحويري, الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين 12,13م, ط.القاهرة 1979م, ص231, ألعروسي الطوي, الحروب الصليبية في المشرق والمغرب, ط. بيروت 1982م, ص75, نقولا زيادة, سوريا زمن الصليبيين, المقتطف, يويو 1928م, ص200, ادوارد براون, الطب العربي, ت. داود سلمان علي, ط.بغداد 1986م. ص68, شفيق جاسر, القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها, ط. الرياض 1989م, ص122.

[426]. أسامة بن منقذ, المصدر السابق,ص167.

[427]. نفسه, نفس المصدر, ص173.

[428]. جوزيف نسيم يوسف, العرب والروم اللاتين في الحرب الصليبية الأولى, ط. بيروت 1983م, ص 70.

ملاحظة إن الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر, حرصوا على بعض الروايات الهامة عن ذلك الجانب ألتنصيري. ولا مراء في إن رواية أسامة منقذ لها بشأنها في ذلك المجال مع ندرة ما ورد في هذا الشأن في المصادر التاريخية العربية المعاصرة.

وبالإضافة إلى كافة الجوانب السابقة, نجد إن ذلك الرحالة قد قدم لنا تناولا مهمة للخريطة المذهبية والعقائدية التي كانت عليها بلاد الشام لا سيما المناطق الإسلامية, ذلك تعرضه للإسماعيلية النزارية, كذلك تناوله للصوفية.

وفيما يتصل بالإسماعيلية النزارية, نجد إن ذلك الرحالة قد أورد أمر هجومهم على شيزر في عام 507هـ/ 1113م. وأوضح مقاومة المدينة [429] لذلك الهجوم المقاوم من جانب الإسماعيلية الذين انتهزوا خروج الشيزريين خارج المدينة من اجل قضاء أوقات الأعياد, وبادروا بالهجوم عليها, إلا إن المقاومة الباسلة قضت على مخططهم من اجل الاستيلاء على تلك المدينة الإستراتيجية الهامة في شمال الشام.

مع ملاحظة انه لم يقدم إشارات أخرى عن دورهم في عمليات الاغتيال وجهوها نحو القيادات المسلمة السنية, وكذلك قلاع الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام ومن ثم اقتصر تناوله فقط على تناول الهجوم الاسماعيلي على شيزر.

---

[429]. أسامة بن منقذ , المصدر السابق, ص158-160. وعن هجوم الإسماعيلية على شيزر انظر: ابن ألقلانسي, ذيل تاريخ دمشق, ص189, ألعظيمي, تاريخه, تحقيق علي سويم, ط.أنقرة 1988م, ص32, ابن الأثير, الكامل, حـ 10, ص225, ابن العديم, زبده الحلب, حـ2, ص151, ابن الوردي, تاريخه, حـ2, ص. القاهرة 1868م, ص19, سعيد عاشور, أضواء جديدة على الحروب الصليبية , ط. القاهرة 1964م, ص97, مسفر سالم ألغامدي, الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر(491-569هـ/ 1097-1173م), ط. جدة 1986م, ص60, محمد مؤنس احمد عوض, المؤرخ الحلبي العظمى (ت 558هـ/ 1163م) حياته, ومنهجه في الكتابة التاريخية عن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط, مركز بحوث الشرق الأوسط , جامعة عين شمس عام 1993م, ص19.

أما فيما يتصل بالصوفية, فنجد إن ذلك الرحالة, قد عبر عن ظاهرة في بلاد الشام في ذلك العصر. وقد أورد أمر اثنين من المتصوفة, وهما الفندلاوي والحلحولي[430],

وقيامهما بمواجهة الصليبيين المحاصرين لدمشق خلال الحملة الثانية في عام 543هـ/ 1143م. مع ملاحظة إن عصر ابن منقذ قد اعتقد في أولئك المتصوفة, وفي كراماتهم ولا أدل على ذلك من انه نفسه أورد شيئا منها, تعرضه لأمر حسن الزاهد, الذي أعمى الله سبحانه وتعالى عيون الصليبيين, بينما كان هلاكه لا ريب فيه[431], وهكذا أورد ذلك الرحالة أمر تلك الكرامات المتصلة بالصوفية, مع ملاحظة إن المصادر التاريخية لذلك العصر تفيض بتناول ذلك الجانب لا سيما كتب الطبقات والتراجم والوفيات.

ومن ناحية أخرى, نجد إن أسامة بن منقذ قد القي الضوء على ما يتصل بفنون الصيد في بلاد الشام خلال ذلك العصر, ويعتبر ذلك الجانب من أهم الجوانب التي تعرض لها من خلال تجربة شخصية وخبرة عريضة.

وفي هذا المجال أشار إلى الصيد بالبزاة [432]في شيزر, وغيرها من مدن الشام حين ذاك, ومن المعروف انه يعنى الصيد باستخدام الطيور المدربة على ذلك, مثل الصقور ونحوها, ولا نغفل انه وجد هناك ما يعرف بالبيزرة , وهي في الأصل كلمه

---

430. أسامة بن منقذ, المصدر السابق, ص122. وعن دور الفندلاوي والحلحولي انظر:

ابن ألقلانسي, المصدر السابق, ص464, ابن الأثير, المصدر السابق, حـ11, ص129-130, الباهر, ص59, ابن خلكان , المصدر السابق, حـ2, ص452, ابن تغري بردي, المصدر السابق, حـ5, ص282, ابن عماد الحنبلي, المصدر السابق, حـ4, ص126, ألعدوي, الزيارات, تحقيق صلاح الدين المنجد, ط. دمشق 1956م, ص62-23, فايد حماد عاشور, جهاد المسلمين في الحروب الصليبية, ص215, علي احمد, الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع, ط.دمشق 1989م, ص303.

431. أسامة بن منقذ, المصدر السابق, ص119. انظر أيضا:

العصا, تحقيق عبد السلام هارون, في نوادر المخطوطات, المجموعة الثانية,ط. القاهرة 1951م, ص197-198.

432. أسامة بن منقذ, الاعتبار, ص256.

فارسية عربت بازيار أي صاحب ألباز. والبيزرة علم أطوار الطيور الجارحة[433], مثلما البيطرة علم الحيوان, ولا شك في إن معرفة أسامة بن منقذ بالبيزرة كانت متسعة على نحو أوضحته بجلاء صفحات كتابة الاعتبار.

قد أشار إلى كثرة الصيادين وكثرة المزاه حتى صارت لديهم في شيزر من الكثرة كالدجاج[434] وأشار إلى بعض الأنواع النادرة من ألباز مثل ذلك النوع المقرنص الأحمر العينين[435] والبار الإفرنجي الذي تم إحضاره لبني منقذ في شيزرمكسر ريش الأجنحة والذنب [436] كذلك تعرض للشاهين [437] الذي جمعه شواهين وشياهن, وكان على ثلاثة أنواع : شاهين, وفطامي, وانبقي[438], مع ملاحظة إن الشاهين نفسه من جنس الصقر.

---

433. سعاد ماهر , البيزة في التاريخ والآثار, الدارة, العدد الأول, السنة (3) , ربيع الأول 1297هـ/ فبراير 1977م, ص114, وفي هذا المجال انظر هذه المخطوطة الهامة:

الغطريف بين قدامه, كتاب بواري الطير, مخطوط احمد الثالث, رقم(2099) , مكتبة طوب قابوسراي , اسطنبول , تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية, فرانكفورت 1406هـ/ 1986م.

434. أسامة بن منقذ, الاعتبار, ص257 .

435. نفس المصدر, ص268.

436. نفس المصدر, ص269.

437. نفس المصدر, ص270.

438. سعاد ماهر, المرجع السابق, ص104

ويلاحظ إن الشواهين أو شياهين, ومفردها شاهين وهو طائر جارح من فصيلة الصقليات ويقابل كلند falcon or falco ويمثله الشاهين الزوروبي أو falco pereyrinus , وهو ليس عربي, ولكن تكلمت به العرب كما يلاحظ الدميري,والشاهين له ثلاثة أنواع, شاهين, وقطامى , وايقى, وهو من جنس الصقر, وحركته تكون من العلو إلى أسفل بصورة شديدة, ولذا فانه ينقض على فريسته انقضاضا دونما تحويم, وعلى ذلك من المحتمل أن يضرب نفسه بالأرض فيموت خاصة إذا ما ارتطم بصخر من الصخور, ويقال أن الشاهين أسرع الجوارح كلها, وأشجعها وأخفها , وأحسنها إقبالا وإدبارا, ويذكر الباحثون عدة أنواع منه مثل الشاهين العراقي, والسايبري, والمغربي, والهندي, وغيرها من الشاهين انظر:

القزويني, عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات, ط. القاهرة ب–ت, ص364, الدميري, حياة الحيوان الكبرى, ط. القاهرة 1367هـ, ص48–49, الغطريف بن قدامه, المخطوط السابق, ورقة (36) الزبيدي, انتهار الفرص

ومن الملاحظ إن بني منقذ في شيزر, على الرغم من أنهم نالوا جانبا هاما من التحضر في جوانب حياتهم, إلا أنهم فضلوا أن يحيوا حياة البادية وان يمارسوا فنون الصيد والقنص[439], ووجدوا في ذلك متعة كبيرة, كما هو جلي من خلال عرض أسامة بن منقذ نفسه.

وهكذا ألقت رحلات أسامة بن منقذ في ربوع بلاد الشام الأضواء الساطعة على العديد من جوانب حياة المسلمين والصليبيين في عصر المواجهة بين الإسلام والمسيحية ونعني به عصر الحروب الصليبية, الأمر الذي جعل رحلته تحتل مكانتها الرفيعة من بين الرحلات التي وصلت ألينا من ذلك العصر.

في الصيد والقنص, تحقيق عبد الله الحبشي, ط. لندن 1985م, ص132, عزيز العلي ألعزي, الطير في حياة الحيوان للدميري, ط.بغداد 1986م, ص129, حاشية (2).

[439]. سعيد عاشور, المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى , جامعة بيروت العربية, ط. بيروت 1977م, ص44.

الفصل الرابع

ابن جبير

(ت616أو 617هـ/1219 أو 1220م)

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لأحد الرحالة الأندلسيين الذين قدموا إلى بلاد الشام, خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي, ونعنى به ابن جبير[440]

---

[440]. عن مصادر ومراجع ترجمة ابن جبير انظر:

لسان الدين بن الخطيب, الإحاطة في أخبار غرناطة,حـ2, تحقيق عبد الله عنان, ط. القاهرة 1974م, ص 230–239, المقري, فالطيب في غصن الأندلس الرطيب, حـ3, ط. القاهرة 1949م, ص143, ابن الصابوني, تكملة الإكمال, تحقيق مصطفى جواد,ط.بغداد 1957م, ص199, حاشية (2), كراتشكوفسكي, تاريخ الأدب الجغرافي العربي, ت. صلاح الدين هاشم, ق1, ط.القاهرة 1963م, ص297–298, صلاح الدين المنجد, المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين, ط.القاهرة 1960م, ص18–19, عبد القدوس الأنصاري , مع ابن جبير في رحلته ط.القاهرة 1976م, ص21–36, هنري لامنس, بلاد سوريا القرن الثاني وفقا لرواية ابن جبير, المشرق , العدد(7), السنة (10) عام 1903م, ص 387, شوقي ضيف, الرحلات ط. القاهرة 1956م, ص30–71, زكي حسن, الرحالة المسلمون في العصور الوسطى, ص7–71, عبد الفتاح وهيبة, جغرافية العرب في العصور الوسطى, ص18–19 براون, تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي, ت. ألشواربي, ط.القاهرة 1954م, ص614, احمد رمضان, الرحلة والرحالة المسلمون, ص323, سامي الدهان, قدماء ومعاصرون, ط. القاهرة 1961م, ص120–131, محمد مؤنس احمد عوض, الصراع السني / الشيعي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري, الثاني عشر الميلادي من خلال رحلة ابن جبير, ندوة العرب واسيا, جامعة القاهرة, ابريل 1989م, ص12–13, محمد محمود محمدين, الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان, ط. الرياض 1983م, ص153, التراث الجغرافي الإسلامي, ط. الرياض 1984م, ص155–156, حمد الجاسر, أشهر رحلات الحجج, ط. الرياض, 1982م, ص19, جورجي زيدان, تاريخ آداب اللغة العربية, م2/حـ3, ص90, نقولا زيادة, ابن جبير, عالم, وفقيه, وأديب, ورحالة, العربي, العدد(19), يونيو 1960م, ص117, احمد أبو سعد, أدب الرحلات في الإسلام, رجب 1396هـ/يوليه 1976م, ص67و أبو الحسن علي الندوي, مختارات من أدب العرب, حـ1, ط.جدة 1978م, ص103, عبد الرحمن ألحجي, التاريخ الأندلسي, ط.بيروت 1976م, ص503.

وتجدر الإشارة إلى إن جرير أبي حيدر, قد ذكر إن نسب ابن جبير هو أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكنعاني, لكن هذا لا يجد سندا من المصادر الأصلية, وهو الكناني وليس الكنعاني, انظر:

(ت616 أو 617هـ/ 1219 أو 1220) , وقد ألف رحلة[441] هامة تناول فيها العديد من الجوانب السياسية , والحربية, والاجتماعية, والاقتصادية, والعقائدية, في حياة بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية. وفي بعض الأحيان نجده ينفرد بإيراد إشارات لا نجد لها نظيرا في رحلات الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر, ومن ثم تحتل رحلته مكانة خاصة من بين ما وصل ألينا من مؤلفات خاصة بالرحلة الإسلامية إلى هناك.

وابن جبير, هو أبو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكتاني[442] الأندلس, وأسرته في الأصل من مدينة شاطبه, وقد ولد في بالنسبة. وذلك في عام 540هـ/1145م, وقد اهتم والده بتربيته, فدرس العلوم الدينية واللغوية, وظهرت موهبته الأدبية فقرض

جرير أبي حيدر, رحلات أندلسية ثلاثة, البكري, الإدريسي, وابن جبير, مجلة الفكر العربي, العدد(51) يونيو 1988م, , ص105.

441. عن طبعات رحلة ابن جبير نعرف انه قد اهتم بها عدد من المستشرقين خاصة وليم رايت w.wright, وكذلك اسكياباريليschiaparelli , وقد نشر رايت رحلة ابن جبير للمرة الأولى عام 1852م, وصدر عملة في ليدن Leyden عام 1852م انظر:

Wright , the travels of even gubair ,ed.by w.wright, Leyden 1852.

أما الطبعة الثانية فكانت من مراجعة المستشرق دي جوية de geoye ونشرت ضمن سلسلة جب التذكارية, الجزء الخامس, وصدرت في ليدن Leydenعام 1907م, the travel of abn gubayr edided from a ms in the university library of Leyden of Wright , second edition revised by m.g.de goeje and brinted from trustees the e.g.w gabb memorial, Leyden 1907.

أما عن جهد سكياباريلي , فقد صدر في روما عام 1906م, وبعنوان : schraparelli, abn gueayr(giobeir) viaygio in ispagna, Sicilia, sirai,palestina Mesopotamia, Arabia, egitto, compiute Mel secole xll, primo traduzione sull, oriyinale arabe g.a.c schaiparelli, roma 1906.

عن ذلك انظر:

بالنثيا , تاريخ الفكر الأندلسي, ص317, كراتشكوفسكي , المرجع السابق, ص982-996, عبد الرحمن حميدة, أعلام الجغرافيين العرب, ص334, السيد حامد النساج, مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا), ط. القاهرة ب-ت ص20.

442. لسان الدين بن الخطيب, المصدر السابق, حـ2, ص230.

الشعر, ولمع اسمه, ومن ثم اتخذه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن, رفيقا له وجعله احد كتاب ديوانه(443).

ويذكر أن حاكم غرناطة اضطره إلى شرب الخمر, وكافأه على ذلك بأن أعطاه سبعة كؤوس مليئة بالدنانير, وقد عقد ابن جبير العزم على أن يقوم بالحج إلى بيت الله الحرام من اجل التكفير عن ذلك الإثم الكبير, ومن هنا نبتت في ذهنه فكرة الارتحال إلى الشرق(444).

وقام ابن جبير بثلاث رحلات إلى الشرق. إذ انه غادر في عام 578هـ/1183م وركب البحر في سفينة وقصد الإسكندرية وتنقل في أنحاء مصر, ثم اتجه من عيذاب إلى الحجاز حيث قام بتأدية فريضة الحج, ومكث في الأرض المقدسة مدة ستة أشهر ثم اتجه إلى العراق, ثم إلى بلاد الشام حيث كان الصليبيون قد اخضعوا بعض المناطق هناك, ثم ركب البحر من عكا عائدا إلى بلاده, فواصل إلى هناك في عام 581هـ/1185م(445).

ثم قام برحلة ثانية, إذ انه قد علم بانتصار المسلمين على الصليبيين عام 583هـ/1187م, فقرر الذهاب مرة أخرى إلى الشرق من اجل أن يشاهد المناطق الإسلامية بعد أن تم تحريرها من قبضة الغزاة الصليبيين, فارتحل إلى هناك عام 585هـ/1189م, وعاد إلى بلاده في عام 587هـ/1191م (446).

---

443. نفسه, نفس المصدر, حـ2, ص231.

444. نيقولا زيادة, جغرافيا والرحلات عند العرب, ص160.

445. لسان الدين بن الخطيب, المصدر السابق, حـ2,ص23–233, شوقي ضيف, المصدر السابق, ص70–71, يوسف الغزو , المرجع السابق, ص105.

446. نفس المرجع والصفحة .

أما الرحالة الثالثة, فيختلف الباحثون في شأن دوافعها, فالبعض يرى انه قد توفيت زوجته, وكان يحبها حبا شديدا, ولا أدل على ذلك من انه نظم ديوانا من الشعر في رثائها وأراد أن يسري عن نفسه, فلم يجد بدلا من الارتجال, فرحل رحلته الثالثة[447]

وذلك عام 614هـ/ 1217م, وأقام بمكة المكرمة فترة من الزمن ثم رجع إلى الإسكندرية, وأقام بها إلى أن أدركته منيته هناك.

بينما يرى البعض الآخر انه لم يقم برحلته الثالثة من اجل حزنه على زوجته, وإنما من اجل حب البحث واكتساب المعرفة[448], وفي تقديري إن الدافعين معا وجها ذلك الرحالة إلى القيام بتلك الرحلة. فمن المتصور انه قد أصابه الحزن الشديد لرحيل زوجته فأراد بتغيير المكان إن يجد راحته خاصة بالذهاب إلى الأماكن المقدسة الإسلامية بالإضافة إلى حبه للبحث واكتشاف عالمه المحيط به.

مهما يكن من أمر, فان ابن جبير ترك لنا رحلته الهامة. وقد اختلف في عنوانها, إذ إن حاجي خليفة قد جعلها رحلة الكتاني[449], ويلاحظ إن المخطوط يبدأ بعبارة " تذكرة بالإخبار في اتفاقيات الأسفار", كما انه ينتهي بعبارة[450] "كتاب اعتبار المناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك", وقد تشكك المستشرق رايت Wright في عنوان كتاب بالشكل الأخير, ولذا فقد ظل أن يكون العنوان هو "رحلة ابن جبير"[451].

---

447. لسان الدين بن الخطيب, المرجع السابق, حـ2, ص233, نقولا زيادة, رواد الشرق العربي في العصور الوسطى, ص28.

448. يوسف الغزو, المرجع السابق, ص105.

449. حاجي خليفة, كشف الظنون, حـ1, ق2, ص836.

450. نيقولا زيادة, ابن جبير, ص118.

451. حسين نصار, مقدمة تحقيق رحلة ابن جبير, ص269, حاشية(1), أيضا نيقولا زيادة, دمشق في عصر المماليك, ط.بيروت 19م, ص128.

وتجدر الإشارة إلى إن رحلة ابن جبير تلك هي تسجيل لرحلته الأولى, وقد كتبها على شكل مذكرات يومية يستخدم فيها دائما التاريخين القمري (مع السنة الهجرية) والشمس (دون أن يذكر السنة), وعنى فيها بتسجيل الجوانب الدينية والعقائدية وكذلك الاجتماعية[452], وامتاز أسلوبه بالحيوية المتدفقة وسهولة التعبير وسلاسته, مع ملاحظة انه أحيانا يلجأ إلى الصنعة الأدبية ومن مظاهرها السجع وان عالجه "بالكثير من المهارة دون مبالغة, وهناك من يقرر إن ذلك المصنف "رفيع الأسلوب يختتم بجدارة حلقة الجغرافيين الأندلسيين لذلك العصر"[453].

ويذهب احد الباحثين إلى القول بان كتاب ابن جبير عن الرحلات تتسم "بركاكة التعبير أحيانا", وعدم ترابط الجمل, والأفكار أحيانا أخرى, وإنها تكشف العجز في بنيته, وتكوين وتركيب الصور, والانطباعات التي يمكن أن يستخلصها القارئ من كتابات ابن جبير[454].

والواقع إن ذلك الرأي لا ينطبق على الواقع في شئ, لان رحلة ابن جبير تتسم بالفعل بسلاسة التعبير ومرونته, ولا يشعر المرء فيها بتلك الأوصاف التي يذكرها الباحث السابق, مع ملاحظة إن الباحثين في مجال الجغرافيا والرحلات الإسلامية في العصور الوسطى قد اتفقوا على تلك الميزات الخاصة لرحالة ابن جبير[455], وكان ذلك بالطبع من عوامل حصولها على الشهرة الفائقة من بين ما وصل ألينا من مؤلفات الرحالة المسلمين في تلك العصور.

---

452. نيقولا زيادة , ابن جبير, ص118, احمد أبو سعد, المرجع السابق, ص60.

453. كراتشكوفسكي, تاريخ الأدب الجغرافي العربي,ط. بيروت 1987م, ص335.

454. صلاح الدين هاشم, الإسلام والفكر الجغرافي العربي. ط.الإسكندرية 1978م, ص149-150.

455. محمد محمود محمدين, المرجع السابق, ص153, إبراهيم الكردي وعبد التواب شرف الدين, المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ,ط.الكويت 1984م, ص278.

وهناك ناحية هامة جديرة بالملاحظة, وهي بشأن المصادر التي اعتمد عليها ابن جبير في تأليف رحلته خاصة ما اتصل ببلاد الشام, ويلاحظ انه اعتمد في المقام الأول على المشاهدة والملاحظة, وكانت له قدرة فذة على ملاحظة كل ما تقع عليه عينه وإيراده خاصة ما يجده جديدا أو غير مألوف, ومن المهم أن ينقله لقارئ رحلته, وفي هذا المجال نذكر انه كان يسأل المعاصرين عما يعن له من أمور تستعصي عليه في الفهم, بالإضافة إلى ذلك, نجده أحيانا يورد بعض الإشارات لكتب قرأها لا سيما خلال زيارته لحاضرة الشام الكبرى, دمشق[456].

ويلاحظ إن مقدار المشاهدة والملاحظة تتفوق بشكل واضح في رحلته لا سيما عن بلاد الشام, وهو لا ينقل عن رحاله آخرين, أو يقدم نصوصا للسابقين وإنما يقدم رؤيته الشخصية الخاصة به, ومن هنا كانت القيمة المتزايدة لرحلته.

زد على ذلك انه دخل مناطق الصليبيين, وتناول أوضاع المسلمين الخاضعين لسيطرتهم, ونتحدث عن العلاقات السليمة بين الجانبين, وكل ذلك من خلال رؤية نافذة, وملاحظة واعية, وبأسلوب أدبي رفيع المستوى على نحو ندرك معه إن الأدب والجغرافيا والتاريخ , اجتمعوا سويا, يتوافق فذ في رحلة ذلك الرحالة الأندلس المتمكن من أدوات الرحالة بجدارة.

ونجدر الإشارة إليه إن القسم الخاص ببلاد الشام في رحلة ذلك الرحالة الأندلسي يعد قسما كبيرا إذا ما قورن بالأجزاء الخاصة بالأقاليم الأخرى في نفس الرحلة. ويقدم في روايته عنها التفاصيل الثرية المسهبة التي يجد فيها الباحث ذاته عندما يطالعها. ويركز على جوانب لا تهتم بها كتب الحوليات التي تعنى أول ما تعنى بالجانب

---

[456]. ابن جبير, الرحلة, ط.بيروت 1964م, ص247, 251 , من ذلك ذكره أقراءة كتاب تاريخ ابن العلا الاسدي وكذلك كتبا في فضائل دمشق.

السياسي والحربي دون أن تلقى الضوء على الزوايا الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية .

وابن جبير رجل ذو عاطفة دينية جياشة, ومشاعره الإسلامية واضحة بصورة لا تنكر, وهو يختلف عن الإدريسي الذي لا نجد في كتابته تلك الزاوية إلا نادرا نظرا لارتباطاته السلطوية مع روجر الثاني ملك صقلية[457]. ومن ثم نجد تعبيراته صريحة لا سيما حيال عدائه للصليبيين, في عصر استقر فيه العداء بين عالمي الإسلام والمسيحية.

ومن جهة أخرى, فأن ذلك الرحالة, عندما تحلل نصوص رحلته, لاستخلاص دلالاتها النفسية, نجد انه يعكس لنا صورة جلية كافة انفعالاته كسائح ورحاله مسلم لا سيما عندما يدخل مناطق الصليبيين, حيث يتغير النص بعد إن كان من خلال معنويات مرتفعة عندما كان الرحالة يمر بمناطق المسلمين, ونجد إن النص ذاته يتحول إلى مشاعر مضطربة أخرى, ومريرة عندما يستشعر انه غريب في مناطق كانت من قبل من أملاك المسلمين وصارت ضمن نطاق أعدائهم وضاعت من الأولين من جراء الانقسام والتشرذم والتهاون, وقد ساعده على ذلك التوضيح أن لا يوجز عبارته على ما وجدناه للإدريسي بل انه يفصلها, ويقدم تصوراته العقلية وأحاسيسه النفسية الصادقة دون موارية على نحو أعان على إثراء رحلته.

ومن الممكن أن أقرر إن البعد السيكولوجي في رحلة ابن جبير في بلاد الشام من أهم العوامل الحيوية المتدفقة في سطورها وبالتالي تميزها.

والجدير بالذكر, إن إشارات ابن جبير عن بلاد الشام نجدها تحوي كافة الجوانب المتعلقة والمتصلة بتلك البلاد, حتى تكاد نعتقد انه لم يترك شيئا جديرا بان يتناوله

---

[457]. عن ذلك انظر الفصل الخاص بالإدريسي.

في رحلته ولم يذكره. وفي تقديري إن اكتمال بناء رحلته يعكس انه من قبل أن يخرج ويرتحل اطلع على مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين السابقين, وعلى مدى قرون عديدة سابقة على القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي, ومن ثم حصل على خبرتهم التعبيرية, لان النص ذاته يعكس خبرة كبيرة ليس من السهل أن نجدها لدى رحالة لأول مرة يكتب رحلة, وتعليل ذلك انه تلقى علومه المتعددة منذ حداثة سنه, وهكذا من الممكن توقع مطالعته على العديد من تلك المؤلفات قبل أن يقوم بمهمته في كتابة رحلته.

مهما يكن من أمر, فان ابن جبير تناول في رحلته العديد من الجوانب المتصلة بحياة بلاد الشام سواء في المناطق الصليبية أو الإسلامية , ومن ذلك تعرضه للساحل الشامي, والجوانب الاقتصادية المتعددة, ثم دور عناصر المغاربة في حياة بلاد الشام, والخريطة المذهبية لتلك البلاد أو المزارات الدينية, سواء, سواء للمسلمين أو المسيحيين , ثم القلاع والحصون, أو العمارة الحربية في ذلك العصر.

وفيما يتصل بالساحل الشامي, نجد إن ذلك الرحالة قدم تناولا هاما لعدد من المدن الساحلية وبتفاصيل هامة ومن ثم لم تقض على رؤيته ظاهرة الاختصار التي وجدناها عند من سبقه من الجغرافيين لا سيما الإدريسي, وهو عندما تعرض لعكا قد وصفا يفيض بالحيوية المتدفقة بين كلماته, وقد أوضح إنها "قاعدة مدن الإفرنج بالشام"[458] أي إنها بمثابة المركز الصليبي في بلاد الشام, ومن المعروف أنها كانت بمثابة القلب التجاري لذلك الكتاب, وأشار إلى أنها مشبهة في عظمتها

---

[458]. ابن جبير, المصدر السابق, ص276, زكي حسن, المرجع السابق, ص85.

بالقسطنطينية[459], ونتصور إن ذلك الوصف الأخير يحوي مبالغة كبيرة وغير منطقية, خاصة إذا ما علمنا إن ابن جبير لم يشاهد القسطنطينية ذاتها, ومع ذلك فان مجرد مثل تلك العبارة تعكس ضخامة شأن تلك المدينة الساحلية الشامية ونعنى بها عكا, خاصة أنها كانت أشبه شئ بمدينة عالمية يلتقي فيها التجار من كافة الأقطار. وقد قدم لنا وصفا للكثافة السكانية المتزايدة بها فأشار إلى أن شوارعها "تغص بالزحام, وتضيق فيها مواطئ الأقدام"[460] وفي هذا التعبير الأدبي, التصوير الحقيقي للكثافة السكانية في تلك المدينة التي التقى فيها التجار من كافة أنحاء العالم المعمور حينذاك.

ويلاحظ إن ذلك الرحالة, قد أدرك الدور الصليبي الخطر في تغيير هوية المنطقة وتحويلها عن الإسلام, من خلال البعد ألتنصيري, إذ انه بعد إن أشار إلى خضوع عكا لسيطرة الصليبيين في " العشر الأول من السنة السادسة"[461], ومن المقرر بالطبع أنها سقطت في قبضتهم عام 498هـ/ 1104م, نجده يشرح حال تلك المدينة فيذكر إن مساجدها تحولت وصارت كنائس, وصوامعها صارت محل احد النواقيس[462], وفي مثل ذلك التعبير نجده يكشف بجلاء عن دور الصليبيين فبتغيير هوية المنطقة الإسلامية ومحاولة تنصيرها من خلال القضاء على الدور الهام لاماكن العبادة الإسلامية في صورة المساجد, بل وصل الأمر إن صارت هناك بقعة صغيرة في مسجد عكا الجامع يجتمع فيه الغرباء من اجل إقامة الصلاة. ويمكن وصف ابن جبير بأنه شاهد عيان معاصر على تلك الحقيقة ألا وهي السياسة

---

[459]. ابن جبير, المصدر السابق, ص276, محمد مصطفى زيادة, رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة, ط.القاهرة 1939م, ص18.

[460]. ابن جبير, المصدر السابق, ص276.

[461]. نفس المصدر والصفحة.

[462] . نفس المصدر والصفحة.

التنصيرية التي أراد للصليبيين تنفيذها في منطقة الشرق الأدنى من اجل توسيع رقعة عالم المسيحية على حساب الإسلام والمسلمين.

أما مدينة صور فان ابن جبير يقدم لنا اكبر وصف وصل ألينا من ذلك العصر عن حصانة تلك المدينة الواقعة على الساحل اللبناني, وتناول تلك المناعة من جهة البر وكذلك من ناحية البحر, وتعرض للسلسلة الكبيرة التي تعوق دخول السفن الغير مرغوب فيها و" لا مجال للمراكب إلا عند إزالتها", كما تناول الحراس الذين يراقبون الدخول والخروج إلى ومن المدينة[463].

زد على ذلك انه لا يورد مدن الساحل الشامي فقط, بل انه يعقد المقارنة بينها على نحو عمق رؤيته لها, ومن أمثلة ذلك انه عقد مقارنة بين صور وعكا, ويبدو إن المدينة الأولى قد كانت في إشعاره بالاغتراب, فامتدحها إذا ما قورنت بعكا, إذا أشار إلى أنها أنظف من الأخيرة, ووجه أهلها الين في طباعهم, ويميلون إلى الغرباء أكثر من أهل عكا, أما أوضاع المسلمين فيها فهي اقل سواء منها[464].

وتجدر الإشارة إلى أن عقد المقارنة بين المدن الشامية في ذلك العصر, لا نجده لدى الرحالة المسلمين بمثل تلك الصورة التي نجدها لدى ابن جبير, والصفة الغالبة أنهم كانوا يوردون إشارات عن كل مدينة دون عقد مثل تلك المقارنات, ومن ثم تظهر لنا أهمية ذلك الرحالة الأندلسي.

ومن الملاحظ إن ابن جبير لا يشير في رحلته إلى كل المدن الساحلية التي كانت في قبضة الصليبيين, ولذا فمن الممكن أن نرى إن وصفه لعكا وصور يمكن أن يكون نموذجا لتعبيره عن تلك المدن ذات الموقع الاستراتيجي الهام , والذي مثل

---

463 . نفس المصدر, ص227-278.

464. نفس المصدر, ص278.

نقطة الاتصال بين الغزاة الصليبيين ووطنهم الأم في أوربا التي تقدم لهم الدعم المادي والمعنوي اللازم لاستمرار المشروع الصليبي.

من جهة أخرى, تكشف رحلة ابن جبير إلى بلاده الشام عن وجود ما يمكن وصفه "برؤية اقتصادية" لذلك الرحالة الأندلسي, وفي هذا المجال أشار إشارات هامة لم تأت بصورة عرضية, وإنما جاءت مقصودة وثرية ومفصلة, على نحو عكس تلك الرؤية وعمقها.

وفي هذا المجال ذكر العديد مظاهر النشاط الاقتصادي في عدد من المدن الشامية خاصة تلك الواقعة تحت السيادة الإسلامية.

وعلى سبيل المثال,أشار إلى بعض الصناعات في مدينة دمشق, منها صناعة الثياب, وكذلك الصناعات النحاسية. وذكر موقعها بطول جدار الجامع الأمور القبلي[465], بيد إن إشارته للنشاط التجاري تعد أثرى واكبر, من ذلك انه تناول الأسواق في العديد من تلك المدن, ومن أمثلة ذلك تعرضه لأسواق تلك المدينة وذكر أنها من احفل أسواق بلاد الشام وأحسنها انتظاما[466], أما حلب فهي عنده أسواقها واسعة وكبيرة, منتظمة ومستطيلة, وهي مسقوفة بالخشب, بها جميع الصناعات المدنية[467], أما حماة فقد تعرض لأسواقها وأشار إلى أن سوق المدينة العليا فيها أفضل وأجمل من المدينة السفلى وهي تشمل كافة الصناعات وأنواع السلع التجارية. وتمتاز بأنها منظمة ومرتبة ومقسمة[468]. وعند بزاغه, نجده يقرر أنها ذات سوق

---

465 . نفس المصدر, ص238.

466 . نفس المصدر, ص261.

467 . نفس المصدر, ص226-227.

468 ابن جبير,المصدر السابق, ص231.

تجتمع فيه المرافعة الشعرية, وكذلك أنواع التجارة الموجودة في المناطق الحضرية[469].

وفي رؤيته الاقتصادية لتلك الأسواق التجارية نجده يفرق بين المزدهر منها والكاسد فإذا كان قد امتدح أسواق المدن السابقة, ووصفها بصفة عامة على أنها مزدهرة, إلا انه بالنسبة لأسواق حمص أوضح أنها تعاني من الكساد وذكر أنها بلا رونق[470], ويلاحظ إن ابن جبير لم يترك الأمور هكذا دون إن يشرح السبب, ويقدم التفسير الحقيقي لذلك الأمر, فأوضح إن وجود احد المعاقل الصليبية الكبرى ونعني به حصن الأكراد crac des chevaliers [471], على بعد عشرة أمتار من المدينة, وهجوم العناصر الصليبية فيه على تلك المدينة, كل ذلك جعلها مدينة حدودية ثغرية تعاني من الكساد التجاري.[472]

إن وضع أسواق حمص بالصورة التي أوردها ذلك الرحالة وبنفس التعليل الهام الذي قدمه, يكشف لنا عن حقيقة هامة, وهي إن مناطق الاحتكاك الحربي بين المسلمين والصليبيين, عانت من عدم الانتعاش التجاري نظرا لاستمرارية لغة الحرب, والصدام بين الجانبين على نحو هدد التجارة.

ومن جهة أخرى, وجدنا إن ابن جبير يشير إلى ما يمكن وصفه بالمؤسسات التجارية, من ذلك تناول للخانات والقياسر, وعلى ذلك نجد إن أشار إلى إن حلب, بها ربض كبير, فيه ما لا يحصى من الخانات[473], ويلاحظ إن تلك الأخيرة, كانت

---

469 نفسه, نفس المصدر ,ص224.

470 نفسه, نفس المصدر ,ص232.

471 نفسه, نفس المصدر والصفحة.

472 . فيصل بحاش، التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب، والاسلام، جامعة دمشق، 2006–2007، ص56.

473 ابن جبير, المصدر السابق,ص228.

بمثابة نول للمسافرين وان تطورات وظيفتها بحيث صارت بمثابة مكان لقضاء الأعمال التجارية [474].

ولم يكتف ذلك الرحالة بتتبع أمر الخانات في دمشق, بل انه تناول كذلك في حمص, إذ ذكر إن هناك خان السلطان, الذي أقامه السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي, وقد وصفه بأنه في غاية الحسن, وله باب حديد, ومزود بالماء الجاري, وفي وسطه سقاية تشبه الصهريج [475].

كذلك تعرض لإحدى المنشات التجارية الأخرى الهامة وهي القياس. وقد ورد أمرها في دمشق, ومن المعروف إن القيساريات كانت بمثابة عمائر تجارية مسقوفة كانت في الغالب ذات دكاكين تختص بسلعة تجارية معينة وعدة أنواع من البضائع وكانت أبوابها تغلق ليلا, ويتم تعيين الحراس [476] لها من اجل مواجهة عمليات السطو المحتملة.

---

474 كامل العسلي, من أثارنا في بيت المقدس, ص39.

ويلاحظ إن الخان مبنى كبير اشتمل على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة, ومخازن للبضائع, ويتوسطه فنار كبير على شكل رواق مغطى من اجل أن يحفظ التجار سلعهم, ويجدوا مأوى لهم, ولدوابهم خلال ارتحالهم, وقد عنيت الخانات بشكل خاص بعمليات التخزين ولم توجد في المدن فقط, بل أيضا على امتداد الطرق التجارية في بلاد الشام, والجزيرة, وقد وجدت من الخانات أنواع كبيرة الحجم, وأنواع أخرى صغيرة, وفق قدراتها على تخزين البضائع, ومن الخانات الشامية الشهيرة وقت زيارة ابن جبير خان أبي الشكر, وخان تمني, وخان حماة, عن الخانات انظر:

ابن جبير, المصدر السابق, ص228, نعيم زكي , طرق التجارة الدولية أواخر العصور الوسطى, ط.القاهرة 1970م, ص293, اشتور, التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى, ص305, فتحي عثمان , الحدود الإسلامية / البيزنطينية بين الاحتكاك الحربي والتأثير الحضاري ,حـ3, ط.القاهرة 1966م, ص234, عبد القدوس الأنصاري, مع ابن جبير في رحلته ص 113.

475. ابن جبير, المصدر السابق, ص273.

476. كامل العسلي, المرجع السابق, ص39, حاشية (2).

والجدير بالذكر , إن القيسارية عبارة عن بناء كبير تتوزع فيه الحوانيت على الجانبين. ولذا فهي تتخذ شكل السوق, وكلمة فيسارية هي تعريب للكلمة اللاتينية caesares, حيث إن الرومان استعملوها كمستودع لبضائعهم, واحتوى على كافة السلع مثل الطراز , والفرش, والفراء, والمجوهرات, وتم إغلاقها ليلا وفرضت عليها

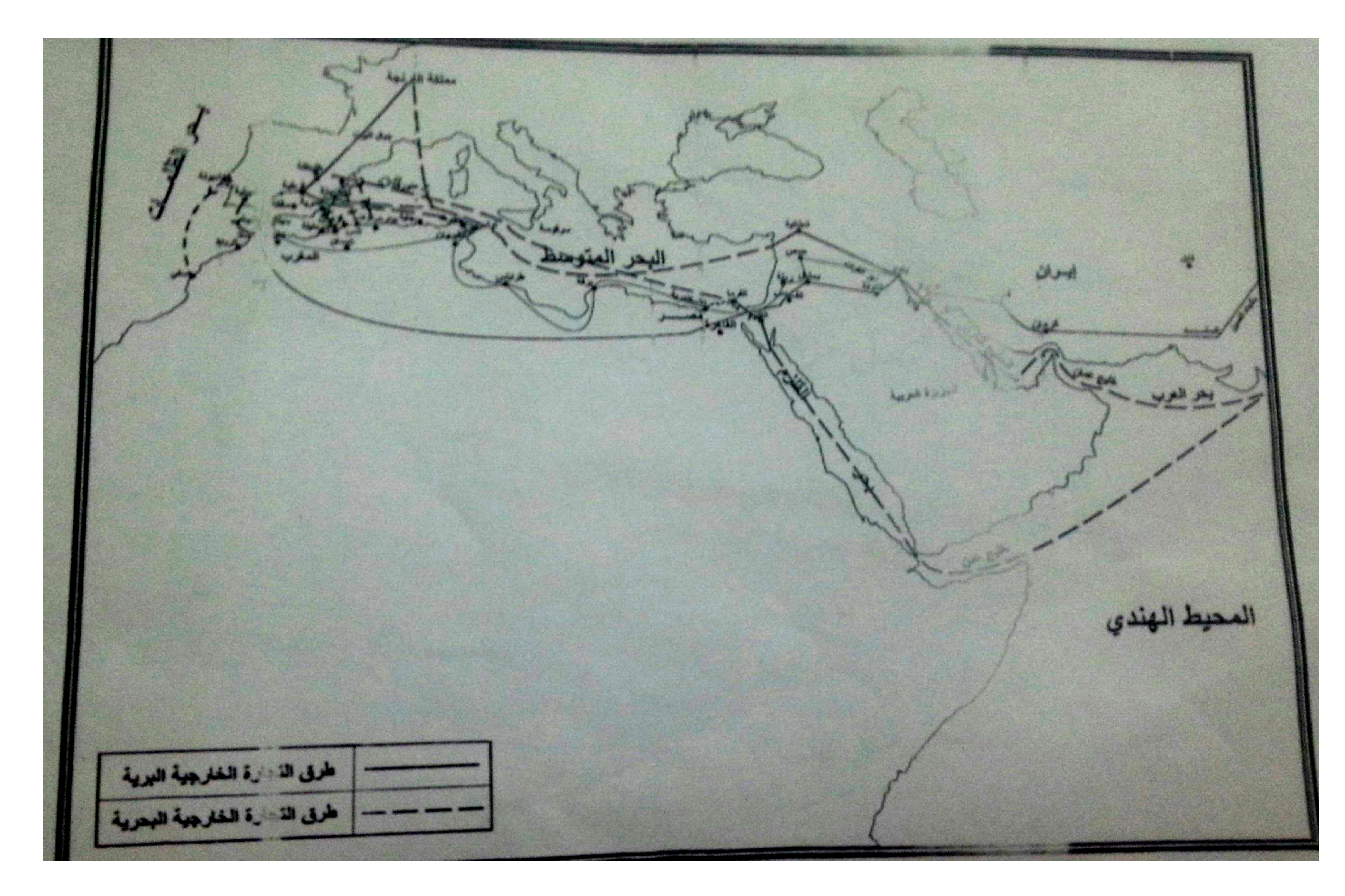
وفي هذا الصدد أشار إلى قياسر دمشق, وذكر أنها مرتفعة مثبتة بأبواب حديدية الصنع, ومن إعجابه بها وصفها بان أبوابها "كأبواب القصور" [477].

الحراسة من اجل مواجهة هجمات اللصوص, ومن القياسر البارزة في بلاد الشام وقت زيارة ابن جبير لها, قياسر الجعفري, ودرب اللبان, والفراء, والفرش, والسلطان والوزير. عن القياس انظر:

ابن جبير, المصدر السابق, ص227, ابن مماتي, قوانين الدواوين, تحقيق عزيز سوريال عطية, ط.القاهرة 1948م, ص457, ابن عساكر, المصدر السابق, م(2), ص70, ص141, ص157,159, اليسيف, الحياة الاقتصادية في دمشق في عهد نور الدين محمود, ضمن الكتاب التذكاري عن ابن عساكر, ط.دمشق 1979م, ص305, نوال محمد عبد الله, العمران في المشرق العربي في القرن السادس, قراءة في رحلة ابن جبير, المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المجلد الثالث, ط.الرياض 1984م, ص378, ماجد, ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر, ط. القاهرة 1968م, ص301, شاكر أبو بدر, الحروب الصليبية والأسرة الزنكية, ص200.

[477]. ابن جبير , المصدر السابق, ص261.

خريطه (1) توضح الطرق التجارية الخارجية لبلاد الاندلس، وبلاد الشام



المصدر: أمنه حميد حمزة، الاندلس في كتب الجغرافيين والرحالة المشارقة من القرن 3ه الى القرن 8ه الى مجلس كلية الاداب جامعة بغداد، من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ 2013، ص472

نخلص مما سبق إن ابن جبير تناول مصطلحين من المصطلحات الاقتصادية التجارية الهامة تختص بالتسويق والتخزين, وكذلك الكساد التجاري. بل وأكثر من ذلك انه تناول أمر الاحتكار التجاري.

وفي المجال الآخر, انفرد ابن جبير بإشارة هامة للغاية, تعكس طبيعة ذلك العصر, الذي شهد ما يمكن وصفه بالثورة التجارية, إذ إن الحروب الصليبية أدت إلى إثراء الصلات التجارية بين الشرق والغرب بصورة لم تكن موجودة بمثل ذلك الشكل من قبل,وكنتيجة طبيعية لذلك الوضع أخذت المصادر تشير إلى ضخامة حجم النقدي, في مثل تلك العملات التجارية, وظهرت بصورة واضحة رؤوس الأموال الضخمة, وخاصة في التعامل التجاري الدولي.

وهكذا, وجدنا ذلك الرحالة يشير إلى ظاهرة الاحتكار التجاري وتركزه في عدد قليل للغاية من التجار الرأسماليين الكبار, ومن أمثلة ذلك ذكره لأمر تاجرين هما نصر بن قوام وأبي الدر ياقوت مولي العطافي[478], وهما عنده على درجة كبيرة من الثراء, والدليل على ظاهرة الاحتكار تلك انه ذكر صراحة "تجارتهما كلها بهذا الساحل الإفرنجي, ولا ذكر فيه لسواهما", كما إن القوافل التجارية صادرة وواردة تحمل البضائع لحسابهما.

ومن الطبيعي أن توجد عوامل تساعد على نمو ذلك الوضع, وهي تتمثل في الثراء العريض وتوافر رأس المال الضخم للمشاركة به في العمليات التجارية الواسعة النطاق, والتي توصف بأنها تجارة دولية, وبالإضافة إلى حماية سياسية عالية المستوى من اجل استمرار ذلك الوضع, وهذا ما اعترف به ابن جبير نفسه, إذ قرر

---

[478] نفسه, نفس المصدر, ص280. وعن الاحتكار التجاري في العصر الأيوبي انظر:
أنيس مقدسي, الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير, مجلة الأبحاث, الجامعة الأمريكية ببيروت, السنة (18), م(3) , حـ (2), سبتمبر 1965م, ص327.

أيضا أمرين, أولهما, إن التاجرين المذكورين من "مياسر التجار وكبرائهم , وأغنيائهم المنغمسين في الثراء" [479], أما ثانيهما فهو إن " قدرهما عند أمراء المسلمين والإفرنجيين خطير" [480].

---

[479] ابن جبير, المصدر السابق, ص280.

[480] . نفس المصدر والصفحة.

خريطة (2) توضح خريطة الأندلس في العصر الذهبي (عصر الخلافة) من كتاب مؤنس ، أطلس التاريخ الاسلامي

والجدير بالذكر, إن الدليل على قوة ذلك الدور الذي أقام به هذان التاجران, هو إن علاقاتهما ليست قوية بالسلطة الأيوبية القائمة فقط, بل إنها أيضا قوية بالقوى الصليبية, وهذا أمر منطقي تماما أن تكون صلاتهما ممتازة, بطرفي النشاط التجاري من اجل توفير الأجواء المناسبة لاستمرارية ذلك الدور. وبديهي إن ذلك الدعم السلطوي جاء من خلال مصالح قائمة بين السلطة, وأولئك التجار الذين أفادوا خزائن الدولة بأموال طائلة من عوائد المكوس المفروضة.

ولا نزاع في إن ذلك الرحالة الأندلسي قد قدم بذلك التناول جانبا هاما ما كانت تتمكن من إن توضحه مؤلفات الحوليات التي عنيت بالجوانب السياسية والحربية وندر أن نذكر الجوانب الاقتصادية التجارية وهي جوانب بالغة الحيوية في ذلك العصر.

كذلك ألقى ابن جبير الضوء على جانب هام من جوانب العلاقات السلمية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ونعنى به التداخل في المعاملات التجارية, إذ أشار إلى إن قوافل المسلمين تدخل مناطق الصليبيين وقوافل الصليبيين تدخل مناطق المسلمين [481].

ويلاحظ انه في تلك الناحية لم يستطع أن يقدم المبرر لذلك, على الرغم من استعار العداء بين الطرفين, أما التعليل الحقيقي لذلك, فهو إن كلا من الطرفين المتحاربين لم يكن يستطيع الاستغناء عن الآخر, إذ إن الصليبيين بعد أن تمكنوا من

---

[481] . نفس المصدر, ص260, زكي حسن, المرجع السابق, ص82-83, ألبير شاندور, صلاح الدين الأيوبي, البطل الأتقى في الإسلام , ت. سعيد أبو الحسن, ط. دمشق 1988م, ص62.

وعن إشارة المصادر التاريخية لعصر الحروب الصليبية وخاصة مؤلفات الرحالة الأوربيين للعلاقات التجارية بين الجانبين الإسلامي والصليبي انظر:

Fetellus,p.24, theoderich, p. 65, burchard of mont sion, p. 163, ludolph von suchem, p.5.

الاستيلاء على الساحل الشامي الممتد من السويدية أو سان سيمون st.simoon مينا إنطاكية إلى غزوة جنوبا, وبعد عام 1153م/548هـ, عاما حاسما في هذا المجال على اعتبار إن الصليبيين تمكنوا من إغلاق ذلك الساحل بالكامل في وجه المسلمين, وصارت القوى الإسلامية الشامية بمثابة برية حبيسة لا تستطيع تصريف منتجاتها التجارية إلا عن طريق الصليبيين أنفسهم, المسيطرين على الساحل. كما إن الأخيرين صاروا يقومون بدور الوسيط التجاري بين المسلمين والقوى التجارية والأوربية, ولا ريب في إن القوى الصليبية قد استفادت من ذلك الأمر وغنمت مغانم وفيرة من عوائد المكوس من جراء تجارة العبور.

ومن ضرورة بمكان ملاحظة إن المسلمين لم يتمكنوا من حل مشكلة سيطرة الصليبيين على الساحل إلا بعد أن تمكنوا من هزيمتهم في معركة حطين الفاصلة عام 583هـ/1187م, ثم اتجهوا إلى فتح الساحل وبسيطرتهم على أجزاء هامة فيه تم تغير ميزان القوى لصالحهم.

وهكذا, ألقت رواية ابن جير في ذلك الصدد الضوء الساطع على إن العداء اتخذ شكرا حربيا وسياسيا بين المسلمين والصليبيين, بيد انه لم يتخذ البعد الاقتصادي, ولم يستطع أي من الطرفين أن يقاطع الآخر تجاريا لان ذلك كان يعني الانتحار الذاتي له قبل القضاء على خصمه.

هكذا, ألقت رحلة ذلك الرحالة الأندلسي الأضواء على النشاط الاقتصادي, لا سيما التجاري في بلاد الشام ولم يكن تناوله قاصرا على القوى الإسلامية فقط, بل انه امتد ليشمل القوى الصليبية وعلاقتها بالمسلمين على المستوى التجاري. ولذا حق لأحد

الباحثين القول بأن "الحركة التجارية" قد أولاها ابن جبير أهمية كبيرة, ونفر في وصفها وتحليلها على نحو مميز" (482) .

من جهة أخرى, قدم ابن جبير تناولا هاما لأوضاع المغاربة في بلاد الشام خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ويلاحظ إن ذلك الرحالة الأندلسي حرص على إن يوضح أوضاع أولئك المغاربة الذين قدموا إلى بلاد الشام,وتركوا أوطانهم على الرغم من بعد الشقة.

وقد أوضح ابن جبير إنهم شاركوا في قضية الجهاد ضد الصليبيين مع أخوانهم في بلاد الشام, ووقع منهم عدد في اسر أعدائهم وقد حرص بعض أثرياء التجار المسلمين على أن يفكوا أسرهم (483) وكذلك كان موقف القيادة الإسلامية متمثلة في الملك العادل نور الدين محمود (484). ولا شك في إن اشتراكهم في المعارك ضد الصليبيين قد جر عليهم عدائهم , ولذا وجدنا إن الصليبيين, قد عملوا على فرض ضريبة زائدة على المغاربة على نحو خاص عقابا لهم على تلك المشاركة (485) في تلك القضية المقدسة.

ومن المؤكد إن دور المغاربة في مساعدة إخوانهم في المشرق ضمن الغزو الصليبي يدل على إن قضية الجهاد ضد ذلك الغزو, لم تكن قضية مشرقية فقط بل ومغربية أيضا (486).

---

[482]. احمد رابعة, إسهامات, بعض الرحالة في العرب في الدراسات الانثروبولوجية المبكرة, مجلة دراسات عمان, م(10), العدد (1), عام 1983م, ص44.

[483] ابن جبير, المصدر السابق, ص281.

[484] . نفس المصدر, ص280.

[485] . نفس المصدر, ص274.

[486]. من دور المغاربة في الجهاد في بلاد الشام انظر:

ونجد إن ابن جبير يتعرض لأوضاع المغاربة بصفة عامة في بلاد الشام, فيوضح عملهم في مجالات متعددة, والجرابات التي ترتبط بهم, ومن مظاهر عملهم في بلاد الشام أن يوجد احد المغاربة حارسا على بستان أو أمينا على طاحونة, أو محفظ القران الكريم للأطفال [487]. وبصفة عامة فان ذلك الرحالة يرغب المغاربة للقدوم إلى بلاد الشام لطلب العلم أو العمل, على اعتبار اتساع مجال الأرزاق هناك [488].

ومن جهة أخرى, نجد أن ذلك الرحالة يمتلك قدرا كبيرا من الموضوعية, ولا يتصف بالنظرة الأحادية, أو من زاوية واحدة, ولا أدل على ذلك من انه لا يكيل الثناء والمديح لعناصر المغاربة بصفة مستمرة, بل انه يذكر الايجابيات والسلبيات, وذلك على الرغم من انه قدم أصلا من المغرب الإسلامي, فمن ذلك انه أشار إلى إن احد المغاربة–من ضعف الإيمان– ارتد عن الإسلام, واتجه إلى اعتناق المسيحية, وقد ذكر انه من يونة من أعمال بجاية وبحث ذلك الرحالة عن تعليلي ذلك, فعرف انه كان أسيرا وتم افتدائه على يد أثرياء تجار المسلمين, ثم ذهب إلى

ابن جبير, المصدر السابق, ص278, عبد الهادي التازي, بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية, بحث ضمن أعمال المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام, ط.عمان 1974م, ص434, السيد عبد العزيز سالم, طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط.الإسكندرية 1967م, ص249, عبد القدوس الأنصاري, المرجع السابق, ص 237, احمد بدر, الأندلسيون والمغاربة في القدس, مجلة أوراق, المعهد الاسباني العربي, العدد(4), عام 1981م, ص133, احمد مختار ألعبادي, دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي, ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية, ط.الإسكندرية 1983م, ص, علي احمد, الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام, ص303–304.

[487] ابن جبير, المصدر السابق, ص250.

[488] . نفس المصدر, ص258.

عكا, في إحدى القوافل التجارية, وقد صاحب الصليبيين, وتخلق بأخلاقهم, ووصل به الأمر أن ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية [489].

فنجد رواية ابن جبير السابقة تاريخيا إنها وصل إلينا من عصر شغل فيه المؤرخون المعاصرون بتسجيل المعارك الحربية, والتصارعات السياسية , عن ذكر مثل تلك الحوادث, ومع ذلك فهناك عدة دلالات هامة ينبغي أن نلاحظها من خلال رواية ابن جبير السابقة[490] .

أولا:إن تلك الحادثة ذات طابع فردي بحت, وقد خلت رحلة ذلك الرحالة من إيه إشارة أخرى لتنصير , الفردي أو الجماعي على نحو يوضح إنها كانت أشبه شئ بالحادثة الاستثنائية المتفردة التي لم يورد ذلك الرحالة تكرارا لها .

ثانيا: من الضرورة بما كان ملاحظة إن الحادثة السابقة ليست استثناء عدديا فقط, بل إنها أيضا تمثل استثناء تاريخيا بالنسبة لدور المغاربة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية الذين حملوا لواء الجهاد, وشاركوا أخوانهم المشارقة في جهاد أعداء الإسلام من الصليبيين, وهذا واضح من خلال نصوص ابن جبير نفسه.

وتجدر الإشارة إلى أن أسامة بن منقذ من قبل قد أشار إلى حادثة تنصير خاصة بالشاب المسيحي الذي اعتنق الإسلام ثم ارتد من بعد ذلك [491], ومن الواضح أن

---

489 . نفس المصدر ,ص281.

490 . ابن جبير، محمد بن احمد الكناني الاندلسي، (ت614هـ) رحة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1980، ص13

491 انظر الفصل الخامس بأسامة بن منقذ، حسين محمد أحمد، اسامه بن منقذ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة، مط، دار الكتب المصرية 1946م،ن ص43.

الفارق الأساسي بين رواية ابن جبير وحادثة المغربي, ورواية أسامة بن منقذ والحادثة التي أوردها, إن المغربي كان مسلما وارتد إلى المسيحية, أما الشاب الذي أورد أمره أسامة بن منقذ, فكان مسيحيا في الأصل ثم تحول إلى الإسلام, وارتد من بعض ذلك, عنه إلى المسيحية, ويلاحظ إن أسامة بن منقذ أورد تلك الحادثة بصورة منفردة , مثلما كان الأمر لدى رحلة ابن جبير, على نحو يؤكد ما ذكرته من قبل بشأن كونها استثناءا فرديا.

من جهة أخرى, احتوت رحلة ابن جبير على تناول للخريطة المذهبية والعقائدية في بلاد الشام في ذلك العصر, ومن ذلك انه تناول المتصوفة, كذلك تعرض للإسماعيلية النزارية.

وفيما يتصل بالمتصوفة, أشار إلى مكانتهم العالية في ذلك العصر الذي ازدهرت فيه تلك الظاهرة, واحتضنها الأيوبيون, وعملوا على إرضائهم, وقد أشار إلى قيامهم بجلسات السماع, والى أماكنهم مثل الربط والخوانق, مع ملاحظة انه لا يفرق بين الاثنين بل يعتبرها شيئا واحدا [492].

أما فيما يتصل بالإسماعيلية النزارية, فنجد إن ابن جبير قد قدم لنا إشارات فريدة لا نجد لها مصدر آخر من مصادر الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية.

فمن الملاحظ, إن تناول أمر النبوية, ودورها في مواجهة العناصر الشيعية في بلاد الشام [493], ويلاحظ إن هناك من الباحثين من اعتقد أنها إحدى الفرق الصوفية

---

[492] ابن جبير, المصدر السابق, ص256.

[493] . نفس المصدر, ص252.

[494], غير إن هذا القول مردود على اعتبار إن صاحب ذلك الرأي خلط بين النبوية , والبيانية وهي الطريقة الصوفية الشامية, التي تنسب إلى نبأ بن بيان الزاهد [495].

كما إن احد الباحثين اعتقد إن النبوية تنظيم فروسي سني , ضد عناصر الشيعة في العراق[496], بينما نجد إن نص ابن جبير واضح أنها موجهة للعناصر الشيعية في بلاد الشام, كما تصور البعض إن فعالياتها كانت في القرن السابع الهجري [497] /الثالث عشر, بيد إن نفس المصدر الذي أورده ابن جبير يوضح بجلاء إن فعالياتهم كانت خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وليس القرن التالي له.

وقد قدم لنا ابن جبير تعريفا للنبوية لم أجد نظيرا له في مؤلفات الرحالة المسلمين المعاصرين, واللاحقين, على مدى مرحلة الحروب الصليبية في بلاد الشام, وكذلك في مؤلفات كتاب الحوليات المسلمين, وقد ذكر إنهم مسلطون ضد عناصر الرافضة, وهو تعبير يطلق أيضا ليعني عناصر الشيعة المتطرفين. وأشار إلى أنهم يأخذون بتقاليد الفروسية وإنهم يقتلون الروافض أينما وجدوا [498]. ولم يكتف ابن جبير بذلك بل انه عندما تحدث عن مدينة الباب الواقعة بالقرب من بزاغة في شمال شرق حلب

---

[494] حسين نصار, تحقيق لرحلة ابن جبير.

[495] عن أبي البيان الزاهد وطريقته البيانية انظر:

ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة,حـ5, ص324, المنهل الصافي, ص48, حاشية(3), ألنعيمي, الدارس في تاريخ المدارس, حـ1, ص192, ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب , حـ4, ص160.

[496] Lewis, the assassins, p. 114.

[497] Demombyne, Muslim, instiutions, English trams' meegnegor, London 1954,p.41.

[498] ابن جبير, المصدر السابق, ص252.

[499]. وعند وادي بطنان, ذكر أمر هجوم عناصر البنوية ضد الإسماعيلية هناك وحدد ذلك بأنه كان قبل ثماني أعوام من تاريخ رحلته [500], ولما كان ابن جبير قد قام بتلك الرحلة عام 578هـ/1183م فمعنى ذلك انه يتحدث عن وقائع جرت عام 570هـ/ 1175م.

وقد أوضح ذلك الرحالة انه تم وضع السيف فيهم, وتم إفنائهم عن أخرهم, وعندما مر بالمنطقة, وجد جماجم القتلى موجودة هناك [501].

ويلاحظ إن ابن العديم الحلبي [502] (ت660هـ/1261م) قد أشار إلى تلك الحادثة, وذكر إن عناصر النبوية قامت بمواجهة الإسماعيلية في الباب, وذكر إن حجم القتلى كان ضخما [503]. مع احتمال المبالغة بالطبع في مثل تلك المواقف.

وكان من جراء تلك المواجهة السنية/ الشيعية في شمال الشام, وفي أعقابها وجدنا نزوحا من العناصر الإسماعيلية القاطنة الباب, واتجاهها إلى مناطق أخرى مجاورة, بحيث حدث تغير ما ديموغرافي في المنطقة بحيث إننا لا نجد العناصر الإسماعيلية تستمر في الوجود في الباب, ولا أدل على ذلك من أن ابن جبير نص صراحة إن "سكانها اليوم قوم سنيون" [504]

---

499 عن بلدة الباب انظر :الفصل الخامس, الباب الأول, حاشية (24).

500 ابن جبير, المصدر السابق, ص224.

501 . نفس المصدر والصفحة.

502 عن ابن العديم, انظر الفصل الرابع, الباب الأول, حاشية (26).

503 ابن العديم, زبده الحلب من تاريخ حلب, حـ3, تحقيق سامي الدهان, ط.دمشق 1968م, ص32.

504 ابن جبير, المصدر السابق, ص225.

وفي هذا تأكيد واضح على دور وفعاليات النبوية التي لا يمكن أن نتفهمها إلا من خلال صحوة الفتوة التي أظهرها الخليفة العباسي الناصر لدين الله (ت622هـ/1226م) [505].

وهكذا, قدم لنا ابن جبير نصا فريدا في تعريف النبوية وفي فعالياتهم في الباب, كما انه أفاد في توضيح خريطة توزيعات السكان في ذلك العصر من خلال بعد عقائدي, ويعد هذا القسم من أهم ما أورده في رحلته عن بلاد الشام وأكثرها أصالة.

وبالإضافة إلى ذلك نجد إن ذلك الرحالة أشار إلى إن تحصن الإسماعيلية في بلاد بعدد من المعاقل وقد وصفها بأنها "حصون للملاحة الإسماعيلية", ومن جهة أخرى, نجده يتناول القيادة الإسماعيلية في ذلك الحين والتي تعرف إنها تمثلت في راشد

---

505 فيما يتصل بجهود الخليفة الناصر لدين الله في إحياء تقاليد الفتوة, نعرف انه اتجه إلى أحداث نهضة في هذا المجال, وقد سعى إلى بعث أخلاقياتها وآدابها التي وجدت لدى العرب منذ العصر الجاهلي. ووجدت هناك آداب متعددة للفتيان منها ليس السراويل, والأحزمة , وشرب الماء, والملح, وغيرها من المراسيم, ولدينا بعض المصادر المتخصصة في الكتابة عن الفتوة وآدابها وتعود إلى عهد ذلك الخليفة, ومن أمثلتها ما ألفه ابن البقال البغدادي (ت 588هـ/1192م) وكذلك عمار الحنبلي (ت642هـ/1244م), ويبدو أن العديد من فرق الفتيان قد ظهرت في ذلك العصر, مثل الرهاصبة وهي المنسوبة إلى عمر الإرهاص, والخليلية, وهي المنسوبة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام وغيرها كثير.

عن ظاهرة الفتوة وجذورها التاريخية في الجاهلية والإسلام ودور الخليفة الناصر لدين الله في بحث آدابها انظر: ابن طباطبا, الفخري في الآداب السلطانية,ط.القاهرة 1315هـ, ص278, ابن الأثير, الكامل جـ12, ص449, ابن البغال, المقترح في المصطلح في تعليم رمي البندق والصيد, ألفه للخليفة الناصر لدين الله, مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 3506 ج, ابن عمار الحنبلي, كتاب الفتوة, تحقيق مصطفى جواد, وآخرون, ط.بغداد 1958م, ألصفدي, نكت الهميان من نكتب العميان, ط.القاهرة 1911م, ص93, عمر الدسوقي, الفتوة عند العرب,ط.القاهرة ب–ت, ص232, محمد صالح محيي الدين, الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق في عهد الناصر لدين الله العباسي, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة القاهرة, عام 1974م, ص67, محمد الحاج فلفل, علاقة الأيوبيين في مصر والشام بالخلافة العباسية في بغداد, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب , جامعة القاهرة عام 1977م, ص107, احمد أمين , الصعلكة والفتوة في الإسلام, ط.القاهرة 1953م, ص31, جيرارد زلنجر, الفتوة هل هي الفروسية الشرقية ؟, ضمن كتاب دراسات إسلامية ت.مجموعة من الباحثين بإشراف نقولا زيادة, ط.القاهرة 1960م, ص, كامل شيبي , همنكي ميان تصوف وتشيع, ط. تهران 1354هـ, ص278–288.

الدين سنان بن سلمان الذي تولى القيادة الإسماعيلية هناك لأمد طويل بلغ ثلاثين[506] عاما (559-589هـ/ 1163-1193م)

وقد أشار ابن جبير إلى إن طائفة الإسماعيلية الهت راشدا هذا, وقد وصفه بأنه "شيطان من الأنس" [507] .

وتجدر الإضافة إلى إن ابن جبير قد ذكر إن سيطرة راشد الدين سنان على أتباعه بصورة متعاظمة, ولا أدل على ذلك من ذكره انه إذا أمر احدهم بأن يتردى من شاهقة جبل فانه يستجيب لذلك من اجل إرضائه [508].

وقد تبدو رواية ذلك الرحالة في هذا الصدد غريبة بيد إننا نملك رواية أخرى من احد المصادر التاريخية الصليبية تشير إلى أن الأمير الصليبي هنري دي شامي قد زار راشدا في معقله, فأراد الأخير , إن يظهر له سيطرته على أتباعه فأمر اثنين منهم

---

506. راشد الدين, هو راشد الدين سنان بن سلمان محمد أبو الحسن البصري, مقدم الإسماعيلية النزارية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية , وهو في الأصل من مدينة البصرة من قرية فيها تسمى عقر السدن, وبدأ حياته بتعليم الصبيان, وقدم مقدموا الإسماعيلية في الموت بجنوب بحر قزوين بفارس, وسيطر على أتباعه سيطرة كاملة, ووصف بأنه كان بعيد الهيبة عظيم المخاريق,وله قدرة كبيرة على مخادعة القلوب, وتصفه المصادر التاريخية السنية انه أباح لإتباعه الحرمات, وقد توفى راشد الدين سنان في عام 589هـ/1193م, ويلاحظ إن أتباعه بعد موته اعتقدوا في غيبته ورجعته من بعد, وهناك من يقرر إن في حصن الكهف , يوجد الغار الذي اختفى فيه راشد الدين سنان, ويقال انه مدفون فيه ويزعمون انه غاب فيه ويظهر منه, كما يزعم أتباعه, وذلك وفق ما أورده شيخ الربوة الدمشقي. عن راشد الدين سنان انظر:
ابن العديم, سيرة راشد الدين سنان, تحقيق برنارد لويس, R.E.A, T.VII, 1966 ص260-261, ثلاثة تراجم من بغية الطلب , تحقيق برناردلويس Mélanges Fuad Koprulu , ص338-339, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, حـ6, ص117, شيخ الربوة الدمشقي, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, ص208, الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة, ط.الرياض 1989م,ص206.

507 ابن جبير, المصدر السابق, ص229.

508 . نفس المصدر والصفحة, ابن العديم, ترجمة راشد الدين سنان, في ثلاثة تراجم من بغية الطلب, ص333.

بان يلقوا بأنفسهم من فوق قمة جبلية, وقد نفذا ذلك الأمر [509], من فورهما ودونما معارضة.

وهكذا تأكدت رواية ابن جبير من خلال ورود رواية أخرى متطابقة في المصادر التاريخية الصليبية. ومثل تلك الرواية تعكس سيطرة شيخ الجبل على أتباعه وان طاعتهم له كانت طاعة مطلقة, ويبدو إن تلك الطاعة قد أثارت عليه حق القاعدة الأم للدعوة الإسماعيلية في إيران ونعني بها الموت, فأرسلت إلى راشد الدين سنان من يقضي عليه, بيد إن تلك المحاولة باءت بالفشل[510], وهكذا ألقت رحلة ابن جبير الضوء على تلك القيادة الإسماعيلية الشامية.

زد على ذلك, إن رحلة ابن جبير عنيت عناية خاصة يتتبع ظاهرة تعليمية هامة عاشتها بلاد الشام في ذلك العصر, ألا وهي ظاهرة المدارس, وتجدر الإشارة إلى أن ذلك العصر عرف على انه عصر المدارس, التي انتشرت في كافة أنحاء بلاد الشام كجزء من انتشارها في العديد من أقاليم الشرق الأدنى كجزء من حركة تعليمية ثقافية ناهضة, وكتعبير عن حركة الاجتهاد السني التي كانت من خلال تلك المؤسسات التعليمية.

وفي هذا المجال نجد إن المدارس, والجوامع, والكتاتيب تقوم بدورها الهام في المجال التعليمي والتثقيفي, من اجل تخريج كوادر مدربة يمكنها التصدي للمد الشيعي الاسماعيلي, وحتى يتمكن المسلمون من التمسك بدينهم أكثر من ذي قبل في عصر شهد الصراع بين عالمي الإسلام, والمسيحية.

---

[509] Eracles, Eracle Empereur et La Conquete de la Terre d quttremere, R.H.C,Hist. Occ, T. I, Paris 1869,p.210.

[510]. برنارد لويس, الدعوة الإسماعيلية الجديدة, ص.

وهكذا وجدنا ذلك الرحالة الأندلسي, يوضح أن مدينة دمشق عشرين مدرسة [(511)], وفي هذا تعبير واضح عن تفوق ظاهرة المدارس في حاضرة الشام الكبرى,ونعني بها دمشق, وقد لقيت المدرسة النورية التي أقامها الملك العادل نور الدين محمود إعجاب ذلك الرحالة[(512)], وقد وصفها بعبارات تعكس ذلك الإعجاب, من ذلك قوله بأنها "من أحسن مدارس الدنيا" كذلك وصفها بأنها "قصر من القصور الأنيقة" [(513)].

ومن الملاحظ أن عرض ذلك الرحالة لإعداد المدارس, نجده يتناقض بالتدريج بالنسبة للمدن الأخرى في بلاد الشام. إذا ما قارناها بدمشق, من ذلك انه عدد في حلب حاضرة الشام الشمالية نحو خمس أو ست مدارس [(514)], أما حماة ففيها ثلاث مدارس [(515)], وفي حمص يتناقص العدد ليصل إلى مدرسة واحدة [(516)], على نحو عكس دلالات هامة عن ذلك العصر.

والواقع إن ذلك التناقص في إعداد المدارس بالمقارنة بما في مدينة دمشق, يرجع في المقام الأول إلى مظاهر النمو الحضاري, والكثافة السكانية, إذ إن دمشق –التي وجد فيها العدد الأكبر من المدارس– زاد عمرانها وازداد عدد سكانها بشكل واضح, وذلك يمكن ملاحظته من خلال أوصاف نفس الحالة إذ أشار إلى أن المرافق بها "أكثر

---

[511]. ابن جبير, المصدر السابق, ص25. وفي هذا المجال انظر:

ممدوح الروبي, المدارس الدمشقية القديمة, المنهل, العدد (561), م(60), المحرم 1415هـ/ يونيو 1994م, ص12–17.

[512]. ابن جبير, المصدر السابق, ص256.

[513]. نفسه, نفس المصدر والصفحة.

[514] . نفس المصدر, ص228.

[515] .نفس المصدر,231.

[516] . نفس المصدر, ص232.

من أن توصف" [517], كما إن عدد في تلك المدنية مائة حمام [518], وفي ارباضها ونواصيها أربعين دارا, من اجل الوضوء [519]. كما انه أشار إلى إن أبنية المدينة تصل إلى ثلاثة طوابق[520], إما من الناحية السكانية فقد ذكر نفس الرحالة انه "أكثر بلاد الدنيا خلقا" [521], وفي هذا دليل واضح على النمو الحضاري والعمراني لدمشق, والكثافة السكانية المتزايدة بها.

ولا مراء في إن مدينة ذلك هو طابعها, من الطبيعي إن نجدها تستأثر بأكبر عدد من المدارس, إذا ما قورنت بالمدن الأخرى الأصغر في بلاد الشام.

وقد حرص ذلك الرحالة على أن يوضح مظاهر الحركة التعليمية في الجوامع, من ذلك تناوله لتعليم الصبيان في الجامع الأموي بدمشق, وكيف إنهم يدربون على تحفيظ القران الكريم, وان هناك الإقبال من جانب الصبيان من اجل تعلم كتاب الله تبارك وتعالى. وقد ذكر إن المعلم لا يعمل بشي سوى تلقين الصبيان متفرغ للتعلم فقط [522].

والى جانب ذلك الجانب, نجد ذلك الرحالة قد حرص على إيراد ناحية هامة, ونعني بها النهضة الطبية التي وجدت في بلاد الشام في ذلك الصر, وتمثلت تلك النهضة بصفة عامة في إقامة البيمارستانات في العديد من المدن الشامية وكذلك في الرعاية الطبية الكبيرة التي لقيها المرضى, وفي هذا الشأن , نجد إن ابن جبير قد أشار إلى

---

517 . نفس المصدر , ص264.

518 . نفس المصدر , ص261.

519 . نفس المصدر والصفحة.

520 . نفس المصدر ,ص255.

521 . نفس المصدر و الصفحة.

522 . نفس المصدر , ص245.

وجود بمارستانين للمرضى في دمشق[523], وان هناك بيمارستان قديم وكذلك بيمارستان حديث, وقد قرر أن الحديث اكبر وأكثر فخامة, وذكر أيضا أن هناك نظاما محددا في استقبال المرضى , وتسجيلهم في سجلات , وتم تدوين ما يحتاجه المرضى من الأدوية والأغذية. ويقوم الأطباء المعالجون بالذهاب إلى البيمارستان في ساعة مبكرة من الصباح, ويقومون بتفقد المرضى, ويقررون لهم الأغذية والأدوية الخاصة بكل حالة مرضية[524]. على نحو عكس مدى درجة التحضر العالية التي بلغها المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في ذلك العصر.

أما إذا ما اتجهنا إلى حاضرة شمال الشام وهي حلب, فنجد إن بها مارستانا واحدا كما يقرر ذلك الرحالة[525]. وفي حماة لاحظ وجود مارستان على شاطئ نهر العاصي[526] إما حمص, فعندما سال احد الشيوخ عن وجود مارستان بها, أنكر عليه سؤاله, وأجاب بأن "حمص كلها مارستان"[527].

---

523 . نفس المصدر, ص225. وعن البيمارستان ألنوري الذي أقامه نور الدين محمود في دمشق انظر:
ابن عساكر, ترجمه محمود بن زنكي, تحقيق اليسيف, B.E.O, T.XXV,Annee 1972 , ص138, ابن الأثير, الباهر, ص170, ألنعيمي, دور القران في دمشق, ص51, ابن قاضي شبهة, الكواكب الدرية, ص35, القرماني, أخبار الدول وأثار الأول, ط.بيروت ب–ت, ص279, صلاح الدين المنجد, بيمارستان نور الدين, ط.دمشق 1946م, احمد عيسى, البيمارستانات في الإسلام, ط.دمشق 1939م, ص297م, احمد عيسى, البيمارستانات في الإسلام, ط.دمشق 1939م, ص297, اسعد طلس , الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب, ط.دمشق 1956م, ص65–66.

524. ابن جبير, المصدر السابق, ص255.
والجدير بالذكر هنا إن البعض يرى إن البيمارستان ألنوري الذي أقامة نور الدين محمود في دمشق يعد أول جامعة بالمصطلح الحديث تعني بتدريس العلوم الطبية, حيث كانت تحوي مختبرات وأدوات طبية وغرف للجراحة والتوليد وكذلك قاعات مخصصة للدراسة, عن ذلك انظر:
ممدوح الزوبي, المرجع السابق, ص16.

525. ابن جبير, المصدر السابق, ص228. وعن بيمارستان نور الدين محمود في حلب انظر:
أدولف بوخه, تطور الطب في حلب عبر العصور, عاديات حلب, الكتاب الأول حلب, 1975, ص127.

526. ابن جبير , المصدر السابق, ص231.

527. نفس المصدر, ص232.

وتجدر الإشارة إلى إن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية وعلى مدى القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي قد شهدت ظهور العديد من الأطباء البارعين في العديد من المجالات والعلوم الطبية ولا أدل على ذلك من التراجم الضافية التي أوردها ابن أبي اصبيعة [528] (ت668هـ/1280م) في

---

[528]. ابن أبي اصبيعة, هو موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة الخزرجى, ولد في دمشق حوالي عام 600هـ/1204م,وتلقى علومه هناك حيث درس العديد من العلوم الدينية والطبية, وبرع في الأخيرة على نحو خاص, وتتلمذ على أيدي عدد من كبار الأطباء في عصره مثل الدخوار (ت 628هـ/1230م), وابن البيطار (ت646هـ/1288م), وكذلك تتلمذ على يدي والده الذي كان هو الأخر طبيبا, وزامل ابن النفيس (ت687هـ/1288م), في دراسته الطبية, ويبدو انه لم يحقق شهرة كبيرة في مسقط رأسه بدمشق خاصة انه عرف بطب العيون فقط, وربما كان ذلك من العوامل الدافعة له لكي يغادروا الشام إلى مصر, حيث كانت الروابط العلمية مزدهرة ووثيقة الصلة بين القطرين, فارتحل إليها عام 643هـ/1248م, وذلك في عهد الملك الكامل الأيوبي, وقد عمل في البيمارستان الصلاصي, ويبدو انه اكتسب خبرة عملية من خلال ذلك على نحو أفاده في مارسته الطبية, وبعد مضي عام عاد أدراجه إلى الشام, ويبدو إن أقامته في مصر مدة عام واحد لا تخلو من دلالات فربما أراد العودة إلى بلاده بعد إن كون خبرة مناسبة في القاهرة, إضافة إلى خبرته السابقة في دمشق, ومن المحتمل انه استفاد من أقامته في مصر من اجل الحصول على المادة التاريخية اللازمة لكتابة القسم الخاص بأطباء مصر ضمن عملة الفذ عن طبقات الأطباء, وربما لم يحقق هناك ما كان يصبو إليه من شهرة عريضة في مصر, ومن بعد ذلك نراه يتجه إلى صرخد بحوران, حيث امضي بها معظم ما بقى من حياته, وأدركته منيته هناك في عام 668هـ/1270م عن عمر يبلغ السبعين عاما تقريبا, ويلاحظ إن عمل ابن أبي اصبيعة الهام والذي حقق له شهرته العريضة هو عيون الأنباء في طبقات الأطباء, وقد ترجم فيه لما يزيد على الأربعمائة طبيب من المسلمين وغير المسلمين, ونجد إن غالبية الذين ترجم لهم من الأطباء المسلمين كانوا من عصر الحروب الصليبية. عن ابن أبي اصبيعة انظر:

ابن كثير, البداية والنهاية, حـ13, ط.بيروت 1980م, ص257, ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة,حـ7, ص229, ألصفدي, الوافي بالوفيات,حـ7, باعتناء إحسان عباس, ط.فسباون 1982م, ص295, ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب ,حـ5, ص327, كردعلي, خطط الشام,حـ4, ط.بيروت 1983م, ص38, احمد عيسى, معجم الأطباء من سنة 650هـ إلى يومنا هذا, ط.القاهرة 1942م, ص114, شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون, حـ2, ط.بيروت 1980م, ص268, , فرات خطاب , الكحالة عند العرب, ط. بغداد 1975م, ص38-39, علي عبد الله الدفاع, أعلام العرب والمسلمين في الطب, ط.بيروت 1983م, ص307, حاشية (5), صالح العلي, العلوم عند العرب, دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الإسلام, ط.بيروت 1989م, ص67, محمود الحاج قاسم, الطب عند العرب, والمسلمين, تاريخ ومساهمات, ط.مكة المكرمة 1987م, ص86, دائرة المعارف الإسلامية, مادة "ابن أبي اصبيعة", حـ1, ت.خورشيد وآخرون , ط. القاهرة 1933م, ص69, عمر رضا كحالة,

كتابه البارز عيون الإنباء في طبقات الأطباء, حيث ضمن كتابه عددا وافرا من الأطباء الشاميين الذين برعوا في ذلك العصر. ولا نزاع في إن احتدام الصراع الإسلامي/ الصليبي وسقوط الجرحى والقتلى قد عمق ضرورة العناية بالطب وأمور المعالجة , كما إن ذلك الصراع جعل فكرة العناية بالقوة البشرية الإسلامية أمرا ملحا على أساس إن تلك القوة كانت احد مظاهر العمق الدفاعي الإستراتيجي الإسلامي في المواجهة الإسلامية / الصليبية من خلال الكثافة السكانية التي تميز بها على خصمه الصليبي .وبالإضافة إلى كافة تلك العناصر السابقة . نجد إن ابن جبير قد أورد في رحلته عدد من المزارات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام . في عصر اشتهر بظاهرة التبرك بالقبور والاضرحه .

ولذا نجده يذكر إن بغرب دمشق جبانه كبيره خاصة بقبور الشهداء وفيها عدد وافر من قبور الصحابة التابعين , , ومن القبور المشهورة هناك قبر أبي الدرداء وأم الدرداء ثم قبر فضالة بن عبيد وسهل بن النظامية وهما من الذين قاموا بمبايعة الرسول (ص) تحت الشجرة [529] . وكذلك قبر خال معاوية بن أبي سفيان , أما في حمص فنجد انه أشار إلى قبر خالد بن الوليد وكذلك قبر ابنه عبد الرحمن على قبر عبيد الله بن عمر [530] , وفي حلب نجده يقرر وجود مشهد لإبراهيم الخليل وقد أشار إلى أن الناس يقصدون بالزيارة ويتبركون بالصلاة هناك[531].

معجم المؤلفين, حـ1, ص.بيروت 1983م, ص47و الزركلي, الإعلام, حـ1, ط.بيروت 1984م, ص197, محمد مؤنس احمد عوض , الأسرات الطبية العربية حتى القرن 7هـ/13م, ومكانة أسرة بني أبي اصبيعة في تاريخ الطب العربي, مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب, السويد , الجمهورية العربية السورية عام 1993 م, عبد الرحمن زكي, تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الإسلامي, ط.القاهرة 1969م, ص40-41.

[529] ابن جبير, المصدر السابق, ص251.

[530] . نفس المصدر, ص232.

[531] . نفس المصدر, ص226.

وبالإضافة إلى ذلك نجده قد أورد مزارات خاصة بالمسيحيين ومن ذلك إشارته إلى كنيسة مريم الموجودة في دمشق وقد ذكر أمر مكانتها العالية في نفوسهم , وأوضح تفوق عمارتها والصور الموجودة بها , والناحية الهامة التي أشار إليها أنها بأيدي الروم وإضافة " ولا اعتراض عليهم " (532) ,وهكذا أتت تلك الأسطر لتعبر عن التسامح الديني الذي عاش خلاله المسيحيون تحت الحكم الإسلامي في مدن بلاد الشام , على الرغم من استيعار العداء بين المسلمين والغزاة الصليبيين الذين غزو المنطقة تحت شعار الصليب , وبقاء أماكن عبادتهم دون أن تمس بالأذى أو طمس المعالم.

ويلاحظ ان ابن جبير لم يحرس على أن يذكر الأماكن المقدسة المسيحية في المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية , وذلك على عكس الإدريسي الذي حرص على إيرادها بصورة مفصلة إلى حد ما تشابه بذلك مؤلفات الرحالة الاوربين أنفسهم والتعليل الرئيسي الكامن وراء ذلك انه لم يدخل مدينة بيت المقدس أصلا .

وإضافة إلى ما سبق نجد إن ابن جبير يقدم تناولا هاما لأوضاع المسلمين الخاضعين للاحتلال الصليبي , وفي ذلك أوضح إن المسلمين يؤدون للصليبين نصف الغلة , كما إن هناك جزية على كل رأس تبلغ دينارا وخمسة قراريط , كما إن هناك ضريبة على التجار , وباستثناء ذلك فان مساكن المسلمين بأيديهم , وجميع أموالهم متروكة لهم , ويقرر إن ذلك هو أسلوب الصليبين في التعامل مع من في نطاق أملاكهم من مدن الساحل الشامي (533) .

وتجدر الإشارة إلى إن الوضع السابق ينبغي إلا يجعلنا نتصور إن المشروع الصليبي نجح في إن امزج مع الصليبين في نسيج واحد مشترك , إذ إن الصليبين نظروا

---

[532] . نفس المصدر , ص254.

[533] . نفس المصدر , ص275.

باستمرار نظرة شك وارتياب للمسلمين الخاضعين لهم , وقد قرر ذلك صراحة احد الرحالة الاوربين ونعني به تيودريش theoderich [534], ومما زاد من صعوبة الموقف الغزاة لم يقدروا على التخلي عن الخدمات التي يمكن أن يؤديها السكان المحليون من المسلمين , لاسيما في مجال الزراعة نظرا لكثرة أعدادهم ولخبرتهم الواسعة في ذلك المجال , بالإضافة إلى إن الصليبين قد عانوا أصلا من مشكلة نقص العنصر البشري . ناهيك عن طبيعة المشروع الصليبي نفسه , كمشروع استعماري – أي استعماري , استيطاني , على نحو جعل إمكانية المسالمة بين الجانبين أمرا مستبعدا, وان حدثت فهي في أضيق نطاق وأندره .

ويقرر المؤرخ السوفيتي المعاصر ميخائيل زايوروف , انه عندما استقر السادة الجدد (يعني الصليبين) في الأراضي المغتصبة المفتوحة حولوا الفلاحين في القرى من المسلمين والمسيحيين إلى أقنان , وقضي القادمون على آخر بقايا حرية السكان القرويين الشخصية[535] .

ومن جهة أخرى , ينبغي إن لا يتصور المرء إن الوضع الذي أشار إليه ابن الجبير يتسم بالطابع العام الشامل لكافة المسلمين الخاضعين للسيطرة الصليبية . فمن الأمور الجديرة بالملاحظة على إن أبو جبير نفسه أشار إلى زاويتين هامتين , هما وضع اسري مسلمين الذين رآهم في مدينة عكا الصليبية , وهم يرفسون في الأصفاد , وخاصة النساء "وفي أسوقهن خلاخيل الحديد " على حد قوله , وقد ذكر إن

---

534. ثيودريش, احد الرحالة الألمان الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية على ما يرجح المرحلة من 1171-1173م/ 567-569هـ/ , والواقع إننا لا نملك معلومات مؤكدة عن ثيودريش باستثناء اسمه, ومن المحتمل انه قد ورد لدى مقدمة يوحنا أوف ورزبرج introducyionary eposle john of wurzburg ومع ذلك لا يوجد دليل يدعم ذلك, ومن المحتمل إن ثيودريش هذا عمل أسقفا لورزبرج, ويلاحظ إن وصفه لكنيسة الضريح المقدس في بيت المقدس, وعقده المقارنة و بينهما, وبين كنيسة لاشابيل aix la chapelle(أخن) يدل على انه أكثر من التردد على تلك البلاد على الأرجح.

535. ميخائيل زابوروف, الصليبيون في الشرق, ص132.

الأسرى المسلمين يوجهون للقيام بالإعمال الشاقة المجهدة . وعبر عن الحسرة الشديدة حيالهم , حيث لا تنفع ولا تفيد [536] .

أما الناحية الثانية التي تتضح من خلال رواية ابن جبير إننا نجده يشعر بالمرارة لوجوده داخل نطاق السيطرة الصليبية, على الرغم من انه مجرد زائر لمدة أيام قلائل فما بالك بمن اضطر إلى الإقامة المستمرة, وقد ضاق ذرعا بمظاهر الصلبان, ووجود الخنازير, وجميع المحرمات [537] بنص تعبيره, ناهيك عن مظاهر الانحلال الخلقي داخل المجتمع الصليبي ذاته. وقد أورد ذلك الرحالة عبارة ذات دلالات عميقة عن اغتراب المسلم داخل الوجود الصليبي عندما ابدي ندمه الشديد لتورطه بزيارة تلك المناطق, وقدم نصيحة عامة لكل من يفكر في أن يشد الرحال إلى هناك بقوله "فالحذر الحذر من دخول بلادهم, والله تعالى المسئول حسن الإقامة والمغفرة من هذه الخطيئة التي زلت فيها القدم ولم تتداركها إلا بعد موافقة الندم" [538], وجاءت عبارته تلك من خلال موقف نفسي هابط ومعنويات منحدرة لوجوده داخل مناطق الاحتلال الصليبي.

وهكذا, فان إشارة ابن جبير إلى تعامل الصليبيين المحدد تجاه المسلمين في مجال الضرائب وغيرها مع ترك أموالهم وممتلكاتهم بأيديهم, يحتل احد جوانب السياسة الصليبية في التعامل معهم, ولكن وجدت مظاهر أخرى, أمكن استخلاصها من نفس تلك الرحلة الهامة.

---

[536]. ابن جبير, المصدر السابق, ص280, محمد فتحي الشاعر, أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية, ط.القاهرة 1990م, ص24.

[537]. ابن جبير, المرجع السابق, ص280.

[538] . نفس المصدر والصفحة.

وإضافة إلى ما سبق, نجد إن ابن جبير قد حرص على إيراد بعض الجوانب الخاصة بالعادات والتقاليد الاجتماعية سواء لدى المسلمين والصليبيين, على نحو أدى إلى إثراء رحلته بصورة واضحة.

فمن ذلك, تناوله لعادات الدماشقة في الاجتماع بصحن المسجد النبوي, حيث قرر انه متنزهم كل عيشة, حيث يمضون وقتهم هناك, رائحين غادرين, وحدد ذلك الموقع بأنه من باب حبرون, إلى باب البريد, ومن ازدحام القوم في ذلك المكان أشار إلى إن المرء قد يتصور "أنها ليلة السابع والعشرون من رمضان", أي ليلة القدر على الأرجح [539].

وإذا كان ابن جبير قد تناول عادات الدماشقة في التمتع بمباهج الحياة البريئة, فانه وصف لنا الجانب الآخر, ونقصد به عاداتهم في الجنائز. وفي هذا المجال أشار إلى أنهم يسيرون في الجنائز بقراء يقومون بقراءة القران الكريم بأصوات شجية محزنة ,تؤثر في النفوس تأثيرا بالغا , وتنهال على اثر سماعها العبرات , وتتم الصلاة على الجنائز في الجامع الأموي قبالة المقصورة , كما انه قرر أن من الممكن أن يجتمع الناس من اجل العزاء وذلك في البلاط الغربي من صحن المسجد , وحدده بأنه بمواجهة باب البريد [540].

وتوضح إشارته السابقة, أهمية المسجد في حياة الدماشقة في ذلك العصر, وانه مثل قلب الحياة الدينية والاجتماعية, مثلما كان دوره دوما في حياة الجماعة المسلمة منذ فجر الإسلام.

---

539 . نفس المصدر, ص239.

540 . نفس المصدر والصفحة.

ومن جهة أخرى, حظي الجانب الاجتماعي لدى الصليبين على اهتمام ذلك الرحالة. وفي هذا المجال , نجد انه أشار إلى حفل زفاف لعروس صليبية في مدينة صور اللبنانية , وقد اتسم وصفه إلى ذلك الحفل بالحيوية , وأيضا بالتحفظ تجنبا للفتنه , وقد ذكر انه احتفل بالأمر جميع عناصر الصليبين رجال ونساء, وقد تم اصطفاف السماطين عند باب العروسين , وعزفت الآلات الموسيقية احتفالا لتلك المناسبة .

وقد قام ابن جبير بوصف ثياب تلك العروس الصليبية , فأورد أنها ارتدت افخر ثياب وأزهاها , وأشار إلى إن ملابسها صنعت من الحرير المذهب [541] . حيث

---

[541] . نفس المصدر, ص278.

وفيما يتصل بالحرير, نعرف إن مصدر دودة القز أو دودة الحرير من جبال أسام في شمال الهند, ومن بلاد البنغال, إلا انه في شمال الصين تعلم الإنسان لأول مرة كيف يقوم بعملية نسج خيوط الحرير من الشرنقة, وقد تم ذلك الانجاز الكبير في تاريخ الحضارة البشرية في حوض نهر تاريم, في ما يعرف بتركستان الصينية, ويلاحظ إن طريق الحرير بدأ من الشرق من الصين, واخترق ما يعرف بمنغوليا, وحوض نهر تاريم الصحراوي وفجاج وممرات أفغانستان وبلاد فارس, ثم من بعد ذلك اخترق بلاد الرافدين ومنها إلى بلاد الشام, ومن هناك تفرع إلى فرعين احدهما اخترق الأناضول إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية , أو اتجه نحو موانئ البحر المتوسط, مثل الإسكندرية وطرابلس حيث وجدت هناك السفن التجارية الأوربية من اجل حمل المنسوجات الحريرية إلى جنوة , والبندقية, ومرسيليا, وغيرها من مؤانئ القارة الأوربية, وتجدر الإشارة إلى إن الحرير تميز بلونه الأبيض الجميل المائل إلى الاصفرار, واتسم بصفات مميزة كالنعومة, والمتانة, وشبة الشفافية, مما يجعله محل إعجاب وحرص الملوك القدماء وكبار الأغنياء من رجال ونساء على شرائه فدخل في نطاق التجارة الدولية بصورة واضحة.

ومن ناحية أخرى, نعرف إن المغول في مرحلة من مراحل تاريخهم, فكروا في إقامة دولة عالمية, كان من أهدافها السيطرة على طريق الحرير, وهو في واقعة جسر التواصل بين الشرق والغرب, وقد قام اثنان من الرحالة في العصور الوسطى, وهما ماركو بولو (1254-1224م), وابن بطوطة (702-779هـ/ 1303-1377م) بارتياد طريق الحرير المذكور في أسفارها الطويلة المدى, والتي مثلت بالنسبة للأول مناطق في أوربا واسيا, والثاني مناطق أفريقيا واسيا.

وجدير بالذكر إن الجيولوجي والرحالة الألماني فرديناند فون ريشتهوفن (1833-1905) قام 1860م برحلاته إلى إخطار الشرق, وعاد إلى أوربا عام 1872م وأطلق على ذلك الطريق المذكور تعبير طريقة الحرير. عن الحرير وطريقه التجاري الدولي انظر:

أبو دلف المهلهل الخزرجي, الرسالة الثانية, تحقيق بطرس بولياكوف وانس خالدوف, ط.موسكو 1960م, ص37, علي أبو عساف, طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم, مجلة دراسات تاريخية, جامعة دمشق, السنة (12), العددان (39),(40) , كانون الأول 1991م, ص72-82, عبد الرحمن حميدة , طريق الحرير بين ابن بطوطة

ازدهرت صناعية الملابس الحريرية في العديد من المدن الشامية سواء تلك الخاضعة للسيادة الصليبية أو الإسلامية .

وبصفة عامة , يعد إيراد ابن جبير لتلك المناسبة امرأ هاما زاد من ايجابيات رحلته , وبصفة عامة تمثل تلك الحادثة جانبا يكاد يكون استثنائيا في وسط الكم الهائل من الأحداث الحربية والسياسية التي أوردها مؤرخو ذلك العصر سواء المسلمين أو الصليبين , من خلال طبيعة العصر التاريخي نفسه , وهو عصر غلبت عليه صفة الصراع العنيف بين الجانبين .

وهذا الأمر, محدود أصلا في المصادر العربية فيما يتصل بالمسلمين , والأمر اشد بالنسبة للصليبين أنفسهم ومظاهر الحياة المختلفة عندهم , وخاصة من خلال عيون أعدائهم المسلمين .

من جهة أخرى , أشار ابن جبير إلى الجانب الحربي وما اتصل بالقلاع والحصون , وهي التي مثلت المظهر البارز للعمارة الحربية في ذلك العصر وقد أشار إلى ذلك الجانب لدى كل من الصليبين , والمسلمين.

وتجدر الإشارة إلى إن ابن جبير ذكر أمر القلاع الصليبية بيد انه أشار إلى القليل منها , وخاصة حصن الأكراد الذي كان الصليبين يغيرون منه على المدن الإسلامية

وماركو بولو, العدد المذكور, ص83-95, محمد حرب فرزات, حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام, العدد المذكور, ص96-118, بشير زهدي, طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل التجارية, العدد المذكور, ص119-137, نعمان محمود جبران, محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير (أسباب ونتائج), العدد المذكور, ص138-155, ساطع محلي, طريق الحرير 1991م, الطريق وسيلة وصل حضارية بين الشعوب , العدد المذكور, ص49-71 هايد, تاريخ التجارة في الشرق الأدنى,جـ1, ص13, موريس لومبار الإسلام في مجده الأول, ت. إسماعيل العربي, ط.الدار البيضاء 1990م, ص271-272, مجدي غنيم, الحرير, ط.القاهرة 1993م, عبد الرحمن سامي , القول الحق في بيروت ودمشق, ط.بيروت 1981م, ص103.

المجاورة مثل حماة وحمص , وكان على مسافة قريبة منها , حيث إن ذلك الرحالة أشار إلى انه " بمرأى العين منها " [542] .

كذلك تعرض لقلعة صليبية أخرى , ونعني بها قلعة تبنين toron , ووصفها بأنها حصن كبير من حصون الصليبين [543].

ومن جهة أخرى , تعرض لحصن الكرك الواقع على طريق الحجاز , وأشار إلى منازلة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي له [544] .

ومن جهة أخرى قدم ابن جبير في عبارة موجزة تناولا لأمر حصن كبير يعرف بالزاب , ووصفه بأنه مطل على قرى وعمائر متصلة , ويطل على قرية تعرف باسكندرونه[545] , والواقع انه ليس من السهل معرفة عما إذا كانت تلك التسمية التي أطلقها ابن جبير على ذلك الحصن يقصد بها قلعة اسكندرونه [546], ذاتها أم إن المقصود قلعة أخرى, وهو أمر ليس من الممكن التحقيق منه, نظرا لعدم وضوح نص ابن جبير في هذا الصدد.

ومن جهة أخرى, أشار إلى عدد من القلاع والحصون الإسلامية , من ذلك تعرضه لقلعة دمشق, وقد أوضح إن السلطان يسكنها وحدد موقعها بأنها من مواجهة باب

---

542 ابن جبير , الرحلة, ص229.

543 . نفس المصدر , ص274.

544 . نفس المصدر , ص260, وأيضا, ابن شاهنشاه الأيوبي, مضمار الحقائق وسر الخلائق تحقيق حسن حبشي, ط.القاهرة 1968م, ص153-154, فايد حماد عاشور, الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي, ط. القاهرة 1403هـ, ص42.

545. ابن جبير , المصدر السابق, ص276.

546. من الملاحظ إن قلعة اسكندرونة نستمد معلوماتنا عنها من مصدرين أصليبيين هما: فوشيه دي شارتر, ووليم الصوري, ويقرر الأول إن الملك بلدوين الأول (1100-1118م/ 493-511هـ) قام ببنائها, وإنها سميت سكاندليون, وهي تعني ميدان الاسداما وليم الصوري , فيقرر إن ذلك الملك عندما أراد تشديد قبضته على صور قام بتشييد القلعة المذكور. وقرر أنها شيدت في موقع يسمى الكسندريوم على اسم الاسكندر المقدوني, وقد قام ذلك الملك بعادة بناء الاسكندرونة, وعهد بها إلى احد النبلاء وذلك على ما يبدو عام 1117م/511هـ.

الفرج [547], وهو احد أبواب المدينة, أما قلعة حلب فقد امتدحها من حيث ارتفاعها الشاهق, كذلك مناعتها, وذكر إن حصانتها الذي يصعب وصفه. وأشار إلى أن سورها الأعلى كله أبراج منتظمة, كما إن بداخلها تجد المساكن السلطانية, والمنازل الملوكية [548].

وتجدر الإشارة إلى قلعتي دمشق, وحلب, كانتا محل اهتمام واضح من الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين قدموا إلى بلاد الشام, في عصر الحروب الصليبية, وان كانت إشاراتهم في هذا المجال متشابهة. وهو أمر ينطبق على ما أورده ابن جبير نفسه في ذلك المجال.

كذلك نجد إن ابن جبير أشار إلى قلعة حماة, ووصفها بأنها على ربوة كبيرة مستديرة, وتناول أمر حصانتها ومناعتها, وتوافر المياه بها, من اجل سقاية الجنود[549], أما حمص فتناول قلعتها ووصفها بالمنعة, وفي بزاغة ذكر قلعتها الكبيرة المنيعة [550], وان لم يقدم أي تفصيلات أخرى بشأنها .

وتجدر الإشارة إلى إن المسلمين شيدوا عددا من القلاع, والحصون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية [551], بيد إن قلاعهم كانت اقل في العدد إذا ما قورنت بقلاع أعدائهم من الصليبيين, خاصة إذ ما لاحظنا إن الآخرين كانوا في الأصل غزاة غرباء وافدين على المنطقة, وعانوا من مشكلة ضلت تؤرقهم على مدى قرنين من الزمان, ونعني بها مشكلة نقص العنصر البشري[552], بينما كانوا المسلمون هم

---

547 ابن جبير, المصدر السابق, ص261.

548 . نفس المصدر, ص226.

549 . نفس المصدر, ص230.

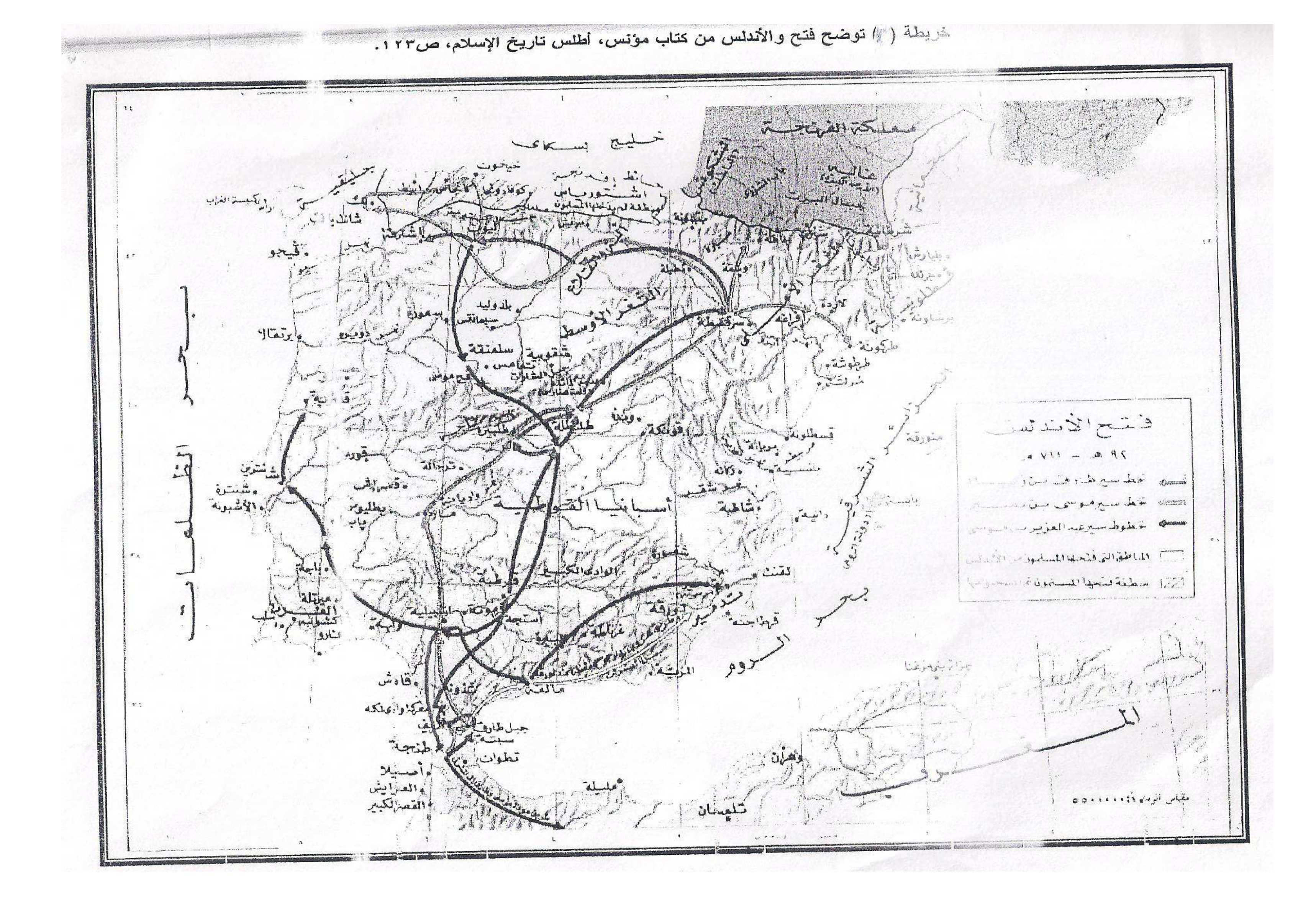
550 . نفس المصدر ,ص232.

551 . نفس المصدر, ص224.

552 من مشكلة نقص العنصر البشري وأثرها على الوجود الصليبي في بلاد الشام انظر:

أصحاب الأرض الأصليين بالإضافة إلى أنهم مثلوا كثافة سكانية واضحة, بالمقارنة بأعدائهم مهما يكن من أمر, فأن رحلة ابن جبير في ربوع بلاد الشام قدمت لنا أشارات هامة ومتوازنة في الغالب عن قلاع الطرفين المتحاربين الإسلامي والصليبي مع ملاحظة أنها اقتصرت في الغالب على تناول أمر الحصانة والمنعة وتهديد الأعمال المجاورة دون أن تتطرق إلى الزوايا المعمارية بالحديث, على نحو افقدها جانبا هاما كان من الممكن –في حالة إيراده – أن تزيد من قيمة روايات ذلك الرحالة الأندلسي في هذا الصدد. ومع ذلك من الإنصاف أن نقرر أن هذه الرحالة لا ينفرد في ذلك الجانب , بل انه ذات النهج الذي سار عليه الجغرافيون والرحالة المسلمون الذين تناولوا بلاد الشام في ذلك العصر.

وهكذا, احتوت رحلة ابن جبير على تناول هام لكافة الجوانب المتصلة بحياة بلاد الشام سواء من ناحية المسلمين أو الصليبيين على نحو جعله واحدا من أكثر الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام ثراء في مادة الرحلة ذاتها والأضواء الكاشفة التي ألقتها رحلته على أوضاع بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ولا سيما خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.



خريطة ( ) توضح فتح والأندلس من كتاب مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص١٢٣.

الخاتمة

ذلك سفر الجغرافيين والرحالة المسلمين في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية , وقد تمخض البحث عن عدد من النتائج الهامة, ومن الممكن إجمالها على النحو التالي:

أولا: أفادت مؤلفات الجغرافيين, والرحالة المسلمين في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية وعلى مدى القرنين السادس والسابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي, وفي تقديم صورة جلية للطوبوغرافية التاريخية بلاد الشام حينذاك, ومزجت بين الجغرافيا والتاريخ في تناسق حيوي وهام, ومن المهم بمكان إدراك أن كتابة تاريخ بلاد الشام بدون الاعتماد على مثل تلك الزاوية السابقة يعد أمرا مستحيلا, وعلى ذلك اعتبار أن الجغرافية توجه التاريخ, وان التاريخ في بعض جوانبه ما هو إلا صراع على الجغرافيا في أشكالها المتعددة الطبيعة, والبشرية, والاقتصادية.. إلى غيرها من فروع الدراسات الجغرافية.

ثانيا: أكدت مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحالة, على شمولية الرؤية الجغرافية لديار المسلمين في ذلك العصر, إذ أنهم قدموا لنا أوصافا متعددة لبلاد الشام من خلال تناولهم العام لكافة أنحاء العالم الإسلامي الذي جابوا أقطاره المتعددة, ولم تكن هناك فكرة التجرؤ أو الانقسام حتى مع وجود العدو الصليبي الذي غرس كيانه في المنطقة

الشامية وحاول مد ذلك الكيان إلى مناطق أخرى مثل مصر وتونس وغيرها.وهكذا فمن الممكن القول إن مؤلفاتهم في هذا المجال ما هي إلا امتداد طبيعي لمؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين السابقين, ولا سيما منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي, مع إدراك فوارق الخبرة الجغرافية, وتطورات أوضاع المسلمين على مدى قرنين كاملين من الزمان.

ثالثا: ألقت مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين الأضواء الكاشفة على أوضاع الساحل الشامي الذي امتد من سان سيمون (السويدية) ميناء أنطاكية في الشمال, حتى غزة جنوبا, وظهر حرصهم الزائد على إيراد العديد من الجوانب المتصلة به سواء السياسية أو الاقتصادية أو السكانية, على نحو أوضح إدراكهم لأهميته في قضية الصراع الإسلامي /الصليبي. وقد مثل الساحل عصب الحياة بالنسبة للصليبيين من خلال حركة الصادرات والواردات, وفرضهم المكوس على حركة التجارة , بالإضافة إلى انه مثل نقطة أساسية في اتصالهم بالوطن الأم للحركة الصليبية , ونعني بها الغرب الأوربي حيث قدم الدعم المادي والمعنوي اللازم لاستمرار المشروع الصليبي. ولذا, من الممكن القول دونما مبالغة, إن الصليبيين بقوا في بلاد الشام ما بقيت في أيديهم المناطق الساحلية, وعندما انتزعت منهم بالكامل في نهاية المطاف على أيدي المماليك البحرية, كان ذلك إيذانا بفشل مشروعهم لغزو بلاد الشام , وطردهم من المنطقة.

رابعا: كشف الجغرافيون, والرحالة المسلمون, الذين قدموا إلى بلاد الشام في ذلك العصر عما يمكن وصفه بالمواجهة الحضارية بين الجانبين الإسلامي والصليبي, إذ

انه يعد بعد انقشاع غبار المعارك الأولى أتى خاض الصليبيون غمارها ضد المسلمين وانتصروا خلالها, وبعد نجاحهم في غرس كياناتهم السياسية في الرها, وأنطاكيا, وبيت المقدس, وطرابلس, احتك الطرفان حضاريا, وظهر بجلاء كيف إن الهزيمة العسكرية التي أصابت المسلمين على أيدي أعدائهم لم تكن تعني الهزيمة الحضارية, بل أنهم كانوا أكثر تفوقا على المستوى الحضاري منهم, ومن ثم فان بلاد الشام خلال عصر الحروب الصليبية مثلت احد المعابر الأساسية والهامة التي نهلت من خلالها أوربا الحضارة الإسلامية. وجاءت شهادات الرحالة المسلمين لتكشف لنا تلك الحقيقة المتصلة باختلاف المستوى الحضاري بين الطرفين المتصارعين, وكان المجال الطبي, احد المجالات الهامة التي كشفت إبعاد تلك المواجهة, ناهيك عن الجوانب الأخرى, بطبيعة الحال.

خامسا: كشفت مساهمات أولئك الطرفين الجغرافيين والرحالة المسلمين النقاب, عن ما يمكن وصفه بالنمو الحضاري والعمراني لحواضر الشام الكبرى الخاضعة للسيادة الإسلامية مثل دمشق, وحلب وحماة وغيرها, والواقع إن من الأهمية بمكان رصد ذلك الجانب, على اعتبار إن تلك المدن التي وقعت على خطوط التجارة العالمية ثم تمتعت بموقع جغرافي وفر لها مصادر الحياة الوفيرة, والكثافة السكانية المرتفعة , ثم إنها اتصلت بجارتها في العراق ومصر, فإذا ما لاحظنا إن مدن العراق والشام ومصر ,مثل الموصل وحلب, ودمشق والقاهرة كانت تمثل خط الدفاع الاستراتيجي في مواجهة الصليبيين' وعجز الاخيرون عن إخضاع تلك المدن, واستمروا منحصرين في الساحل والسهل الساحلي. ومن ثم فان النمو المتزايد على المستوى الحضاري والعمراني لتلك الحواضر الشامية, أفاد في تقديم صورة عن آليات الصراع الإسلامي/ الصليبي في ذلك العصر.

سادسا: ألقت كتابات أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين, والأضواء الكاشفة على طبيعة فكرة الجهاد الإسلامي في عصر الصليبيات, إذ أوضحت حجم مشاركة العناصر الإسلامية الوافدة على بلاد الشام, ومن أمثلتها المغاربة, الذين ابلوا بلاء حسنا في مواجهة الصليبيين هناك, على نحو يكشف بجلاء عن إن قضية الجهاد الإسلامي في ذلك العصر, لم تكن قضية شرقية فحسب, بل ومغربية أيضا. وهكذا يمكن القول بان الشخصية الإسلامية , تجاوزت العوائق الجغرافية في ذلك العصر من اجل أن تنصهر في تجربة الجهاد ضد الغزاة الصليبيين.

سابعا: قدمت مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحلة إشارات هامة من العمائر الحربية, ودورها التاريخي في بلاد الشام في عصر الصليبيات, ولا سيما دور القلاع الصليبية, مع ملاحظة إن إشاراتهم تركزت على وصف مظهرها الخارجي, وحصانتها ومناعتها, أما دورها الحربي, فكانت إشاراتهم نادرة بشأنه, وان قدمت مؤلفات الحوليات البديل عن ذلك النقص في صورة وفرة التفصيلات المتعلقة بالجانبين الحربي والسياسي.

ثامنا: وفرت رؤية أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين في ربوع الشام, صورة هامة لدى الباحثين المحدثين عن خريطة بلاد الشام المذهبية, بالإضافة إلى حجم المواجهة السنية– الشيعية هناك خلال عصر الحروب الصليبية. وقد واجه المسلمون السنيون الذين حملوا على كاهلهم عبء الجهاد–خطر الإسماعيلية النزارية الذين تحالفوا استراتيجيا مع الصليبيين ضد عدوهم المشترك في صورة المسلمين السنة,

وشهروا سلاح الإرهاب والاغتيال في وجه قيادات الجهاد الإسلامي في ذلك العصر, وكانت منطقة شمال الشام إحدى المناطق الهامة في أمر المواجهة بين الجانبين.

تاسعا: قدمت إشارات الرحالة المسلمين الذين زاروا بلاد الشام في ذلك العصر لا سيما المغاربة, شهادة معاصرة عن العلاقات السليمة بين المسلمين والصليبيين, لا سيما على المستوى التجاري, في عصر شهد احتدام الصراع الحربي, إذ إن كل طرف احتاج الآخر من اجل تصريف منتجاته التجارية. ومن الملاحظ إن بعد إخضاع الصليبيين للساحل الشامي والذي تم عام 1153م, بإسقاطهم أخر المعاقل الفاطمية هناك عسقلان, اكتملت السيادة الحربية والسياسية الصليبية على ذلك القسم الحيوي والهام من بلاد الشام, وصارت القوى الإسلامية الشامية قوى برية حبيسة, وتم القضاء على دور المسلمين كوسطاء تجاريين يستفيدون من سيطرتهم على ذلك الساحل. الأمر الذي حافظوا بمهارة منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي حتى أخريات القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

وأمام الوضع السابق, احتاجت القوى الإسلامية إلى الصليبيين من اجل تصريف منتجاتها, وقبل الصليبيون ذلك على اعتبار أنهم جنوا أرباحا طائلة من خلال تجارة العبور, واحتلالهم دور الوسيط التجاري البديل, وكان للمدن التجارية الايطالية مثل جنوة, وبيزا, والبندقية دورها الهام في هذا المجال, وهكذا أشارت مؤلفات أولئك الرحالة إلى قدوم قوافل الصليبيين إلى مناطق المسلمين والعكس, وفي ذلك دلالة واضحة على إن العلاقة بين الجانبين لم تكن جميعها عدائية, بل إن المصلحة المشتركة فرضت واقعا خاصا وفريدا. ومثل تلك الإشارات, ما كان من الممكن أن توردها كتب الحوليات ذات الاهتمام الحربي والسياسي الطابع. على نحو يعكس

أهمية مؤلفات الرحالة المسلمين كأحد المصادر التاريخية المتميزة للعلاقات الإسلامية/الصليبية.

مجمل القول وصفوته, إن مؤلفات الجغرافيين, والرحالة المسلمين, الذين تناولوا بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية احتوت على جوانب هامة من تاريخها على نحو جعل لها مكانة خاصة متميزة من بين مصادر تاريخ تلك المنطقة, خلال عصر المواجهة بين المسلمين والصليبيين.

المصادر

المصادر العربية

-القرآن الكريم

1-إبراهيم الكردي وعبد التواب شرف الدين, المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ,ط.الكويت 1984م.

2-إبراهيم بن مراد , المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية , حـ2 , ط. بيروت 1985 م.

3-إبراهيم ناصر الدروي, عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية, ط.بغداد 1982.
4-ابن أبي اصيبيعه , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , تحقيق نزار رضا , ط. بيروت ب , ت.
5-ابن أبيك الدواداري, الدرة المضنية في أخبار الدول الفاطمية, تحقيق صلاح الدين المنجد, ط. القاهرة 1961م.
6-ابن الأثير , الكامل , حـ9, ط. بيروت ب-ت.
7-ابن الأثير, التاريخ الباهر في دولة الاتابكية بالموصل, تحقيق عبد القادر طليمات, ط. القاهرة 1963م.
8-ابن العديم, زبده الحلب, حـ2.
9-ابن تفرى بردى, النجوم الزاهرة, حت5.
10- ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الملوك والأمم, حـ9, ط. حيدر أباد الدكن 1359هـ.
11- ابن الحنبلي الحلبي, الزبد والضرب في تاريخ حلب, تحقيق محمد التونجي, ط. الكويت 1988م.
12- ابن الصابوني, تكملة الإكمال, تحقيق مصطفى جواد, ط. بغداد 1957م.
13- ابن العبري, تاريخ مختصر الدول, ط. بيروت 1890م.
14- ابن العديم , بغية الطلب في تاريخ حلب,حـ1, تحقيق سهيل زكار , ط. دمشق 1988م.
15- ابن العديم , زبده الحلب من تاريخ حلب, حـ2, تحقيق سامي الدهان, ط. دمشق 1947م.

16- ابن العديم, بغية الطلب في تاريخ حلب , تراجم الأمراء السلاجقة, تحقيق علي سويم, ط. أنقرة 1976م.

17- ابن العديم, زبده الحلب من تاريخ حلب, حـ3, تحقيق سامي الدهان, ط.دمشق 1968م.

18- انتونى براج, تاريخ الحروب الصليبية, ت. سبانو والجيرودي, ط.بيروت 1985م.

19- ابن العديم, سيرة راشد الدين سنان, تحقيق برنارد لويس, 1966.

20- ابن العماد الحنبلي , شذرات الذهب , ح5 .

21- ابن الفرات , تاريخ الدول والملوك , ح8 , تحقيق نجلاء عز الدين رزيق ,ط. بيروت 1939 م .

22- ابن الفرات , تاريخ الدول والملوك, م (4), حـ (1), تحقيق الشماع , ط.البرة 1976م.

23- ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق, تحقيق زميدروز , ط.بيروت 1908م.

24- ابن القوطي, الحوادث الجامعة, التجارب النافعة في المائة السابعة, تحقيق مصطفى جواد, ط.بغداد 1351هـ.

25- ابن الوردي, تاريخه, حـ2, ص. القاهرة 1868م.

26- ابن بطوطة, تحفة النظار في عجائب الأنصار, ط. بيروت 1964م.

27- ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, ح7, ط. القاهرة.

28- ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة,حـ3.

29- ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة,حـ7.

30- ابن جبير، محمد بن احمد الكناني الاندلسي، (ت614هـ) رحة ابن جبير، دار صادر، بيروت، 1980.

31- ابن حماد , أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم , تحقيق التهامي نقره وعبد الحليم عويس , ط. الرياض ب-ت .

32- ابن حوقل , صورة الأرض, تحقيق دي جوية, ط. ليدن 1967م.

33- ابن خلكان, وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان, حـ3, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, ط. القاهرة 1948م.

34- ابن دانيال, خيال الظل , تحقيق ماهر حمادة, ط. القاهرة, احمد رمضان, المجتمع الإسلامي.

35- ابن رسول الغساني , المعتمد في الأدوية المفردة , تحقيق مصطفى السقا , ط. بيروت ب-ت .

36- ابن سعيد المغربي, بسط الأرض في الطول والعرض, تحقيق خوان خميس, نطوان 1958م.

37- ابن سينا , القانون في الطب , حـ1 , ط. بيروت ب-ت .

38- ابن شاهنشاه الأيوبي, مضمار الحقائق وسر الخلائق تحقيق حسن حبشي, ط.القاهرة 1968م.

39- ابن شاهين, زبده كشف الممالك وبين الطرق والمسلك, تحقيق بول رافي, ط.باريس 1994م.

40- ابن شداد , الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة , ح1/ق1 , تحقيق يحيا زكريا عبارة ط. دمشق 1991 م.

41- ابن شداد الحلبي الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة, حـ2, تحقيق سامي الدهان, حـ1, دمشق 1954م.

42- ابن شداد, النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية , تحقيق جمال الدين الشيال,ط. القاهرة 1964م.

43- ابن طباطبا, الفخري في الآداب السلطانية, ط. القاهرة 1315هـ.

44- ابن ظافر الاسدي, أخبار الدولة المنقطعة, تحقيق اندريه, ط. القاهرة 19م.

45- ابن عبد الحق البغدادي, مراض الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع,حـ1, تحقيق البجاوي, ط. القاهرة 1954م.

46- ابن عبد الظاهر, الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر, تحقيق الخويط, ط. الرياض 1976.

47- ابن عساكر, وقائع المؤتمر لذي عقد في دمشق عن ابن عساكر, ط.دمشق 1979م.

48- ابن عمار الحنبلي, كتاب الفتوة, تحقيق مصطفى جواد, وآخرون, ط.بغداد 1958م.

49- ابن كثير, البداية والنهاية, حـ13, ط. بيروت 1980م.

50- ابن مماتي, قوانين الدواوين, تحقيق عزيز سوريال عطية, ط.القاهرة 1948م.

51- ابن نظيف الحموي, التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان, تحقيق أبو العيد دودر, ط. دمشق 1989م.

52- أبو الحسن علي الندوي, مختارات من أدب العرب, حـ1, ط.جدة 1978م.

53- أبو العلا المعري, لزوم ما لا يلزم , ح2, ط.بيروت 1961م.

54- أبو الفداء المختصر في أخبار البشر, حـ5, ط.بيروت 1960م.

55- أبو الفداء, تحقيق رينو ودي سلان, ط.باريس 1848م.

56- أبو الفداء, تقويم البلدان, تحقيق رينو ودي سلان, ط.باريس 1838.

57- أبو زيد شلبي , تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي , ط. القاهرة , 1964م.

58- احمد أبو سعد, أدب الرحلات في الإسلام, رجب 1396هـ/يوليه 1976م, .

59- احمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني, دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها, ط. الكويت1983.

60- احمد الشريف , دراسات في الحضارة الإسلامية, ط. القاهرة , 1976.

61- احمد أمين , الصعلكة والفتوة في الإسلام, ط.القاهرة 1953م

62- احمد حطيط , سيرة الظاهر بيبرس لعز الدين محمد بن علي بن شداد , ط. بيروت 1987 م , ص17 , حبيب الزيات , في تاريخ مملكة حلب , المشرق , العدد (32) , عام 1934 م.

63- احمد رمضان , الرحلة والرحالة المسلمون , ط. جده , ب-ت.

64- احمد رمضان, المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية , ط. القاهرة 1977م.

65- احمد رمضان, المسجد الأموي بدمشق بين الحقيقة والأسطورة كما جاء في تاريخ ابن عساكر, الدارة, العد(4), السنة (5) عام 1980م.

66- احمد عيسى, البيمارستانات في الإسلام, ط. دمشق 1939م.

67- احمد عيسى, تاريخ النباتات عند العرب, ط. القاهرة 1944م.

68- احمد عيسى, معجم الأطباء من سنة 650هـ إلى يومنا هذا, ط.القاهرة 1942م.

69- احمد كمال زكي , أسامة بن منقذ , ط. القاهرة 1968 م.

70- احمد محمود الأحمد, السنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين, ط. دمشق 1399-1400هـ.

71- احمد مختار ألعبادي, دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي, ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية, ط.الإسكندرية 1983م.

72- الإدريسي, نزهة المشتاق, ص9, عارف العارف, تاريخ القدس, ط. القاهرة 1951م.

73- الادفوي , الطالع السعيد الجامع لنجباء مصر والصعيد , تحقيق سعد محمد حسن , ط. القاهرة 1966م.

74- ادوار براون, تاريخ الأدب في إيران , ت. ألشواربي, ط. القاهرة 1958م.

75- ادوارد براون, الطب العربي, ت. داود سلمان علي, ط. بغداد 1986م.

76- أدولف بوخه, تطور الطب في حلب عبر العصور, عاديات حلب, الكتاب الأول حلب, 1975.

77- ارمينبوس فاميري, تاريخ بخارى, من أقدم العصور حتى العصر الحاضر, ت. احمد الساداتي, ط.القاهرة ب–ت.

78- أسامة بن منقذ , المنازل والديار , ح1 ط.بيروت 1965 م.

79- أسامة بن منقذ , تحقيق احمد بن بدوي وحامد عبد المجيد , ط. بيروت 1983 م.

80- أسامة بن منقذ, الاعتبار, تحقيق فيليب حتى , ط.برنستون 1930.

81- أسامة بن منقذ، حسين محمد أحمد، اسامه بن منقذ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة، مط، دار الكتب المصرية 1946م.

82- أسامة زكي زيد, , الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن 12م/ 6هـ), ط. الإسكندرية 1980م.

83- اسعد طالس, الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب, ط. دمشق 1956م.

84- إسماعيل نوري الربيعي, منهج السيوطي التاريخي, المنهل, العدد (510), المجلد(55), نوفمبر–ديسمبر 1993م.

85- اشتور, التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى, ت. عبد الهادي أبو عبلة , ط. دمشق 1985م.

86- الاصطخري, مسالك الممالك, تحقيق دي جوية, ط.ليدن 1967م.

87- ألباز ألعريني, مؤرخو الحروب الصليبية, ط.القاهرة 1962م.

88- ألبدري, نزهة الأنام في محاسن الشام, ط.بيروت 1980م.

89- ألبير شاندور, صلاح الدين الأيوبي, البطل الأتقى في الإسلام , ت. سعيد أبو الحسن, ط. دمشق 1988م.

90- ألصفدي , الوافي الوفيات ,ح4 , باعتناء ديد رينغ , ط.فسبدن 1959م .

91- ألصفدي, الوافي بالوفيات,حـ7, باعتناء إحسان عباس, ط.فسباون 1982م.

92- ألصفدي, نكت الهميان من نكتب العميان, ط.القاهرة 1911م.

93- ألعروسي الطوي, الحروب الصليبية في المشرق والمغرب, ط. بيروت 1982م.

94- ألعظيمي, تاريخه, تحقيق علي سويم, ط.أنقرة 1988م.

95- ألنعيمي , الدارس في تاريخ المدارس , ح1 , تحقيق جعفر الحسني , ط. دمشق 1948 م.

96- الالوسي جمال الدين، اسامه بن منقذ بطل الحروب الصليبية، بغداد، مط أسعد، 1967م.

97- أنور عبد العليم , الملاحة وعلوم البحار عند العرب , ط. الكويت , 1979.
98- ايمارة الكرك الأيوبية , ط. عمان 1982م.
99- أيمن فؤاد سالم سيد, مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي, ط.القاهرة 1973م.
100- أيمن فؤاد سيد, مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي, المعهد الفرنسي للآثار الشرقية, ط. القاهرة 1974م.
101- براور , عالم الصليبين , ت. محمد خليفة وقاسم عبده , ط. القاهرة 1981م.
102- براون, تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي, ت. ألشواربي, ط. القاهرة 1954م.
103- برنارد لويس, الدعوة الإسماعيلية الجديدة , ت.سهيل زكار, ط.دمشق 1971م.
104- بروكلمان, تاريخ الأدب العربي, حـ6, ت.
105- بسام العسلي, فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية , حـ4,ط. بيروت 1988م.
106- البلاذري, فتوح البلدان, تحقيق رضوان, ط.بيروت 1983م.
107- بن نديم, الفهرست, ط.بيروت ب–ت.
108- بنيامين التطيلي , الرحلة , ت. غزرا حداد, ط.بغداد 1945.
109- تركي العتيبي , الحياة الاجتماعية والاقتصادية في صقلية الإسلامي , ط. الرياض 1987م.
110- تيسير بن موسى , نظرة عربية على غزوات الإفرنج من بداية الحروب الصلبيية حتى وفاة نور الدين ,ط. طرابلس ب–ت.

111- جازان ، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية , ص., 1989م.
112- جلال مظهر, حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي, ط. القاهرة, 1974م.
113- جمال الدين الشيال, التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوربي في عصر النهضة, ط.بيروت ب-ت.
114- جميل نخله مدور, حضارة الإسلام في دار السلام , ط.القاهرة ب-ت.
115- جورجي زيدان , تاريخ آداب اللغة العربية , م2 , ج3 , ط. بيروت , 1983.
116- جوزيف نسيم يوسف, العدوان الصليبي لبلاد الشام, هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة, ط.بيروت 1981م.
117- جوزيف نسيم يوسف, العرب والروم اللاتين في الحرب الصليبية الأولى, ط. بيروت 1983م.
118- جوزيف نسيم يوسف, الوحدة وحركات اليقظة العربية أيان العدوان الصليبي, ط الإسكندرية 1966م.
119- جيرارد زلنجر, الفتوة هل هي الفروسية الشرقية, ضمن كتاب دراسات إسلامية ت. مجموعة من الباحثين بإشراف نقولا زيادة, ط.القاهرة 1960م
120- حاجى خليفة , كشف الظنون , في المكتبة العربية الصقلية , نشر أمارى , ط. نبزج 1857.
121- حاجي خليفة, كشف الظنون عن اسأمي الكتب والفنون , حـ1/ق1, ط.اسطنبول 1941م.
122- حامد غنيم, الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية, حـ2, ط. القاهرة 1972م.

123- حسان حلاق , العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى , ط. بيروت 1986م .

124- الحسن الوزان, وصف أفريقيا, ت. عبد الرحمن حميدة, ط. الرياض,1399هـ.

125- حسن حبشي للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري الحروب الصليبية, حـ1, ت. حسن حبشي, ط.القاهرة 1991.

126- حسن حبشي, الحرب الصليبية الأولى, ط.القاهرة 1958م.

127- حسن حبشي, نور الدين والصليبيون, ط.القاهرة 1948م.

128- حسن علي حسن, الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس, عصر الرابطين والموحدين, ط. القاهرة 1980.

129- حسن محمود, الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي, ط.القاهرة ب–ت.

130- حسين احمد أمين , الحروب الصليبية .

131- حسين عطية, إمارة أنطاكيا الصليبية والمسلمون (1171-1268م/ 567-666هـ) ط. الإسكندرية 1989.

132- حسين فوزي , المعارف الملاحية العربية في القرون الوسطى وأثرها في عصر النهضة , ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الزوروبيه , ط. القاهرة , 1970م.

133- حسين مؤنس , الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس ,ط. مدريد 1967م.

134- حسين مؤنس , الشريف الإدريسي قمة علم الجغرافيا عند المسلمين , صحيفة معهد الدراسات الإسلامية , مدريد , م (9) , م (10) , مدريد , 1961 -1962.

135- حسين مؤنس, صور من البطولة, ط. القاهرة 1948م.

136- حسين مؤنس, مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافيا , ضمن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية , ط. القاهرة 1970م.

137- حسين مؤنس, نور الدين محمود, سيرة مجاهد صادق, ط. القاهرة 1959م.

138- حسين نصار, مقدمة تحقيق رحلة ابن جبير, ص269, حاشية(1), أيضا نيقولا زيادة, دمشق في عصر المماليك, ط. بيروت 19م.

139- الحسيني عبد الله, الجذور التاريخية للنصيرية العلوية , ط.القاهرة 1980م.

140- حمد الجاسر, أشهر رحلات الحجج, ط. الرياض, 1982م.

141- حمد الجاسر, الاكتساب في تخليص الأنساب, الفيصل, العدد (201) , رمضان 1414هـ/ مارس 1994م.

142- حمود القيثامي, الآثار في شمال الحجاز, حـ1,ط.القاهرة 1976م.

143- خوان مير, روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء , ت. احمد عبد القادر الشاذلي , ط. القاهرة 1988م .

144- دانيال Danial.p.10 فاروق عز الدين, القدس تاريخا وجغرافيا ,ط. القاهرة 1981م.

145- داود الأنطاكي, تذكرة أولي الألباب , الجامع المعب والعجاب , ط. القاهرة 1302 هـ .

146- دلف المهلهل الخزرجى, الرسالة الثانية, تحقيق بطرس بولياكوف وانس خالدوف, ط.موسكو 1960م.

147- الدميري, حياة الحيوان الكبرى, ط. القاهرة 1367هـ.

148- الذهبي, دول الإسلام حـ2,ت حقيق فهيم شلتوت, محمد مصطفى , ط. القاهرة 1970.

149- راجي عنايت, الشريف الإدريسي ط. بيروت , 1979م.

150- الرازي, اعتقادات فرق المسلمين والمشركين , تحقيق النشار , ط.بيروت 1982م.

151- رايموند أجيل, تاريخ الفرنجة غزات بيت المقدس , ت.حسين عطية, ط. الإسكندرية 1990م.

152- رشيد ألجميلي, دولة النابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي, ط.بغداد.

153- رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية ,حـ3, ت.السيد ألباز ألعريني, ط.بيروت.

154- روزنتال , علم التاريخ عند المسلمين, ت.صالح العلي, ط. بيروت 1983م.

155- روم لاندو, الإسلامي والعرب, ت. منير البعلبكي, ط.بيروت 1977م.

156- رينية جروسية , رصيد التاريخ, ت. محمد الباشا, ط. بيروت ب-ت.

157- الزركلي, الإعلام, حـ1, ط. بيروت 1984م.

158- زغلول النجار والدفاع, إسهام علماء المسلمين الأوائل في علم الأرض.

159- زكي حسن , الرحالة المسلمون في العصور الوسطى , ط. بيروت , 1981.

160- زكي نقاش , العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية , ط. بيروت 1958 م .

161- زمباور معجم الإشارات الحاكمة في الإسلام , ت. زكي حسن وحسن محمود وسيدا كاشف , ط.القاهرة 1951م.

162- زيجريد هونكه , شمس العرب تسطع على الغرب , اثر الحضارة العربية في أوربا , ت. فاروق بيضون , وكمال الدسقوي , ط. بيروت , 1979.

163- سالم , دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي, ط. بيروت 1970.

164- سالم , طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط. الإسكندرية 1966م.

165- سامي الدهان, قدماء ومعاصرون, ط. القاهرة 1961م.

166- سبط بن الجوزي, مرآة الزمان,حـ8/ق1.

167- ستانلي لين بول , طبقات صلاطين الإسلام .

168- سعاد ماهر , البيزة في التاريخ والآثار, الدارة, العدد الأول, السنة (3) , ربيع الأول 1297هـ/ فبراير 1977م.

169- سعيد الديوجي, الموصل في العهد الانابكي, ط.بغداد 1958م.

170- سعيد برجاو , الحروب الصليبية في المشرق, ط.بيروت 1984م.

171- سعيد عاشور , الحركة الصليبية, حـ2, ط. القاهرة , 1966م.

172- سعيد عاشور, أضواء جديدة على الحروب الصليبية , ط. القاهرة 1964م.

173- سعيد عاشور, المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, ضمن كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى , جامعة بيروت العربية, ط. بيروت 1977م.

174- سعيد عاشور, المدينة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوربية, ط. القاهرة 1967م.

175- سليمان الحلبي, الطائفة النصيرية, ط. القاهرة 1982م.

176- سمايلي , المؤرخون في العصور الوسطى, ت.قاسم عبده قاسم, ط.القاهرة 1977م.

177- السمعاني, الأنساب, حـ1, تحقيق عبد الرحمن العلمي, ط.بيروت 1980م.

178- سنا البرق الشامي, الفتح البنداري, تحقيق فتحية النبراوي, ط. القاهرة 1979م.

179- السيد عبد العزيز سالم , التاريخ والمؤرخون العرب , ط. الإسكندرية 1981.

180- السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس م الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ,ط. الإسكندرية 1961م.

181- السيد عبد العزيز سالم, طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط.الإسكندرية 1966م.

182- السيد عبد العزيز سالم, طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي, ط.الإسكندرية 1967م.

183- سيد فرج, القدس عربية إسلامية, الدارة, السنة (8),العدد (2), يناير 1984م.

184- السيوطي, حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة, حـ1, ط. القاهرة ب–ت.

185- شارفي, الفكر الإسلامي منابعه وآثاره, ت. احمد شلبي, ط. القاهرة, 1978م.

186- شاكر أبو بدر, الحروب الصليبية والأسرة الزنكية, ط. بيروت, ب ت.

187- شاكر الفحام, حياة المقدسي وعصره , ضن أعمال الندوة التي عقدت في دمشق في 1990/11/8م.

188- شاكر مصطفى, التاريخ العربي والمؤرخون, حـ2, ط. بيروت 1980م.

189- شفيق جاسر, القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها, ط. الرياض 1989م.

190- شفيق جاسر, تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين حتى الحروب الصليبية , ط.عمان 1989.

191- الشهرستاني, الملل والنحل, ط.القاهرة ب-ت.

192- شوقي ضيف, الرحلات ط. القاهرة 1956م.

193- شيخ الربوة الدمشقي, نخبة الدهر في عجائب البر والبحر, تحقيق مهرا, ط. بطرسبرج 1835م.

194- صالح العلي, العلوم عند العرب, دراسة في كتبها ومكانتها في الحركة الفكرية في الإسلام, ط. بيروت 1989م.

195- الصفدي , الوافي بالوفيات , القسم المشور في المكتبة الصقلية , نشر أماري.

196- صلاح الدين المنجد, إعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب, ط.بيروت 1960م.

197- صلاح الدين المنجد, بيمارستان نور الدين, ط. دمشق 1946م.

198- صلاح الدين هاشم, الإسلام والفكر الجغرافي العربي. ط.الإسكندرية 1978م.

199- صلاح الشامي, الإسلام والفكر الجغرافي العربي.

200- صلاح ألعبيدي, الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية, ط.بغداد 1980م.

201- الظاهر بيبرس, سلسلة أعلام العرب , ط.القاهرة 1963م.
202- عاشور أضواء جديدة على الحروب الصليبية, نصوص ووثائق, ط.القاهرة 1982م.
203- عبد الحفيظ محمد علي, المسلمون والبيزنطينيون في شرقي البحر المتوسط, فيما بين القرنين 3-6هـ/ 9-12م, ط.القاهرة 1982م.
204- عاشور, الحركة الصليبية, حـ2, ط. القاهرة 1966م.
205- عباس العقاد , اثر العرب في الحضارة الأوربية , ط. القاهرة , 1973م.
206- عباس حسن، اسامة بن منقذ، جزءان،الاسكندرية: الهيئة العامة للكتاب، 1981م.
207- عبد الأمير عيد دكش , الخلافة الأموية (65-86هـ/ 684-705م), طبعة , ط.بيروت 1983م.
208- عبد الحليم النجار, ط. القاهرة 1977م.
209- عبد الحليم منتصر, تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمهم, ط. القاهرة 1973م.
210- عبد الحميد زايد, القدس الخالدة, ط. القاهرة 1974م.
211- عبد الحميد يونس, خيال الظل, ط. القاهرة 1994م.
212- عبد الرحمن ألحجي, التاريخ الأندلسي, ط. بيروت 1976م.
213- عبد الرحمن بدوي , دور العرب في تكوين الفكر الأوربي , ط. القاهرة , 1967.
214- عبد الرحمن حميدة ((وصف أفريقيا)) , الفيصل , العدد(21) , ربيع الأول 1399هـ / فبراير 1979م.

215- عبد الرحمن حميدة , أعلام الجغرافيين العرب , ومقتطفات من آثارهم , ط. دمشق , 1980م.

216- عبد الرحمن زكي, تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الإسلامي, ط.القاهرة 1969م.

217- عبد الرحمن سامي , القول الحق في بيروت ودمشق, ط. بيروت 1981م.

218- عبد العليم عبد الرحمن خضر, التطور العمراني لمدينة القدس, ط. الرياض 1981م.

219- عبد الفتاح وهيبة, جغرافية العرب في العصور الوسطى, الجمعية الجغرافية المصرية, ط. القاهرة 1960م.

220- عبد القدوس الأنصاري , مع ابن جبير في رحلته ط. القاهرة 1976م.

221- عبد الكريم حناملة, صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوة المناوئة في بلاد الشام, الدارة, السنة (12), العدد (2), سبتمبر 1986.

222- عبد الله عبد الغني غانم , الرواد المسلمون , ط. الإسكندرية , 1989.

223- عبد الله كنون , الشريف الإدريسي , سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب , ط. تطوان ب-ت , حسين الأمين , الشريف الإدريسي وخريطته المشهورة وكتابة نزهة المشتاق في اختراق الآفاق , العربي , العدد 177 , أغسطس , 1973.

224- عبد الله يوسف الشبل, القدس في عهد الاحتلال الصليبي, المؤرخ العربي, العدد(23), 1403هـ/1983م.

225- عبد المنعم ماجد, الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى, ط. القاهرة, 1978م.

226- عبدا لله نبهان , الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد , عالم الكتب , م(13) , العدد (14) , المحرم – صفر 1413 هـ / يوليو – أغسطس 1992م .

227- عدنان محمد سلمان, السيوطي النحوي, ط. بغداد 1976م.

228- عز الدين فراج, فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية, ط. القاهرة, 1978م.

229- العزاوي, فرقة النزارية , تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية, ط.القاهرة 1970م,

230- عزيز العلي ألعزي, الطير في حياة الحيوان للدميري, ط.بغداد 1986م.

231- عزيز سوريال عطية, العلاقات بين المشرق والمغرب في العصور الوسطى, ثقافية, تجارية صليبية, ت.فيليب صابر, ط.القاهرة 1973م.

232- العصا, تحقيق عبد السلام هارون, في نوادر المخطوطات, المجموعة الثانية, ط. القاهرة 1951م.

233- عصام الدين عبد الرءوف, بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي, ط.القاهرة ب.

234- العطار الهاروني , منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان , تحقيق حسن عاصي , ط.بيروت 1992 م

235- علي احمد, الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع, ط. دمشق 1989م.

236- علي السيد علي, أضواء جديدة عل العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنجة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, بلاد

المناصفات, الدارة, العدد (1), السنة (8), شوال–ذو القعدة– ذو الحجة 1412هـ.

237- علي السيد علي, القدس في العصر المملوكي, ط. القاهرة 1986م.

238- علي عبد الحليم محمود, الغزو الصليبي والعالم الإسلامي, جدة 1982م.

239- علي عبد الله الدفاع , إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات ,ط. بيروت , 1985.

240- علي عبد الله الدفاع, أعلام العرب والمسلمين في الطب, ط. بيروت 1983م.

241- علي عبد الله الدفاع, رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية.

242- علي عبد الله الدفاع, علوم الكون في الإسلام: القزويني, الدارة, العدد (3), السنة (7), ربيع الثاني 1402هـ/فبراير 1982م.

243- علية عبد السمع الجنزوري, إمارة الرها الصليبية, ط. القاهرة 1975م.

244- العماد الأصفهاني, البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان.

245- العماد الأصفهاني, تاريخ دولة آل سلجوق, ط. القاهرة 1318هـ.

246- عماد الدين خليل , نور الدين محمود وتجربته الإسلامية, ط.دمشق 1987م.

247- عماد الدين خليل, عماد الدين زنكي, ط .بيروت 1982م.

248- عماد الدين خليل, فلسطين في الأب الجغرافي العربي, ضمن كتاب دراسات جغرافية, ط. بيروت 1983م.

249- عمر الدسوقي, الفتوة عند العرب, ط. القاهرة ب–ت.

250- عمر رضا كحالة, معجم المؤلفين, حـ1, بيروت 1983م.

251- عمر عبد السلام تدمري, تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور, عصر الصراع العربي, البيزنطي والحروب الصليبية , ط.بيروت 1984م.

252- عمر فروح, تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون,ط.بيروت, 1972م.

253- العمري, التعريف بالمصطلح الشريف, ط. القاهرة ب-ت.

254- عواد مجيد الاعظمي, معالم التراث العربي الإسلامي في فلسطين, ط. بغداد 1975م.

255- الغطريف بن قدامه, المخطوط السابق, ورقة (36) الزبيدي, انتهار الفرص في الصيد والقنص, تحقيق عبد الله الحبشي, ط. لندن 1985م.

256- الغطريف بين قدامه, كتاب بواري الطير, مخطوط احمد الثالث, رقم(2099) , مكتبة طوب قابوسراي , اسطنبول , تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية, فرانكفورت 1406هـ/ 1986م.

257- فاسيلي بارتولد, تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي, ت- صلاح الدين عثمان هاشم, ط.الكويت 1981م.

258- الفاضل العبيد عمر, الطب الإسلامي عبر القرون, ط.الرياض 1989م.

259- فايد حماد عاشور, جهاد المسلمين في الحروب الصليبية, ط. بيروت 1985م.

260- فتحي عثمان , الحدود الإسلامية / البيزنطينية بين الاحتكاك الحربي والتأثير الحضاري ,حـ3, ط.القاهرة 1966م.

261- فرات خطاب , الكحالة عند العرب, ط. بغداد 1975م.

262- فضل الله فارس ابن حلقة , مختصر في الجغرافيا, ط.بيروت 1890.

263- فهمي توفيق مقبل, الفاطميون والصليبيون, ط.بيروت ب-ت.

264- فؤاد سزكين , تقديم كتاب انس المهج وروض الفرج , تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية , فرانكفورت , 1984.

265- فيليب حتى , تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين, ط.ت جورج حداد وعبد المنعم رافق, ط. بيروت 1958م.

266- فيليب دي طرازي , اصدق ما كان من تاريخ لبنان, حـ1, ط. بيروت ب-ت.

267- قاسم عبده قاسم, ماهية الحروب الصليبية.

268- قدري حافظ طوقان , علماء العرب وما أعطوه للحضارة , ط. الرياض , ب- ت.

269- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس,ط.بيروت 1971م.

270- القزويني, عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات, ط. القاهرة ب-ت.

271- القفطي, أخبار العلام بإخبار الحكماء, ط. بيروت ب-ت.

272- القلقشندى, صبحي الأعشى في صناعة الإنشاء,حـ4,ط.القاهرة 1912م.

273- كامل العسلي, تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص, ط. عمان 1987م.

274- كامل العسلي, من آثارنا في بيت المقدس, ط.عمان 1982م.

275- كامل حسين, في الطب والاقربازين, ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية, ط.القاهرة 1970 م.

276- كامل شيبي , همنكي ميان تصوف وتشيع, ط. تهران 1354هـ.

277- كراتشكوفسكي , تاريخ الأدب الجغرافي العربي , ت . صلاح الدين عثمان هاشم ط. بيروت 1987م.

278- كراتشكوفسكي تغناطيوس، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1963.

279- كرد علي, خطط الشام,جـ4, ط. بيروت 1983م.

280- كمال القري , نهر الذهب في تاريخ حلب , جـ1 , ط. حلب.

281- لسان الدين بن الخطيب, الإحاطة في أخبار غرناطة,جـ2, تحقيق عبد الله عنان, ط. القاهرة 1974م.

282- لسيوطي , حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة, ج1 , تحقيق محمد أبو الفضل , ط. القاهرة , 1967م.

283- لنكستر هاردنج, آثار الأردن, ت.سليمان موسى, ت.عمان 1965م.

284- ماجد, العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى, ط.بيروت 1966م.

285- ماجد, ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر, ط. القاهرة 1968م.

286- محبوب بن قسطنطين, وهو محبوب بن قسطنطين الرومي ألمنجبي, وقد حقق فاسليف كتابه ونشرة فرعسان بطرسيرج عام 1908م.

287- محمد احمد العقيلي, جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط, الدارة, العدد(2), السنة (5), المحرم 1400هـ/ديسمبر 1979.

288- محمد الجاسر, انساب الإشراف للبلاذري, الفيصل , العدد(202), ربيع الآخر 1414هـ/ سبتمبر/ أكتوبر 1993م.

289- محمد السيد غلاب , الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي , المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول , جامعة الإمام محمد بن سعود, م (3) , الرياض , 1984.

290- محمد العربي الخطابي , الطب والأطباء في الأندلس الاسلاميه , دراسة , وتراجم ونصوص , جـ2 , ط. بيروت , 1988 .
291- محمد أمين فرشوخ, موسوعة عباقرة الإسلام, في العلم والفكر والأدب والقيادة, ط.بيروت 1992م.
292- محمد جاسم المشهداني, موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في انساب الأشراف, ط. مكة المكرمة 1986م.
293- محمد جلال أبو الفتوح, جلال الدين السيوطي, منهجه واراؤه الكلامية, ط. بيروت 1981م.
294- محمد عبد الجواد القاياتي, نفحة البشام في رحلة الشام, ط.بيروت 1981م.
295- محمد عبد الغني حسن , الشريف الإدريسي أشهر جغرافي العرب والإسلام , ط. القاهرة , 1971 م.
296- محمد عبد الله عنان, الآثار الأندلسية الباقية في أسيا والبرتغال, ط.القاهرة 1961م.
297- محمد عبد الله عنان, مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية, ط. القاهرة 1969م.
298- محمد عبد المنعم خاطر, جلال الدين السيوطي, ط.القاهرة 1968م.
299- محمد علي , الرحلة الشامية, ط.بيروت 1981م.
300- محمد علي الهرقي, الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي. ط. الرياض 1980م.
301- محمد فتحي الشاعر, أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية, ط. القاهرة 1990م.

302- محمد محمد الشيخ, الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي, ط. الإسكندرية 1980م.

303- محمد محمد سطيحة, الجغرافيا العملية وقراءة الخرائط, ط.بيروت 1974م.

304- محمد محمود محمدين, الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان, ط. الرياض 1983م.

305- محمد محمود محمدين, شمولية الفكر الجغرافي في كتب التراث, الدارة, العدد (4), السنة (9), رجب 1404هـ/ابريل 1984م.

306- محمد مرسي الحريري , الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته , ط. الإسكندرية , 1985 م.

307- محمد مصطفى زيادة, المؤرخون في القرن الخامس عشر الميلادي, ط.القاهرة, 1962م.

308- محمد مصطفى زيادة, رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة, ط.القاهرة 1939م.

309- محمد مفيد آل ياسين , الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري, ط.بغداد , 1979م.

310- محمد مؤنس احمد عوض, الرحالة الأوربيين في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099-1187) ط. القاهرة 1992م.

311- محمد مؤنس احمد عوض, المؤرخ الحلبي العظمى (ت 558هـ/ 1163م) حياته, ومنهجه في الكتابة التاريخية عن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط, مركز بحوث الشرق الأوسط , جامعة عين شمس عام 1993م.

312- محمود الحاج قاسم, الطب عند العرب, والمسلمين, تاريخ ومساهمات, ط. مكة المكرمة 1987م.

313- محمود الحويري, الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين 12, 13, ط. القاهرة 1977م.

314- محمود حجازي وفهمي أبو الفضل, ط.القاهرة 1977م.

315- محمود كامل , الرحالة العرب في القرون الوسطى , أول من أرسى قواعد الجغرافيا والإرشاد السياحي العربي , العدد (201) , أغسطس , 1975م.

316- محمود ماضي, الإمام ابن عساكر, عالم الفكر, م(15), العدد (4), محرم –صفر 1994م.

317- محي الدين الحنبلي, الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل, حـ1, تحقيق محمد بحر العلوم, ط. النجف.

318- مرجليوث, المؤرخون العرب, ت. حسين نصار, ط.بيروت ب–ت.

319- المستشرق وستنفيلد كتاب آثار البلاد وأخبار العباد, وصدر عمله في توبنجن عام 1848م.

320- مسفر سالم ألغامدي, الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر(491-569هـ/ 1097-1173م), ط. جدة 1986م.

321- مصطفى الدباغ, بلادنا فلسطين, حـ19, ق2, ط.بيروت 1975م.

322- مصطفى الكتاني, العلاقات بين الجنوب والشرق الأدنى الإسلامي (1171-1291م/ 567-690هـ) ط. الإسكندرية 1981م.

323- مصطفى غالب, إعلام الإسماعيلية, ط.بيروت 1969م.

324- المقدسي, أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ط.ليدن 1967.

325- المقري, فالطيب في غصن الأندلس الرطيب, حـ3, ط. القاهرة 1949م.

326- المقري, نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب,ح2, تحقيق إحسان عباس, ط. بيروت 1968م.

327- المقريزي, اتعاض الحنفا بإخبار الأمم الفاطمية الخلفاء, حـ1, تحقيق محمد حلمي محمد احمد, ط. القاهرة 1973.

328- المقريزي, السلوك لمعرفة دول الملوك, حـ1, ق2, تحقيق مصطفى زيادة, ط. القاهرة.

329- ممدوح الروبي, المدارس الدمشقية القديمة, المنهل, العدد (561), م(60), المحرم 1415هـ/ يونيو 1994م.

330- المنهاجي السيوطي, إتحاف الأقصى بفضائل المسجد الأقصى, ق1, تحقيق احمد رمضان, ط. القاهرة 1982م.

331- مولر, القلاع أيام الحروب الصليبية , ت. محمد وليد الجلاء, ط. دمشق 1984م.

332- مونتجومري وات , فض الإسلام على الحضارة الغربية, ط.القاهرة 1986.

333- النابلس, رحلتان إلى لبنان, تحقيق صلاح الدين المنجد واصطفان فيلد, ط, بيروت 1979م.

334- ناصر خسرو سفرنامة , ترجمة يحيى الخشاب, ط.القاهرة 1945م.

335- ناصر خسرو, سفرنامة. ت. يحيى الخشاب, ط.بيروت 1983م.

336- نعمان قسطالي, الروضة الغناء في دمشق الفيحاء , ط.بيروت عام 1982م.

337- نعيم زكي , طرق التجارة الدولية أواخر العصور الوسطى, ط.القاهرة 1970م.

338- نقولا زيادة, ابن جبير, عالم, وفقيه, وأديب, ورحالة, العربي, العدد(19), يونيو 1960م.

339- نقولا زيادة, سوريا زمن الصليبيين, المقتطف, يويو 1928م.

340- نوال محمد عبد الله , العمران في المشرق العربي في القرن السادس, قراءة في رحلة ابن جبير, المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المجلد الثالث, ط.الرياض 1984م.

341- هايد , تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى, حـ1, ت. احمد محمد رضي , ط. القاهرة 1985م.

342- هشام عدره قلعة شيزر والأمير الشاعر أسامة بن منقذ, المنهل , العدد (507)م (55) صفر 1414هـ / يوليو- اغسطس1993م.

343- الهمذاني, الإكليل , تحقيق محب الدين خطيب, ط. بيروت 1987م.

344- هنري كتن , القدس الشريف, ت. نور الدين كتانه, ط.عمان 1989م.

345- هنري لامنس, بلاد سوريا القرن الثاني وفقا لرواية ابن جبير, المشرق , العدد(7), السنة (10) عام 1903م.

346- هنري لامنس, تسؤيح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار, حـ2, ط.بيروت 1982م.

347- هنري لامنس, دولة العلويين, المشرق, العددان (8), (9), م(27), عام 1929م.

348- الياس ديب, العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية, ط.بيروت 1874م.

349- ياقوت , معجم البلدان, حـ1, تحقيق وستنفيلد , ط.ليزج 1889م.

350- اليسيف, الحياة الاقتصادية في دمشق في عهد نور الدين محمود, ضمن الكتاب التذكاري عن ابن عساكر, ط.دمشق 1979م.

351- اليعقوبي, كتاب البلدان, تحقيق دي جوية, ط. لندن, (س 229) ' إسحاق بن الحسين, آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان, باعتناء فهمي سعد , ط.بيروت 1988م.

352- يوسف درويش غوانمة, التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي, ط.عمان 1982.

353- اليونيني البعلبكي , ذيل مرآة الزمان ,ح4 .

الندوات والمؤتمرات

1-جلال الدين السيوطي, بحوث ندوة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية, ط. القاهرة 1978.

2-الحسن بن محمد الوزان الزياتي أبو آليون الأفريقي 894 -962 هـ / 1488/ 1554م, المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول , جامعة الإمام محمد بن سعود , م(3) , الرياض , 1984م.

3-عبد العال عبد المنعم الشامي, "جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الجغرافية", المؤتمر الإسلامي الجغرافي الأول, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, م(3), ط. الرياض, 1984م.

4-عبد الهادي التازي, بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية, بحث ضمن أعمال المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام, ط.عمان 1974م.

5-محمد رشيد الفيل ,اثر التجارة والرحلات في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب , المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول , جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية , م (3) , ط. الرياض . 1984م.

6-محمد مؤنس احمد عوض , الأسرات الطبية العربية حتى القرن 7هـ/13م, ومكانة أسرة بني أبي اصبيعة في تاريخ الطب العربي, مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب, السويد , الجمهورية العربية السورية عام 1993 م.

7-محمد مؤنس احمد عوض, الصراع السني / الشيعي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري, الثاني عشر الميلادي من خلال رحلة ابن جبير, ندوة العرب واسيا, جامعة القاهرة, ابريل 1989م.

البحوث والرسائل والاطاريح

1-إبراهيم خميس, العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام (1193-1291م/ 589-690هـ) , رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة الإسكندرية عام 1987م.

2-أسامة السيد علي, الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي- الاسدس الهجري ودورة في الصراع الإسلامي الصليبي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة عين شمس عام 1992م.

3-جمعة الجندي , حكم النورمان في صقلية (484- 586هـ / 1194/1091م), رسالة ماجستير غير منشوره , كلية الآداب , جامعة عين شمس عام 1980.

4-جمعة الجندي , حياة الإفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر , دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الآداب , جامعة عين شمس عام 1985م.

5-حامد زيان, حلب في العصر الزنكي, رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة القاهرة, عام 1970م.

6-زكي نقاش, الحشاشون وإثرهم في السياسة والاجتماع, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب , جامعة القاهرة عام 1950م.

7-سر الختم عثمان, صور في القرنين 12, 13م' رسالة الدكتوراه غير منشورة, كلية الآداب جامعة القاهرة, عام 1971م.

8-فتحي عبد العزيز عبد الله, دور الكنيسة في مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام 1187, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب , جامعة الزقازيق عام 1988م.

9-فلورنس افرالاغ , ((أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله الإدريسي)) بحث ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية , ن. عبد الكريم محفوق , ط. دمشق , 1982 م.

10- فيصل بحاش، التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية، اطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب، والاسلام، جامعة دمشق، 2006-2007.

11- محمد احمد زوام , ((الحسن الوزان , وأهمية كتابه وصف أفريقيا في جغرافية السودان الغربي)), رسالة ماجستير غير منشورة ' معهد الدراسات الأفريقية , عام 1398هـ / 1979م.

12- محمد الحاج فلفل, علاقة الأيوبيين في مصر والشام بالخلافة العباسية في بغداد, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب , جامعة القاهرة عام 1977م.

13- محمد صالح محيي الدين, الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الشرق في عهد الناصر لدين الله العباسي, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب, جامعة القاهرة, عام 1974م.

14- محمد مؤنس احمد عوض, التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب, جامعة عين شمس, عام 1984م.

الصحف والمجلات

1-إبراهيم شوكة , تقديم تحقيق نزهة المشتاق , الجزء الخاص يوصف سوريا ولبنان وفلسطين والأردن , مجلة المجمع العلمي العراقي م(30) عام 1979.

2-إحسان النص, كتب الأنساب العربية, مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق, م(66), حـ(3) , ذو الحجة 1411هـ/ يوليو 1991م.

3-احمد بدر, الأندلسيون والمغاربة في القدس, مجلة أوراق, المعهد الاسباني العربي, العدد(4), عام 1981م.

4-احمد رابيعة, إسهامات, بعض الرحالة في العرب في الدراسات الانثروبولوجية المبكرة, مجلة دراسات عمان, م(10), العدد (1), عام 1983م.

5-اسحق عبيد, قصة عثور القديسة هيلانة على خشب الصلب, أسطورة أم حقيقة, مجلة كلية الآداب –جامعة عين شمس, م(17), عام 1970م.

6-أنيس مقدسي, الدولة الأيوبية في رسائل ابن الأثير, مجلة الأبحاث, الجامعة الأمريكية بيروت, السنة (18), م(3) , حـ (2), سبتمبر 1965م.

7-جرير أبي حيدر, رحلات أندلسية ثلاثة, البكري, الإدريسي, وابن جبير, مجلة الفكر العربي, العدد(51) يونيو 1988م.

8-جمال زكريا قاسم ((الحسن بن محمد الوزا , رحالة عربي ومصنف فرنجي)) , مجلة العربي , العدد 163 , يونيو 1972م.

9-حسين مؤنس في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد , م(11) , (12) , مدريد , 1963 – 1964 م.

10- سليمان مظهر, قلعة شقيف ارنون, مجلة المجمع العلمي بدمشق, عدد عام 1944م.

11- عبد الرحمن زكي, العمارة العسكرية في العصور الوسطى, المجلة التاريخية المصرية, م(7), عام 1958م.

12- عبد الرحمن زكي, القلاع في الحروب الصليبية, المجلة التاريخية المصرية, م(15) عام 1969م.

13- عبد الستار فراج, البلاذري و مجلة العربي, العدد (99), الكويت, فبراير 1967م.

14- عبد القادر المغربي, الظاهر بيبرس, مجلة المجمع العلمي بدمشق, م(21), حـ(5), حـ(6), عام 1946م.

15- عبد الله عنان, قلاع الصليبيين والمسلمين ولبنان, مجلة الهلال, حـ(5), السنة (42) عام 1933م.

16- علي أبو عساف, طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم, مجلة دراسات تاريخية, جامعة دمشق, السنة (12), العددان (39),(40) , كانون الأول 1991م.

17- علي عبد الله الدفاع , الشريف الإدريسي , أعظم عالم في الجغرافية في القرون الوسطى , المجلة العربية , السنة (3) , العدد (6) , يونيو – يوليو 1979م.

18- فؤاد سزكين لتصوير المخطوطة المذكورة, محمد المنوني, "الجزيرة العربية في الجغرافيات والرحلات المغربية وما إليها " , ومجلة المجمع العربي العلمي العراقي, م(29), عام 1987م.

19- كرد علي, الشاميون والتاريخ, مجلة المجمع العلمي بدمشق, م(17), حـ(3), حـ(4).

20- كرد علي, غوطة دمشق, ط. القاهرة 1950م, ص215عبد الله يوسف الغنيم, أسباب الزلزال وأحداثها في التراث العربي , مجلة المجمع العلمي العراقي, م(32), حـ2, ط. بغداد 1984

21- محمد عبد الله عنان , ((الرحالة الأندلسي الحسن الوزان: ليو الإفريقي ,)) , مجلة العربي , عدد (43) , يونيو 1962 م.

22- المماليك داوية الإسلام, مجلة العربي, العدد (277) لعام 1981.

المصادر الاجنبية

1-Anonymous, the deeds of the franks and other pilgrims, trans.by hill, new York, 1962.

2-Anonymous, the deeds of the franks,p.51, fulcher of chartres,p.122, Raymond d' Aghilliers, in peters, the first Crusade, Pennsylvania 1971.

3- Churchill, the druzes and maronites , London 1862.

4- Comps, wiet, sauvaget, repertoiee chronologie d epigraphie arable, t.ix,p.16, wiet, notes d ebigraphie syromusulmane, Syria, t.vi, Paris, 1929,p. van berchem, inscription arabes de syrie, M.L.E.T III , caire 1922
5- Daniel, pilgrimage of the rusion abot Daniel in the holy land, trans. By Wilson, p.p.t.s, vol.iv, London, 1895.
6- Demombyne, Muslim, instiutions, English trams' meegnegor, London 1954.
7- Eracles, Eracle Empereur et La Conquete de la Terre d quttremere, R.H.C,Hist. Occ, T. I, Paris 1869.
8- Eusebius, extraits from eusebius life of Constantine, trans, by gohn Bernard, p.pp.t.s.vol.I,London 1896.
9- Gibb,"zengi and the fall of Edessa", in settion, A History of the Crusades, Vol.II, Pennsylvania 1955
10- Haskins, studies in the history of medieval science, campridge 1927.
11- Hudud al –Alam,the regions of the world, a Persian geography 372 A.H.982 A.D.,Translated and emplaned by V,Minorestry, Oxford 1973.
12- King, "the taking of le krak des chevaliers in 1271"< vol.xxIII, p.89, Lawrence, crusader castles, vol,I. London 1936.

13- Lewis, three Biographies from Kamal Ad-Din", Melanes Fuad Koprulu, Istanbul 1953.

14- Lite,a history of geographical discovery and exploration,new york, 1967.

15- Mayer, the crusades, trans. By gillingham, oxford 1972.

16- nantet histoire de leban, Paris 1963.

17- pernard the wise, the tinerary of permard the wise, trans.by g.d.pernard, p. t.s., vol. III, London 1893, p.9,attwater, op.crt.

18- Prawer, the settlement of the altins in gerusalem, speculum, vol xxvll,pp.449-503, Russell, the population of the crusader states in setton a history of the crusades, vol v, Madison, 1985.

19- Qusama ipn munkidth, un emir au syrren au premier siecle des croisades (1095-1188) , par hartwig derenbourg-paris 1884-1886.

20- Riley, smith, A history of the order of the knights of st. john of Jerusalem, London 1967.

21- Serjeant, Islamic textiles, material for a history up to the mongul conquest, Beirut,1972.

22- smail, the crusaders in Syria and the holy land, London 1974.

23- Stewart, p.p.t.s, vol.v,london1896, gohn of wurzburg , description of the holy land, trins. By Aubrey.

24- William of tyre, vol , II, p. 458, salibi, the maronites of Lebanon under the Frankish and manlula rule R.E.A.,T.IV, Annee 1957.

25- Woodings, "the medical resources and practice of the crusader states in Syria and Palestine (1096-1192).

26- Wright , the travels of even gubair ,ed.by w.wright, Leyden 1852.

جامعة سانت كليمنتس ..
العناصر الاساسية لاطروحة الدكتوراه

اسم الطالب – بتول كامل مزهر الياسري AB0306

التخصص -- دكتوراه فى الجغرافية
عنوان الاطروحة - الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

Moslem's Geographers and Explorers in Belad Al-Sham During the Two Centuries 12-13G Corresponding to 6-7 Hijry"

الاستاذ المشرف -- الاستاذ الدكتور نزار كريم جواد الربيعي

الملخص :

يتناول هذا البحث بالدراسة الجغرافيون والرحالة المسلمين في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (القرنان 6-7هـ/12-13م)

وما قدموه في مؤلفاتهم من جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها ، ولاريب في ذلك الموضوع يحتل مكانة متميزة من بين موضوعات دراسة تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى وعلى نحو خاص من ، خلال مرحلة الحروب الصليبية التي شهدت فيها بلاد الشام جانبا وافرا من احداثها الزاخرة بالصراع بين عالمي الاسلام والمسيحية .

<u>الاهمية :</u> ما الذي يجعل من دراستك مهمة ؟لماذا درستها

ممكن الاهمية التي يمكن ان تعلق على موضوع الدراسة المصادر التاريخية التي وصلت الينا من ذلك العصر ،سواء لدى الجانب الاسلامي او الصليبي اتسمت بالاهتمام بالزوايا السياسية والحربية في المقام الاول ،اما النواحي الحضارية الاخرى مع عدم اغفال الجوانب الاولى بالطبع فانها لم تحظ عند مؤرخي ذلك العصر ، الا بالقليل من العناية وان وردت لدى مؤلفات المؤرخين حينذاك فهي بصورة ضمنية وعرفية ولاتتناسب مع ضمامة ماورد بشان الزوايا السياسية والحربية الاخرى.

هنا تبدوا اهمية مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الذين عاصروا تلك الرحالة المنظمة من تاريخ منطقة الشرق الادنى في العصور الوسطى اذ ان كتاباتهم تسد جانبا له شانه من تلك الفجوة المصدرية لاحتوائها على اشارات قيمة على الاصعدة الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها ،بالاضافة الى ذلك فان اولئك الجغرافيين والرحالة قدموا لنا ،خاصة اولئك الذين قدموا من خارج بلاد الشام رؤية مهمة من خلال عيون غريبة وافدة على المنطقة ، ولذلك نجد في نصوص مؤلفاتهم زوايا ندر ان تتردد في كتب الحوليات وتعليل ذلك ان الجغرافيين والرحالة

الذين تكون عقله في مجتمع ما بأبعاده المحلية ، عندما تطأ اقدامه ارض مجتمع اخر وبخاصة خلال عصر الصراع العتيق بين عالمي الاسلام والمسيحية .

الطريقة المنهجية:

تناول البحث احد عشر جغرافيا ورحالة مسلما قد قدموا الى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ونجد ان بعضهم من المشرق الاسلامي والبعض الاخر قدم من المغرب والاندلس بل ان منهم من كان من بلاد الشام نفسها ،

وقد اشتمل البحث على عدد من الجغرافيين مثل الادريسي (ت 56هـ /1162)وياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1228م) والقزويني (ت672هـ/ 1273م)وعزايين بن شداد (ت684هـ/1285م) وابو الفداء (ت 732هـ/1331م).

والباب الثاني من البحث قد شمل الرحالة المسلمية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية واشتمل على عدة فصول ،جاء فيها السمعاني (ت 562هـ/1167م) اسامة بن منقذ (ت 582هـ/ 1182م) الهروي (ت 611هـ/1215م) وابن جبير (ت 616هـ/1219م)

وقد تابعت المؤلفات البيليوغرافية سواء الاجنبية او العربية.

النتائج :

من المفيد ان نلاحظ ان كافة القلاع الصليبية التي اشار اليها الادريسي قد بناها الصليبيون من اجل تحقيق اهداف إستراتيجية هامة،ولسد ثغرات وعلاج مشكلات ملحة واجهوها بعد مقدمتهم بلاد الشام ، ولعل اوضح تلك المشكلات مشكلة نقص العنصر البشري ، ويلاحظ ان تلك المشكلة طالما ارقت الصليبيين ونظرا لوجودهم ككيان قليل السكان اذا ما قورن بالمحيط الاسلامي العام الذي اتسم بالكثافة السكانية المرتفعة ولانفضل ان تلك القلاع التي اقامها الصليبيون على امتداد وجودهم في بلاد الشام مثلت احد اشكال تغيير هوية المنطقة على المستوى الطوبوغرافيا .

النتائج والتوصيات

تمخض البحث على عدد من النتائج الهامة

اولا: افادت مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية وعلى مدى القرنين السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالثة عشر الميلادي ، في تقديم صورة جلية للطوبوغرافية د الشام التاريخية بلادالشام حينذاك ، ومزجت بين الجغرافية والتاريخ في تناسق حيوي وهام ،ومن المهم بمكان ادراك ان كتابة تاريخ بلاد الشام بدون الاعتماد على مثل تلك الزواية السابقة يعد امرا مستحيلا ، وذلك على اعتبار ان الجغرافية توجه

التاريخ ، وان التاريخ في بعض جوانبه ماهو الاصراع على الجغرافية في اشكالها المتعددة الطبيعية، والبشرية ،والاقتصادية ....الى غيرها من فروع الدراسات الجغرافية .

ثانيا : اكدت مؤلفات اولئك الجغرافيين والرحالة ، على شمولية الرؤية الجغرافية لديار الاسلام في ذلك العصر ، اذ انهم قدموا لنا اوصافا متعددة لبلاد الشام من خلال تناولهم العام لكافة انحاء العالم الاسلامي الذي جابوا اقطاره المتعددة ،ولم تكن هناك فكرة التجزؤ او الانقسام حتى مع وجود العدو الصليبي الذي غرس كيانه في منطقة الشامية وحاول مد ذلك الكيان الى مناطق اخرى مثل مصر وتونس وغيرها.

ثالثا : القت مؤلفات اولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين الاضواء الكشافة على اوضاع الساحل الشامي الذي امتد من سان سيمون (السويدية) ميناء انطاكية في الشمال ، حتى غزة جنوبا ، وظهر حرصهم الواضح على ايراد العديد من الجوانب المتصلة به سواء السياسية او الاقتصادية او السكانية ،على نحو اوضح ادراكهم لاهميته في قضية الصراع الاسلامية / الصليبي . وقد مثل الساحل عصب الحياة بالنسبة للصليبيين من خلال حركة الصادرات والواردات ،وفرضهم المكوس على حركة التجارة ، بالاضافة الى انه مثل نقطة اساسية في اتصالهم بالوطن الام للحركة الصليبي .ولذلك من الممكن القول دونما مبالغة ان الصليبيين بقوا في بلاد الشام ما بقيت في ايديهم المناطق الساحلية ، وعندما انتزعت منهم بالكامل في نهاية المطاف على ايدي المماليك البحرية ، كان ذلك ايذانا بفشل مشروعهم لغزو بلاد الشام وطردهم من المنطقة.

رابعا : كشف الجغرافيون والرحالة المسلمون الذين قدموا الى بلاد الشام في ذلك العصر عما يمكن وصفه بالمواجهة الحضارية بين الجانبين الاسلامي والصليبي اذ انه بعد انقشاع غبار المعارك الاولى خاض الصليبيين غمارها ضد المسلمين وانتصروا خلالها وبعد نجاحهم في غرس كياناتهم السياسية في الرها وانطاكية وبيت القدس وطرابلس احتك الطرفان حضاريا وظهر بجلاء كيف ان الهزيمة العسكرية التي اصابت المسلمين على ايدي اعدائهم لم تكن تعني الهزيمة الحضارية بل انهم كانوا اكثر تفوقا على مستوى الحضاري منهم

خامسا :كشفت مساهمات اولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين النقاب ، عن مايمكن وصفه بالنمو الحضاري والعمراني لحواضر الشام الكبرى الخاضعة للسيادة الاسلامية مثل دمشق وحلب وحماة وغيرها والواقع ان من الاهمية بمكان رصد ذلك الجانب على اعتبار ان تلك المدن التي وقعت على خطوط التجارة العالمية ثم تمتعت بموقع جغرافي وفر لها مصادر الحياة الوفيرة والكثافة السكانية المرتفعة ثم انها اتصلت بجاراتها في العراق ومصر فاذا ما لاحظنا ان مدن العراق و الشام و مصر مثل الموصل وحلب ودمشق والقاهرة كانت تمثل خط الدفاع الاستراتيجي في مواجهة الصليبيين.

سادسا : القت كتابات اولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين الاضواء الكشافة على طبيعة فكرة الجهاد الاسلامي في عصر الصليبيات اذ اوضحت حجم مشاركة العناصر الاسلامية الوافدة على بلاد الشام ومن امثلتها المغاربة الذين ابلوا بلاء حسنا في مواجهة الصليبيين

سابعا: قدمت مؤلفات أولئك الجغرافيين والرحلة إشارات هامة من العمائر الحربية, ودورها التاريخي في بلاد الشام في عصر الصليبيات, ولا سيما دور القلاع الصليبية, مع ملاحظة إن إشاراتهم تركزت على وصف مظهرها الخارجي, وحصانتها ومناعتها, أما دورها الحربي, فكانت إشاراتهم نادرة بشأنه, وان قدمت مؤلفات الحوليات البديل عن ذلك النقص في صورة وفرة التفصيلات المتعلقة بالجانبين الحربي والسياسي.

ثامنا: وفرت رؤية أولئك الجغرافيين والرحالة المسلمين في ربوع الشام, صورة هامة لدى الباحثين المحدثين عن خريطة بلاد الشام المذهبية, بالإضافة إلى حجم المواجهة السنية- الشيعية هناك خلال عصر الحروب الصليبية. وقد واجه المسلمون السنيون الذين حملوا على كاهلهم عبء الجهاد-خطر الإسماعيلية النزارية الذين تحالفوا استراتيجيا مع الصليبيين ضد عدوهم المشترك في صورة المسلمين السنة, وشهروا سلاح الإرهاب والاغتيال في وجه قيادات الجهاد الإسلامي في ذلك العصر, وكانت منطقة شمال الشام إحدى المناطق الهامة في أمر المواجهة بين الجانبين.

مجمل القول وصفوته, إن مؤلفات الجغرافيين, والرحالة المسلمين, الذين تناولوا بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية احتوت على جوانب هامة من تاريخها على نحو جعل لها مكانة خاصة متميزة من بين مصادر تاريخ تلك المنطقة, خلال عصر المواجهة بين المسلمين والصليبيين.

مما تقدم يتبين بان الباحث استطاع ان يقدم بحثا تفصيليا عن موضوع الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وقد خرج الباحث بمجموعة من النتائج والاستنتاجات ,كما قد م عدة توصيات ومقترحات بشأن موضوع الاطروحة .

وعليه ومما تقدم فأن الباحث بتول كامل مزهر الياسري يستحق منحه درجة الدكتوراه فى الجغرافية

مع التقدير ..

مدير برنامج الدكتوراه

بسم الله الرحمن الرحيم

((وقل رب
زدني علماً))

صدق الله العظيم

(سورة طه - من الآية 114)

الاهداء

الى رمز الحب وبلسم الشفاء ... أمي

الى القلب الناصع بالبياض ... ابي

الى اخوتي الاعزاء

الى رفيق الدرب .... زوجي

الى القلوب الطاهرة الرقيقة رياحين حياتي ...ابنائي

الى الذين بذلوا كل جهداً لكي اصل الى هذه اللحظة اساتذتي لا سيما الدكتور الفاضل نزار الربيعي

بســـــــــــم الله الرحمن الرحيم



جامعة سانت كليمنتس العالمية St Clements university

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة مناقشة الطالبة (بتول كامل مزهر) نشهد بأننا ناقشنا الطالبة عن أطروحتها الموسومة " الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجري " وقررنا قبول الاطروحة كجزء من متطلبات درجة الدكتوراه في (الجغرافية) بتقديـــر (امتياز).

التوقيع
الاسم: أ.د. عجمي محمود حطاب
رئيس اللجنة

التوقيع
الاسم : أ.م.د. سعد لطيف الحمد
عضواً

التوقيع
الاسم: أ. م.د. رحمن حسين علي
عضواً

التوقيع
الاسم : أ.م.د. احمد عبد الستار
عضواً

التوقيع
الاسم: أ. م.د. عصام عبد الغفور
عضواً

التوقيع
الاسم : أ.م.د. نزار كريم جواد الربيعي
عضواً ومشرفاً

مصادقة رئيس الجامعة على ماجاء بقرار اللجنة أعلاه.

الدكتور نزار كريم جواد الربيعي
رئيس الجامعة في جمهوريه العراق

٢٠١٤/٥/١٩

